العدد الرابع ـ السنة الثالثة عشرة ـ محرم 1390 ـ أبريل 1970



دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد :

ثمن العدد درهم واحد

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الرابع
السنة الثالثة عشرة
محرم 1390
أبريل 1970
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة «دعوة الحق» ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 20 درهما ، والشرفي 30 درهما
فأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حسـاب :
مجلة «دعوة الحق» رقم الحسـاب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daowat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ
الرباط ــ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
«دعوة الحق» ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تلفـون 10-308 ــ 03-327 ــ الرباط

كلمة العدد

أثر العقيدة فى التوجيه

ما احوجنا فى هذه الفترات الدقيقة التى يجتازها العالم الاسلامي الى وقفة متأملة امام الذكريات الاسلامية الخالدة التى غيرت احداثها ووقائعها مجرى التاريخ ، فكانت فتحا مبينا ، ونصرا مؤزرا للاسلام والمسلمين ..

وما أحوج المسلمين اليوم ، الى الرجوع الى الله ، والانابة اليه ، والتمسك بمباديء دينه القويم لمقاومة التيارات الملحدة التى تغزو اقطارهم من وراء البحار وخلف السهوب ، ومن ذاتية اولئك الذين عميت عليهم الانباء فضلوا وأضلوا ..

وما أحرى اتباع سيدنا محمد عليه السلام أن يتمثلوا مواقف الصحب الكرام ، وما قاموا به من حركات واعية مومنة ترتب عنها نشر دينهم الحنيف ، واشهاره وابرازه من طي الخفاء الى الاعلام والظهور ، حتى نعمت الدنيا كلها بالاسلام وقيمه ومثله التى ذاعت فى الارض فآمن بها الناس فى كل مكان ..

وما أشد فقرنا اليوم وحاجتنا الى غذاء روحي نتوب به الى الله توبة نصوحا ، وايمان صادق بالله يكون من جديد نفوسنا ، ويبنيها على الحق والقيم العليا ، واستشعار بالمسؤولية العظمى ، والامانة التى عرضها الخالق، سبحانه، على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ...

* * *

لقد كان المسلمون الاولون الفاتحون فى الصدر الاول وفجر الاسلام يغمر قلوبهم الايمان بمبادئهم العليا ، وقيمهم المثلى ، فينطلقون فى مواكب النصر الى مواطن الجهاد والنضال ، ويسترخصون ارواحهم فى سبيل المبدأ والعقيدة حتى سقطوا فى ساحة الجهاد شهداء بدمائهم ، أو مثخنين بجراحهم ، فاعطوا لكلمه الحق معنى القوة ، ولكلمة القوة معنى الحياة ، ووهبوا لامتهم ، بفضل ثباتهم وعقيدتهم ، الحياة الرائعة ، وكتب لهم النصر المؤزر على الكثرة الكاثرة التى خلت قلوبها من أي عقيدة أو مبدأ ...

فالايمان بالعقيدة هو أس الاعمال ، ونقطة دائرتها ، ومحور ارتكازها ، وبه يكتب نجاحها ، انه قوة لا تدانيها قوة فى شد الاعصاب ، وشحن الدماء بالتضحية والفداء ... وأثر الايمان تبرز بوضوح فى الدعوات والمباديء التي

غيرت وجه التاريخ ... لذا يعمد أصحابها الى اختيار العناصر المشبعة بروح الدعوة المومنة بها ايمانا قويا ، كما يصرف أصحاب المبادىء والدعوات أنظارهم عن الكثرة التى هي رواء فى العين .. ولا شيء فى اليديـــن .!!

ان الصحابة المومنين بعقيدة الاسلام كانت لا تغريهم الكثرة التى تجردت عن كل مبدأ مومن ، أو عقيدة راسخة ، بل يكتفون برجال مومنين تشبعوا بالمبـاديء الصحيحة ، والمثل العليا ، اذ الكثرة الفارغة قد تكون فى دعوة ما ، من اسبـاب انهيارها ، رغم أن كثرة العدد من مستلزمات الدعوة ...

ان أبا بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وطارق بن زياد وادريس الاول وموسى بن نصير قادوا الدنيا ، وفتحوا كثيرا من البلاد ، ودوخوا الامصار ، وهم الذين لم يدرسوا فى الكليات الحربية ، ولم يقرأوا علوم اليونان ولا فلسفة الرومان ، ولكنهم درسوا القرآن الذى أنزل على سيدنـا محمد فكانوا من ألمع النجوم الذين تخرجوا من مدرسته عليه السلام .

لقد آمن عمر رضي الله عنه بعقيدة الاسلام وتشبع قلبه باليقين والايمان ، فخالطت بشاشته قلبه، فكان أمة وحده لا يخاف فى الحق لومة لائم ..

لقد هاجر عمر هجرة فريدة نكتفي هنا بقول الامام علي كرم الله وجهه عنها :

((ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر مختفيا الا عمر ، فانه لما هم بالهجرة ، تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى فى يده اسهما ... فمضى الى الكعبة ، والمـلأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سعيـا متمكنا ، ثم أتي المقام فصلى ، ثم وقف على الحلف واحدة واحدة ، فقال لهم : شاهت الوجوه لا يرغـم الله الا هذه المعاطيس ، من أراد أن يثكل أمه ، أو يوتم ولده ، أو يرمل زوجه ، فليلقني وراء هذا الوادي، قال علي : فما اتبعه الا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم اليه ثم مضى ...

ذلكم هو أثر العقيدة الاسلامية فى نفسية الرجل المومن الذى كان مثـالا للرجولة الحق ، والبطولة الفذة ..

ان الهجرة المحمدية التى كانت حدثا فذا من الاحداث الاسلامية الكبـرى هزت العالم ، ودمرت كل القيم والتقاليد الدينية والجاهليـة ، ودعمت صروح الحق والعدل والحرية والمساواة والاخاء بين الناس يجب أن تظل معانيهـا فى قلوب المسلمين اليوم الذين غمرهم التفسخ الديني ، والانحلال الخلقي ، وتعددت شيعهم واتجاهاتهم وتفرقوا طرائق قددا ، وتخلوا عن مثلهم العليـا ، وتنكبـوا طريقهـم القاصـد ..

لقد كانت الهجرة النبوية اعدادا للنفوس الواهنة، وتجميعا للقوى المتخاذلة، وحماية للدعوة المحمدية ، وفيصلا بين الحق والباطل ، كما كانت ذات أثر عظيم فى تحويل مجرى التاريخ الى الوجهة الخيرة الصالحة .

وان الاسلام الصحيح ليقدم الى أبنائه الذين تنكبوا الطريق وحادوا عـن النهج القويم ، اذا هم رجعوا عن سلوكهم المنحرف ، ولاذوا بظلال الاسلام الوارفة، وآمنوا وعملوا الصالحات ، دواءه النافع ، وبلسمه الناجع ، كما سيزودهم بما هم فى أشد الحاجة اليه اليوم من قوة لضعفهم وهوانهم على الناس ، وغلبة على أعدائهم الذين يكيدون لهم ، ويمكرون بهم ، ويتآمرون عليهم .

دعوة الحق



خلد الشعب المغربي النبيل في يوم 3 مارس الماضي عيدا وطنيا حافلا بالمآثر والامجاد ، وذلك باحتفاله بعيد العرش السعيد .

وقد مر هذا العيد القومي في جو من البهجة والفرحة والمسرات ، والمحبة والتصافي والمودة والاخاء.

وفي غمرة من الحماسة السكرى ، والفرحة الكبرى المشفوعة بالولاء والاخلاص والتفاني لصاحب الجلالة والمهابة ، أم المواطنون رحاب المشور السعيد للتملي بالطلعة الكريمة لسيد البلاد ، الذي ألقى خطابا توجيهيا على شعبه الكريم ، وحيث تجمع المواطنون في مختلف الاقاليم للاستماع الى حبيب الشعب ، ورائد نهضته ، وذلك عن طريق الاذاعة والشاشة الصغيرة ليحدثهم حفظه الله عن المنجزات التي تحققت في عهده الزاهر في مختلف المجالات والميادين الاقتصادية والفلاحية والاجتماعية والعمرانية والسياسية ...

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي الكريم :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

نحتفل واياك منذ تسع سنين في مثل هذا اليوم من كل عام بذكرى جلوسنا على عرش اسلافنا المقدسين احتفالا تعرب فيه عن ولائك لشخصنا وتعلقك بعرشنا وعرش اسلافنا رضوان الله عليهم ، ضروبا من الاعراب ، وصنوفا من التعبير ، ونعرب فيه من جهتنا عن استمرارنا في ركوب السبيل التي رسمها لنا آباؤنا المنعمون من الوفاء لك ، والحدب عليك ، والسهر على شؤونك ، والذياد عن حياضك وكيانك والسعي تحقيقا لما يعود بأجمل العوائد ويشيع في نفسك الامن والاطمئنان ويفعم قلبك بالمسرات والابتهاج . وان ما يرمز اليه يومنا هذا، من معاني الوفاء المتبادل ، على مر الاجيال والعصور ، والاخلاص الثابت المتواصل ، الذي تقاسمه على السواء، ملوك هذه البلاد وشعوبها ، هو الذي يضفي على يومنا هذا حلة العيد ، ويهيب بمشاعر الاعتزاز في قلوبنا، ويؤكد فينا الثقة بالحاضر والمصير ، والحال والمآل فليس احتفالنا بهذا العيد احتفالا بذكرى ذلك اليوم الذي قلدنا الله فيه زمام امرك وحسب ، وانما هو احتفال بالاسترسال والامتداد ، وتلاحق حلقات العمل المشترك عبر القرون ، وتتابع مراحل السعي الذي توافقت فيه مدى الازمان والعصور ، المطامح والارادات واتحدت فيه السبل والغايات وتوشجت فيه الاواصر والصلات كتب الله بعد الظفر بغالي الامنيات ورفيع الدرجات ، وهو الى هذا كله احتفال بما يجسمه اليوم ، عاهل البلاد وشعبه، من ارادة متينة للتجديد والتشييد والابتكار،

وتصميم على مد اسباب الرخاء واليسار ، واصرار على العمل الذي يعلي شأن وطننا بين الاوطان ويحل مملكتنا بين الدول الدائبة في السير الى الامام .

مسرة مبعثها السلامة والامان

فالمسرة التي يطاق عنانها حلول هذا اليوم من كل سنة ويشيعها في كل قلب وبيت وينير بها اسارير الوجوه وقسماتها ان هي الا المسرة التي يبعثها ارساء السفينة في شاطيء السلامة بعد معاناة المكاره ومغالبة الاخطار ويفجرها اليقين بان المسيرة الباقية سيحالفها النجاح والانتصار .

وان المحجة المركوبة ستؤدي حتما في نهاية المطاف الى بلوغ المرام في كل مجال وكل مضمار ، وكما ان شمل اجدادنا وءابائك استمر مدة قرون جميعا غير شتيت ، فاننا لما خلفنا والدنا رضي الله عنه وارضاه وتسلمنا الرسالة المدخورة نظرنا الى صفوفنا فالفيناها مرصوصة لم يصبها انحلال ولم يتطرق الى كلمتنا وشملنا شتات ولا اختلال ولم يدب في عزائمنا فتور او اعتلال وتصدينا للعمل بهمة طماحة الى العلياء غير مكترثين لجسامة الاعباء ولا مبالين بالمسالك الوعثاء العقبات الكاداء يثبت اقدامنا ما استحكم بيننا من التفاف وائتلاف وانسجام والتئام وسنصل بعون الله كل مجهود بذله بمجهود يعززه ويؤازره ونردف كل انجاز نباشره بانجاز يكمله ويظافره ، ونتبع كل هدف نبلغه بأهداف تناصره وتظافره .

وان اهم ما يتعين علينا ان نهتم به في حاضرنا ومستقبلنا ، وان نحافظ على ما اورثنا الآباء والاجداد من كيان وعلى ما استودعنا من تراث ، ونمارس من الاعمال ما يؤمن المسيرة في طريق التعمير والبناء والنماء ويضمن اسباب الاثراء والرخاء والارتقاء في احسن الظروف واسلم الاجواء ، ويكفل للنفوس السكينة والطمأنينة والارتياح ويسعدها بالثقة الصادقة والامل الذي يستجيشه التفاؤل والانشراح .

وان بلادنا التي تبينت موجبات الرقي ومسببات الانتقال من حال حسنة الى حال اكثر حسنا وارجح وزنا واعلى شأنا ، وصرفت الجهود الى الانجاز والتحقيق ، لتستبدل الحاجة والافتقار ، بالسعة والاكتفاء والازدهار ، وواصلت المساعي الى تركيز اساس الدولة ، على مستحصد القوائم والدعائم ، والى كسب المماثلة ومد الجاه بين الامم .

لن تسمح بلادنا بعبث العابثين

ان بلادنا هذه السائرة في هذا السبيل المستهدفة هذه الاهداف لن تسمح في اية حالة من الاحوال ، بأن يعبث بجهودها عبث العابثين ويتطاول الى مقاصدها غرور الضالين والمضلين الذين زاغوا عن الصراط المستقيم وانحرفوا عن النهج المبين ، واسلسوا قيادهم لمن مرتعه وخيم ، وباعوا ضمائرهم لمن قصده أثيم ودأبه التشكيك والتفكيك وديدنه التزييف والتنكير وشأنه التقويض والتدمير

وسنظل بعون الله ومنه حاملين للامانة ، راعين للعهد اوفياء لاسمى المباديء واشرف القيم .

شعبي العزيز

جرت عادتنا مثل السنين السالفة ان نستعرض بمناسبة الاحتفال بهذه الذكرى ما انجزناه في اثناء السنة المنصرمة من منجزات وما نفذناه من برامج وحققناه من مشاريع .

نجد راحتنا في العمل من اجل اسعادك

لقد ارتأينا ان يكون محتوى خطابنا اليوم موسوما بسمة الالمام بأهم وجوه اخذنا وردنا ، وابرز المجالات التي نوليها الحظ الكبير من عنايتنا ونقبل عليها اقبال الانكباب والعكوف ونقف عندها ممعنين في الدرس والاستيعاب ، اتم واوفر وقوف على انك ستجد شعبي العزيز في النشرات التي عهدنا الى وزيرنا في الانباء باصدارها ما اوجزناه مطولا وما اجملناه مفصلا وما لم يتسع له نطاق هذا الخطاب معروضا مبينا محللا وستدرك من خلال هذا كله ان السنة المنصرمة كانت كسابقاتها حافلة بالاعمال ، ثرية بالبرامج والمشاريع ، لم تؤثر فيها الدعة والسكون ، على العمل المتساوق والجهد المتلاحق ، ولم ننقطع طوالها عن التفكير والتدبير والتنفيذ والتطبيق والانجاز والتحقيق؛ فقام الرضاء عن العمل المحكم الموصول ، والجهد المثمر المبذول ، مقام الترفيه والاستجمام ، وغمر سرور الانجاح ، نوازع الاخذ بنصيب من الاسترواح .

كانت لي معك لقاءات

شعبي العزيز ..

جرت عادتنا ان نخاطبك كلما ظهر لنا ، ان من الواجب علينا ان نطلعك على ما تعتقده من شانه ان يمت اليك بصلة تهم مستقبلك، وتهم ابناءنا واجيالنا، وخلال السنة المنصرمة كانت لي شعبي العزيز معك لقاءات بواسطة التلفزة او بواسطة خطب كنا نرتجلها أو نلقيها عليك وامامك عند حلول الاعياد او عند تدشين مشاريع وخلال هذه المذاكرات والمناقشات والندوات الصحفية تبين لك ما هي اهداف سياستنا فى الخارج لا بالنسبة للدول الشقيقة العربية ، ولا بالدول الشقيقة الاسلامية ، ولا بالنسبة لدول المغرب العربي ، وقد اطلعناك كذلك على ما ترمي اليه سياستنا ، من عدم الانحياز الى اي معسكر من المعسكرات ، حتى لا ندخل فى مشاكل الغير مكتفين بحل مشاكلنا ، مع المساواة فى معاملاتنا ، مع جميع الدول .

وقلنا لك كذلك ان سياستنا فى الخارج ، تبنى اولا وقبل كل شيء على ان تكون سياستنا جلية واضحة جدية ، لا تلاعب فيها ولا تآمر فيها ، ولا تدخل لنا فى اي شان من الشؤون للدول المجاورة او للدول الشقيقة او للدول الاخرى ، مطالبين من جهتنا أن نعامل بمثل هذا التعامل .

حدثان هامان

وقد شهدت هذه السنة حدثين هامين :

اولهما تاريخي لا نظير له فى الماضي الا وهو مؤتمر القمة الاسلامي الذى انعقد بالرباط ، والذى شرف هذه المملكة بأن حضرته جميع الدول الاسلامية اما بملوكها او برؤساء جمهورياتها او حكوماتها او من يمثلونهم .

فانعقد المؤتمر فى الجو الذى تعلمه شعبي العزيز وخرج بالنتائج التى تعلمها ، نتائج تجعلنا ننظر الى المستقبل القريب والبعيد بعين التفاؤل وعين الرضا .

وهاهم وزراء خارجيتنا سيجتمعون قريبا فى جدة فى المملكة العربية السعودية الشقيقة ليضعوا ميثاق الامانة العامة للدول الاسلامية حتى نجد ما ينظم سيرنا فى المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية .

وكان الحدث الثاني ، اجتماع مؤتمر قمة الدول العربية وكان هذ الاجتماع الاول من نوعه بعد اجتماع الخرطوم ، ونظرا لجو الصراحة الذى ساد فيه ونظرا لكوننا لم نركب الطريقة القديمة التى جرت بها العادة ان نخرج دائما ببيان مشترك نكون قد وضعناه لا لانفسنا ولا لشعوبنا ولكن للصحافة العالمية قررنا ان نقرر ما نقرر ونستكفي باعطاء بعض الايضاحات الى الصحافة العالمية شاعرين بأننا لم نكن انضج من ذلك اليوم لم نكن على بينة اكثر مما كنا عليه من المشاكل المتداخلة بعضها فى بعض بالنسبة للدول العربية والعالم العربي .

ضممنا اخا جديدا الى اسرتنا

وقد انتهزنا فرصة انعقاد المؤتمر الاسلامي فربطنا ما انحل من صلاتنا بين شقيقتنا موريطانيا وضممنا اخا جديدا الى اسرتنا ، ونحن عازمون من الجهتين على أن نحث السير حتى نستدرك ما ضاع من الوقت وحتى نساير ركب التعامل الدولي والافريقي .

كما اننا استانفنا علاقاتنا على أعلى مستوى مع فرنسا وكان لهذه العودة الى العلائق القديمة اثر كبير .

ولهذا سافرنا الى باريس والتقينا برئيس الجمهورية وتمكنا من تبادل الاعراب عن سرورنا لاستئناف العلاقات ، وعن ارادتنا على ان نسير فى طريق التعامل والتعاون اكثر مما كنا نسير عليه من قبل .

هذه بكيفية موجزة شعبي العزيز ما اتسمت به مجهوداتنا فى السنة الفارطة فى الميدان الخارجي .

الفلاحة أساس كل انطلاق

اما فى الميدان الاقتصادي فلست ارى ما يمكن ان ازيد على ما قلت لك مرارا وتكرارا عند افتتاح المجلس الاعلى للتخطيط ، عند افتتاح السدود وعند افتتاح المناظرة لقانون الاستثمارات الفلاحية سواء فى السقو او فى البور، فلا أريد أن ادخل معك فى تفاصيل فانت تعلم اننا نجعل من الفلاحة ومن الري الاساس لكل انطلاق اقتصادي ولكل انتاج صناعي .

الا انه من الناحية الاقتصادية نرى لزاما علينا ان نؤكد هنا بعض المسائل من الناحية المالية فاننا نحمد الله سبحانه وتعالى على سلامة العملة المغربية فى وقت تدهورت فيه بعض العملات ، كما اننا نحمد الله سبحانه وتعالى على ان ارتفع ميزان الاداءات لاول مرة بهذه الكيفية ونحمد الله على ان تكون لنا ميزانية متوازية رغم المصارف الجديدة التى يفرضها علينا التسيير فى كل سنة .

اما فيما يخص المخطط الخماسي ، فقد ارتفع الانتاج القومي خلافا لما كنا نظن ارتفاعا يقدر بخمسة فى المائة .

هذا البلد يغني ولا يفقر

بقيت لنا شعبي العزيز مسألة اريد ان اذكرها لك حتى تعلم ان هذا البلد يغني ولا يفقر .

وانه يبحث دائما على تكوين طبقة تصبح حالها على احسن حال مما كانت عليه امس .

مغربة بعض قطاعات التجارة

فقد قررنا شعبي العزيز ان نمغرب بعض قطاعات التجارة حتى تتمكن الطبقة المغربية المستكملة للشروط ان ترفع مستواها وان تزاحم فى هذه البلاد .

وان نخلق مجموعة اخرى من المثرين الذين يتمكنون من ان يعرفوا بلادهم ويتجولوا فيها وخارج بلادهم وان يشيعوا عند من يشترون منهم او يبيعون لهم ، وان يشيعوا نتائج هذه المغربة .

لا نريد مغربة مزيفة

الا ان هذه المغربة لا بد لنا ان نحيطها بشيئين اثنين والا ستكون عواقبها وخيمة .

الشرط الاول ـ ان لا تنتفع بها الا تلك الطبقة المعنية لا الطبقة الغنية الموجودة الآن فنحن لا نريد ان تكون المغربة مغربة مزيفة وتسير الاموال تحت ستار شركات فى جيوب من لهم الامكانيات وحسابات فى الابناك، بل نريد ان تكون هذه المغربة شيئا حقيقيا ملموسا ومحسوسا فى كل بيت يستحق ان يعظم دخله .

بشارة للشعب

ولابد لنا من أن نأخذ الحيطة فى نقطة اخرى ربما لا تقل فى اهميتها عن الاولى وهو تكوين الاطر القادرة على تسيير هذا القطاع الذى سيمغرب .

وكيفما كان الحال هذه بشارة شعبي العزيز فنحن منكبون على الدراسة ، وسنوافيك عندما تتم النصوص وعندما تكون الفكرة قد خرجت من طور التبلور الى طور التطبيق ، سنرجع اليك شعبي العزيز على عادتنا وسنخاطبك فى هذا المضمار وسنحاورك وتحاورنا حتى نصل الى النتائج التى وراءها نجري .

شعبي العزيز ..

غير خاف عليك ما كان يوليه والدي نعم الله ثراه من اهمية الى شؤون العلم والتعليم كما لا تخفى عليك المعاني والمشاكل والبرامج والخطوات والتخطيطات التى تنطوي كلها فى لفظ التعليم .

فالعلم فى القرن العشرين قد تطور ..

كان العلم من قبل محصورا وموقوفا على طبقة معينة بل كان العلم ربما يراه البعض كنهاية فى حد ذاته وان كان لا نهاية للعلم .

اما فى القرن العشرين فالعلم والتعليم لهما معنى ءاخر وهو الانتاج .

انتاج الرجل الصالح والدماغ الصالح حتى يمكن لهذا الرجل الصالح ان ينتج من جهته فى الميادين التقنية والفنية والعمارية .

وقد فكرت طويلا فى هذه المشكلة سواء فى برامج الابتدائي او الثانوي او العالي وسارت بي الذاكرة الى الماضي واصبحت افكر انه عندما كان المغرب مستعمرة كانت شعاراتنا فى التعليم :

المغربة

والتعميم

والتعريب

وعندما استقل المغرب جعلنا كما هو طبيعي من شعاراتنا :

مباديء شرعنا فى تطبيقها فشرعنا فى تطبيق التعميم والتعريب والمغربة

وبعد بضع سنين لم نتراجع عن اي مبدا من هذه المبادىء ولن نتراجع عنها ابدا ولكن اذا نحن لم نتخذ لتطبيقها ما يجب ان يتخذ سوف تصير المغربة والتعميم والتعريب عرقلة لا منطلقا ، وسوف نرمي بابنائنا والاجيال المقبلة الى هاوية لا قعر لها .

التوجيه عندي أهم الاشياء

لذا قررنا ان تكون لجان ستنكب على هذه المشاكل ، ستنكب على التوجيه اكثر مما تنكب على المصارف والمطالب المادية .

ذلك ان الدولة مستعدة كي تتبع اي مصارف اذا كانت تعرف ان التوجيه سيؤدي الى نتائج اقتصادية .

اما ان تتبع مطالب لا تؤدي الى نتائج اقتصادية، بل ستؤدي الى ان نخلق جيلا علينا ان نعطيه الاكل والشرب وليس في امكانه ان يعطينا اي شيء من جهته ، اذا نحن خلقنا هذا الجيل ، صعب علينا ان نتبع من ناحية النفقات سيره او نتبع هذا التوجيه .

فالتوجيه عندنا اهم الاشياء، التوجيه في الابتدائي والثانوي والعالي والتقني ، لذا قررنا ان نفتح الحوار وان نسهر بنفسنا على هذا الحوار وعلى ان نتابع ونتتبع المناقشات شخصيا حتى نعلم اين الطريق وحتى نرى اين الهدف .

نحن مستعدون لفتح النقاش

فنحن مستعدون لفتح هذا الحوار مع الاساتذة في جميع المستويات مستعدون لفتحه مع جمعيات آباء التلاميذ لتكون لهم بواسطة لا مركزية الوسائل للنظر في الماديات والحاجيات وتسيير المدارس الثانوية والسهر على سيرها .

ونحن مستعدون لفتح النقاش مع الطلبة بجميع الكليات حتى يمكننا ان نعرف ما هو داؤهم ؛ حتى نهتدي الى الدواء .

واننا لا ننسى اننا تقلدنا الامانة وسننا لا تزيد على الواحدة والثلاثين سنة .

اضطلعت بالمسؤولية وانا شاب

فلا زلنا نحرص على انه من الواجب ان نعطي لكل شاب شاب فرصة القيادة فرصة المسؤولية ، فاذا كان هناك شخص لا يمكنه ان يعيب على الشباب شبابه ، فهو انا ، لانني اضطلعت بالمسؤولية وانا شاب ، فلا يمكنني ان الوم الشاب على شبابه ، بل من الطبيعي ان اؤازره وآخذ بيده والهمه الطريق وانير له المسير .

لن يكون الحوار مثمرا الا اذا رجعت الرجال الى اعمالها

ولكن من المعقول والمنطقي انه لا يمكن ان نفتح هذا الحوار ونحن مصممون العزم على فتحه في الاسبوع المقبل ، لا يمكن ان يكون هذا الحوار مثمرا وان يأتي بالنتائج المنتظرة منه الا اذا رجعت من هنا الى ثمة المياه الى مجاريها ورجعت العقول الى تفكيرها والرجال الى مواقع اعمالها واذ ذاك نفتح حوارا ومناقشة صريحة مخلصة ، تفتح لنا الطريق وتنير لنا المسير .

شعبي العزيز ..

ان فيما عرضناه عليك من الوان جهودنا واصناف مساعينا وبسطناه من خطط نعتزم تنفيذها ، ومراحل واشواط عقدنا النية على طيها وقطعها الدليل على ما حققناه من اهداف وبلغناه من غايات .

وبرهانا على اننا لا نقنع باليسير وانما نتوق ان تتصف خطانا بالسعة والطول وتتسم سيرنا في مختلف المجالات بالسرعة التى تختصر المسافات وتوفر ثمين الاوقات .

وقد ادركت ولا ريب من خلال عرضنا ان الحصول على النتائج المطلوبة لا يتيسر الا اذا كانت معرفتنا تامة بما اليه نحث الخطى ونغذ السير وكانت جهودنا خاضعة لنظام محكم وميتقانا محصورا في نطاق لا يند عنه شان من الشؤون ولا غرض من الاغراض .

واذا كنا قد وضعنا المخطط الخماسي وضمناه من المشاريع والبرامج ما هو كفيل بضمان اطراد الامكانيات وازدياد الموارد والقدرات وارتفاع المستويات واتساع الاهليات والكفايات فان مرافق الدولة عاكفة من الآن على اعداد مشاريع المستقبل

القريب وبرامجه حتى لا تنفصم عرى عما نريده متلاحقا متواصلا متماسكا متكاملا .

سياستنا تستهدف القضاء على العوز والحاجة

وما دامت سياستنا تستهدف القضاء على العوز والحاجة ، وتتوخى تمكين الفقير من اسباب رفع مستواه بتكثير دخله ، وتعزيز موارده وما دامت تتعقب الفاقة ، وتهاجم الخصاصة ، وتطارد النقص ، وترمي الى القضاء على التفاوت الكريه بين المحظوظين والمحرومين والى تقريب الشقة ، بين الموسر والمعسر ، من غير لجوء الى مكاسب ما افاء الله على ذوي الارزاق .

فان هذه السياسة تقتضي منا تكتيل الجهود ، قصد انجاحها وموالاة الداب على خطة لا تلتوى ومتابعة المشي في حجة لا تنعطف يمنة ويسارا ولا تردد بين الاستقامة والاعوجاج ولا ينعت ركابها تارة بالاقدام وتارة اخرى بالمكوث والاحجام .

اخترت ان تكون بين الشعوب موسوما وكلمتك مسموعة

لقد اخترت شعبي العزيز ان تكون بين الشعوب موسوما لا غفلا ، وفضلت طريق اليسر وان كان عسيرا ، وسبيل التقدم وان كان وعرا ، وخوض غمار المنافسة في الانتاج ، والمسابقة الى كسب الاسواق وهي معركة لا يجلى فيها الا من ءاتاه الله حولا وطول ، وحزما وعزما ، وشدة شكيمة وصارمة واولجه بين الاقوياء ، في هذا المعترك الذى لا يرثى فيها للمستضعفين ولا يرحم فيه من رضي بأن يكون من المخلفين .

ءاثرت ان تكون لك الكلمة المسموعة ، والمكانة المرموقة ، والثقة الغامرة لقلبك وللطموح المستثير لفضائلك ، ومزاياك ، ولما تتمتع به من فضل ، وتعشقه من نبل وتكلأ به من اتقان وتتحراه من جودة واحكام .

وان شعبا خصه الله بهذه المكرمات وطبعه على هذه النحائز والنقائب ، لحرى بان يبلغ من المقاصد ما تحقق به المطامح التى تصبو الى تحقيقها لصالحنا وصالح ابنائنا والاجيال الخالفة ، حتى اذا تسلموا الامانة واضطلعوا بأعباء الصيانة والتكوين والتكميل ، واستشعروا واجب الحركة التى لا تقبل السكون ، وفريضة العمل الذى لا يستطاب معه الوقوف او الركون ـ ادركوا حينئذ ما اليه انصرفنا ، وانقطعنا ، والى تمهيد وتيسير قصدنا وسعينا وما للمستقبل اعددنا وصنعنا وما أتم الله علينا من نعمة التوفيق ، وانجز لنا من الرغائب واولانا من المكاسب .

شعبي العزيز ..

يهيمن علينا في كل احتفال بهذه الذكرى ، روح البطل الذى فك الاغلال ، ورفع عنا الاسار والاثقال ، واعاد للبلاد بعد المقارعة والجلاد ، والمواصلة والجهاد والبذل والسخاء ، والتضحية والعناء ، استقلالها المفقود ، وعزها المنشود .

روح محمد الخامس تهيمن علينا

ذلك البطل الذى اكبرت فيه ما كان يمتاز به من جلد وصبر ، ويتصف به من مهارة في مزاولة الشؤون ، وممارسة المهام ، وبادلته وفاء بوفاء ، وقاسمته الشدة والرخاء والسراء والضرء ، وقدرت تضحيته الجلى من أجلك ، وكفاحه في سبيل اعلاء كلمتك ، واعزاز جانبك ، واسعدته بحسن بلائك ، وكريم عرفانك للجميل يوم حل المكروه بالبلاد وتطاولت الى سيادتها يد الاعتداء .

ذلك البطل الذى عرفت ما كان يطفح به قلبه الكبير من مطامح لخيرك وصالحك ، ويقاسيه من الم لاعج ، ويوطن النفس عليه من اسى مقيم ، ايام كنت رازحا تعرقل خطاك القيود ولا تفارقك الاشجان والاحزان ولا تبرح ساحتك الهموم والاكدار

ذلك البطل الذى يعز نظيره بين القادة والزعماء ويقل مثيله بين الائمة الابرار والهداة الذين يحتفظ التاريخ بما خلفوا من الآثار ـ هو والدنا رضوان الله عليه جلالة محمد الخامس الذى فتح له الله الفتح المبين واكرمه بالفوز المتين وقيضه لحماية الدنيا والدين ولم يستاثر به الا بعد ان كتب على يديه لبلاده الرفعة والنباهة وعلو الشان والمكانة ، فرحمه الله واجزل له المثوبة والغفران واسكنه جنة الرضوان وبواه مكان صدق بين اوليائه الصالحين واصفيائه الاطهار المهتدين .

لا شيء يلهيني عن شؤونك

فقد كنا ونحن ولي عهده ومستودع سره نشد أزره ونساند جهده ونؤيد سره وجهره ، ونشاطره ما يمر ويحلو ويكدر ويصفو تتألم لما يتألم منه ونفرح لما يشيع في نفسه الكريمة من المسرات والافراح .

فلما التحق بالرفيق الاعلى وشاءت عناية الله ان نخلفه على عرش اسلافه المكرمين حملنا الامانة واتقين بتسديد الله وتوفيقه وعونه ومنه ، مطمئنين الى مؤازرتك ومناصرتك وتأييدك وتعزيزك

ومنذ ذلك الحين والرعاية موقوفة عليك والعناية مصروفة اليك والاهتمام مقصور على ما به اسعادك فلا اغيب عنك الا وانت معي ولا اكون معك الا وانت جليسي وانيسي ، فانت نصب العين حيثما كنت ونزيل القلب حيثما تصرفت وذهبت ، ان سافرت فمن اجلك ، وان اقمت فما فى الدنيا شيء يلهيني عن شؤونك ويصرفني عن شجونك ويشغل بالي سوى ما يرضيك ويفيض المسرة فى قلبك وان همك أمر همني وان حز بك كرب حز بي وان ارقك شيء سهدني وان اعتراك خطب او نزل بساحتك مكروه اندفعت لتفريج الغم الذى ران عليك وسعيت لتبديد الظلماء التى خيمت بسمائك ، فلا يطيب لي عيش ولا يهدأ لي بال ولا يقر لي قرار الا عندما تبتسم الدنيا لك وتحلو الحياة فى عينيك وينتشر التفاؤل فى دخيلتك ويتقلص التشاؤم عن سريرتك .

ولا يخلو منك وقت من أوقاتي ، ولا تفتقدك ساعة من ساعاتي

فالفكر مليء بك والخاطر حائم حولك .

فانت معين الفؤاد الذى لا ينضب وفيضه الذى لا يغيب ودأبه الذى لا يستريح فى الليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس .

وعلمت ما اكنه لك وأضمره واعلنه وأسره فانطلقت تبادلني ودادا بوداد ، وألفة بالفة ووفاء بوفاء فعادت على بلادي وبلادك عوائد تصافينا وتبارينا وهدى الله سبلنا الى ما فيه صالح احوالنا ونجاح اعمالنا .

دعوات ملك صالح

اللهم اني استزيد من نعمك وءالائك ، واسترد من فواضلك وعوارفك ما يزيد الاواصر الواصلة بيني وبين شعبي استحكاما وتمكينا ، والروابط الجامعة بيننا توثيقا وتمتينا .

اللهم اني اسالك وانت الموفق والهادي والآخذ بيد الرائح والغادي ان تجنبني وشعبي مواطن الخطأ والضلال ، ومواطن الزلل والزيغ والانحراف ومسالك الباطل وطرائق الاعتساف .

اللهم ايدني وشعبي فيما نرومه ونبتغيه ونؤمله ونرتجيه بحول هدايتك وعون رعايتك واكتب لما نخطه ونرسمه ونعده ونحاوله ونمارسه ونزاوله عاقبة الاعمال المحمودة لديك وخاتمة المساعي المحببة اليك المستوجبة لرضائك وثنائك الفائزة بثوابك وحسن جزائك .

اللهم ادم على هذا البلد سمة الاعتصام بدينك ، والاسترشاد بكتابك والاقتفاء بسنة نبيك ، والاستمتاع بامنك واطمئنانك ، وزده اللهم رفاهة الى رفاهة ورغدا الى رغد ويسارا الى يسار وسؤددا لا يخلق ولا يبلى وعزا لا ينفد ولا يتولى والهمه اللهم شكر ما واليت له من ايادي بيضاء وحمد ما حشدت من رحابه من منن متوافرة غراء .

اللهم اني اسالك ثقة موكولة اليك وتأمينا منقطعا الى كرمك وتفويضا لا اقصد به سواك وعقيدة مقرونة بالاخلاص وايمانا لا يعتريه نقصان ويقينا لا يعوزه برهان ، واملأ قلبي بخشيتك ومهابتك وسدد خطاي الى واسع مرضاتك ولا تحرمني فى الغدو والآصال من تأييدك الذى تمليت نعماءه وتفيأت وارف الظلال واعزازك الذى حالفني وناصرني وثبت جناني .

اللهم اني اسالك ان تعطر صحيفتي بجميل الافعال والاقوال وتخلد ذكري بالصالحات بين من اصطفيتهم لتقلد اعباء القيادة واجتبيتهم لحمل اثقال الامانة وكتبت عليهم نشر الرفاهية والسعادة .

اللهم اسعدني بسعادة شعبي واجعل اطراد رقيه من وكدي ودأبي .

اللهم اني اهفو اليك بجوارحي وقلبي واستوهبك المزيد من التسديد والتأييد واستلهمك الكثير من التوفيق والتيسير والتمهيد واستمنحك الهداية الى حمدك وشكر سوابغ نعمك وجميل احسانك وصنيعك وادعوك لي ولشعبي ، فتفضل بالاستجابة واكتبني واياه مع المتقين وصفوة العاملين الذين اعددت لهم جزاء المخلصين وثواب المهتدين المصلحين انك للمؤمنين المفزع الذى لا يخيب قاصده والملجأ الذى لا يرد وارده .

رب اوزعني ان اشكر نعمتك التى أنعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك فى عبادك الصالحين .

والسلام عليكم ورحمة الله .

دراسات مغربية :

ماهو الدور الفعال الذي يجب أن يقوم به الطلبة في تكوين العالم الإسلامي

لسماحة الأستاذ أبو الأعلى المودودي
أمير الجماعة الإسلامية في باكستان

قبل أن ادخل في صلب الموضوع الذى اريد ان اتحدث اليكم عنه اود ان اعرب عن السرور الذى يساور قلبي عما اشاهد فى جميع الجامعات والكليات فى العالم الاسلامي بل فى العالم غير الاسلامي ، الى حدما، من وجود مجموعة طيبة من الشباب الذين استنارت قلوبهم بنور العقيدة . والذين يقدرون مسؤولياتهم فى الدنيا كمسلمين . ويبذلون قصارى جهدهم فى بعث الروح الاسلامية فى المعاهد التعليمية . وهذه ظاهرة لا يتمالك كل من فى قلبه حب واخلاص للعالم الاسلامي الا ان يقدرها وينظر اليها بنظرة الرضا والاعجاب والاستحسان . كما ان هذه الظاهرة ليست مما ينطوي على نوع من الخطر، بل من عين فضل الله على هذه الامة البائسة ان يوجد فى المعاهد التعليمية وفى الحقول التربوية شباب يعرفون واجبهم ويؤدونه بنشاط ووعي ، رغم ما يسود النظام التعليمي والتربوي فى كافة البلاد الاسلامية من افكار وتقاليد غربيتين .

اما الموضوع الذى اريد أن أحدثكم فيه فهو : ما هو الدور الذي يجب ان يقوم به الشباب ولاسيما الطلبة منهم فى بناء مستقبل العالم الاسلامي ؟

اوضاع متجانسة ومشكلة واحدة :

ويجب ان تثبتوا فى قرارة اذهانكم ، قبل كل شيء ، ان كلمتي هذه موجهة الى الطلبة فى جميع البلاد الاسلامية التى بعد بقائها لمدة من الزمن تحت الاستعمار الغربي المباشر ، وانهزامها أمام الامم الغربية فى كافة مجالات الحياة ، استسلمت فى النهاية للفكر الغربي والحضارة الغربية ، وعادت كل شعبة من شعب حياتها ، بما فيها شعبة التعليم والتربية ، تمثل النظريات والمناهج التى تلقتها من الغرب . ان الظروف والاوضاع التي يعيش فيها العالم الاسلامي بأسره اليوم هي ظروف واوضاع متماثلة متجانسة ، كما ان الطلبة فى العالم الاسلامي جميعه يواجهون مشكلة واحدة .

الام الاسلامية لا البلاد الاسلامية :

والامر الثاني الذى يجب ان لا يغيب عن بالكم كذلك هو أن ليس مرادي بالبلاد الاسلامية حدودها الاقليمية ، أو جبالها الشامخة، او انهارها الساحرة ، أو شلالاتها الهادرة بل هي عبارة عن اشخاص يعيشون فى حدودها . ومن المعلوم ان الانسان دائما عرضة للفناء ، ولكل منهم اجل مسمى . اذن فاننا اذا اردنا أن تخلد فى هذه البلاد حضارتنا وثقافتنا ، وتدوم فيها مدنيتنا ومنهاج حياتنا فلن يتحقق هذا الا ان ننقل بأمانة ونزاهة وصدق ما توارثناه عن اسلافنا من ميراث الى اجيالنا القادمة . لا هذا فحسب ، بل نجعل اجيالنا القادمة كذلك تصلح لحمل هذه الامانة بكل كفاءة وشعور لتتمكن هي كذلك بدورها من نقل هذه الامانة الى ما يعقبها من الاجيال .

حقيقة فناء الامم وبقاؤها :

ان الامم التى بادت واندثرت فى الدنيا حيث لم يبق لها اثر. ما بادت واندثرت بمعنى انقطاع جنسها. بل انها بادت بمعنى أن كيانها القومي انهار وزال عن الوجود . ونحن اذا قلنا — مثلا — ان الامة البابلية هلكت او ان الامة الفرعونية انعدمت ، نريد بذلك : ان الحضارة التى كان أهل بابل والفراعنة يرفعون لواءها امحت خصائصها ، وذهبت سماتها المميزة هباء منثورا . اما الجيل البابلي فهو لا يزال يتناسل ويتوالد الا أن شخصيته القومية اندثرت ، وكذلك جنس المصريين القدامى لا يزال على وجه الارض يتناسل ويتوالد ، ولكن الحضارة التى عرفت بالحضارة الفرعونية فلا ترى لها اثرا . لان اجيالهم التي توالت فقدت الكفاءة التى تستطيع بها نقل ما توارثته عن اسلافها الى اخلافها . وقد ثبت من ذلك أن أجيال شعب من الشعوب اذا فقدت شخصيتها القومية وانصهرت فى بوتقة شخصية اخرى فهذا يعني انها قد اندثرت وفنيت . ومما يشهد عليه التاريخ ان غابت اثنتا عشرة قبيلة من بني اسرائيل عن الوجود ولم يعثر لها التاريخ حتى هذه الساعة على اثر . فلا يفسر ذلك بأنها قتلت عن ءاخرها او اقتلعت جذورها من الارض الى الابد ، بل المراد من ذلك انها قد مات فيها الوعي الاسرائيلي، ولم ينتقل هذا الوعي الى أجيالها المتعاقبة . ثم لما اندثرت فيها الخصائص الاسرائيلية والحضارة والمدنية الاسرائيلية التى كانت تميزها عن غيرها ذابت فى الشعوب الاخرى فى الدنيا. حتى لا يعلم ابناؤها اليوم بأنهم اسرائيليون . ومن ثم فالذى تتوقف عليه حياة شعب من الشعوب ويرجع اليه بقاءه واستمراره على المعمورة هو عنايته باعداد جيل قادم على مستوى يجعله كفؤا للمحافظة على شخصيته القومية . وبما ان هذا الموضوع من الاهمية بمكان أريد ان اشرحه لكم بشيء من التفصيل .

واجب تحويل التراث الحضاري الى الاجيال القادمة :

ان هذه الارض التى تعيشون عليها كان قد فتحها اسلافنا لتتمثل فيها الحضارة الاسلامية ، ويطبق فيها نظام الحياة الذى كانوا يؤمنون به ، وتحكمها القوانين التى كانوا راوها صحيحة ، ومناهج العمل التى اعتبروها صالحة وان استمرار الاجيال لاسلامية يعتمد كليا على سعي الجيل الحاضر لنقل التمدن والحضارة الاسلامية فى منهجها الربانى الراشد الذى توارثناه عن اسلافنا الكرام وتميزنا به عن امم العالم اجمع نقله الى الجيل الناشيء .

لا يمكن ان يدوم الافراد المسلمون ، ولكنه من الممكن أن تدوم الامة الاسلامية طوال القرون ، بشرط ان تتوفر فيها الكفاءة اللازمة فى كل دور من ادوارها لنقل التراث الحضاري الى الاجيال القادمة ، وان تستمر عملية نقل التراث هذه على مر الاجيال . واما اذا لم نقدر على ابقاء الخصائص الحضارية المميزة لامتنا واصبحت اجيالنا الناشئة تصطبغ بالحضارة الامريكية مثلا ، وتفتتن بها ، وتنصاغ فى قالبها بدلا من الحضارة الاسلامية ، فان هذه الارض لن تبقى ارضا اسلامية ، وانما تتحول ارضا امريكية ءاجلا او عاجلا . نعم ستوجد اجيالنا على وجهها ولكن متمثلة فى قالب امريكي . ولا يعني ذلك بقاء الحضارة الاسلامية التى لاجلها اخذت هذه الارض ، بل يعني ذلك بقاء الحضارة الاخرى ، التى تقضي على شخصيتنا القومية أو بالاحرى على شخصيتنا الاسلامية. ولكم ان تتبينوا من ذلك طبيعة المسألةالتى يواجهها الطلبة وتدركوا اهميتها ودورها فى التاريخ. ان هذه المسالة ليست مسالة التعليم فقط بل هي مسألة لها علاقة مباشرة بكيان الشخصية الاسلامية وبقائها واستمرارها . ونحن لا نستطيع ان نبقى كأمة اسلامية الا أن يبقى النشء الجديد الذى يجتاز اليوم دور التكوين والاعداد فى المعاهد التعليمية والتربوية .. يبقى هذا النشء متمسكا بالحضارة الاسلامية وحاملا لواءها وداعيا اليها .

طريقتان لعملية نقل التراث الحضاري :

ولا تتحقق هذه الغاية الا بطريقتين : الطريقة الاولى : ان ينهض الطلبة انفسهم لتحقيقها . والطريقة الاخرى : أن تضع الحكومة نظاما للتعليم والتربية يحقق هذه الغاية . والقي الاضواء بايجاز على هاتين الطريقتين فيما يلي :

طريقة تخص بالطلبة :

ان الطلبة الذين يدرسون فى الجامعات والكليات يبلغون سن الرشد ، ويتمتعون بالنضج

والوعي ، ويستطيعون ان يميزوا الخبيث من الطيب والخير من الشر . وان التعليم الذى يتحصلونه بامكانه كذلك ان يجعلهم يعرفون شخصياتهم ان ارادوا ، ويشقون الطريق الى الامام ان نهضوا . ومن ثم فان كل الثقل فى هذا الشان لا يكون على عاتق الحكومة وحدها ، بل على عاتق الطلبة انفسهم كذلك. ويجب ان يكون الطلبة الشباب على شعور تام بأنهم مسلمون وانهم مدعوون لان يعيشوا على هذه الارض حياة اسلامية ويحتم ذلك ان تلتهب فى نفوسهم جذوة الشوق الى معرفة ما هو المنهاج الذى يضمن لهم البقاء ، وما هي الخصائص البارزة المميزة للامة الاسلامية اي الخصائص التى اذا تخلوا عنها، وفقدوها ينهار كيان شخصية الامة الاسلامية وتصبح خاوية على عروشها .

مبادىء الاسلام الاساسية :

ان جوهر الاسلام واساس بنائه عقيدة التوحيد، وعقيدة الرسالة ، وعقيدة البعث . ويجب ان يكون كل رجل من المسلمين على معرفة بهذه العقائد او الدعائم الثلاثة . ويجب ان يكون كذلك على معرفة بأن هذه العقائد اذا تسرب اليها الشك ، او تغلغل اليها الضعف، لا يمكن له ان يعيش بعد ذلك فى الدنيا فى ظلال الحضارة الاسلامية . ان اي كل شيء يدخل الشك او الوهن على هذه العقائد والاسس الجوهرية يستاصل الحضارة الاسلامية من جذورها . ان هذه الارض لن تبقى كأرض اسلامية ان لم تبق فيها الحضارة الاسلامية كما ان الحضارة الاسلامية فى الدنيا لن تبقى ابدا اذا لم تدعمها المبادىء الثلاثة : مبدأ التوحيد ، ومبدأ الرسالة ، ومبدأ البعث بعد الموت .

ضرورة تركيز الجهود على المحافظة على هذه المبادىء :

والذى يجب العناية اليه اكثر من غيره هو ان ينهض الطلبة الذين يتمتعون بالشعور الاسلامي لمقاومة كل حركة او دعوة تدعو الى الالحاد والمادية . وتعمل للتشكيك فى العقائد الاسلامية وتوهن الايمان بها . فلا يدعوا حركة من شانها القضاء على هذه العقائد ان ترفع راسها وتزدهر وتشق طريقها الى الامام بينهم . يجب ان يقاوموها متخذين اية وسيلة من الوسائل الممكنة حرصا على بقاء الشخصية الاسلامية فى الارض . والرجل الذى يبث فى اذهان الناس شبهات حول هذه العقائد فى الارض الاسلامية فانه لا يقترف جريمة الكفر فقط ، ويقترف جريمة الارتداد فقط ، بل هو يرتكب الخيانة الكبرى فى حق الارض الاسلامية ، ويقصد استئصال شافتها . هذه حقيقة يجب ان تسجلوها على لوح قلوبكم . وان فرط احد منكم فى هذا الامر فليحذره فى المستقبل . ومن هنا فلا يترك للافكار الهدامة والمبادىء الالحادية ان تنبت ، وتترعرع ، وتستوى على سوقها فى معهد من المعاهد ، او فى كلية من الكليات ، او فى جامعة من الجامعات ، او فى مدرسة من المدارس فى البلاد الاسلامية . ولا يتاح لفلسفة من الفلسفات التى تهدم دعائم الاسلام الاساسية ، وتدخل الشك على مبادىء الاسلام الاصيلة ، ان تتأصل اصولها ، وتثمر ثمارها الخبيثة ، وتنتج نتائجها المرة .

ضرورة الاستمساك بالاخلاق الاسلامية والحضارة الاسلامية :

والامر الثاني الهام الذى يجب ان يلتفت اليه اخواننا الطلبة الشباب هو ان يعلموا : ان بقاءنا كما يتوقف على عقيدة الاسلام ، كذلك يتوقف على الاخلاق والقيم الاسلامية . فهناك علاقة عميقة وثيقة بين العقيدة والاخلاق . ووجود احدهما يستلزم وجود الآخر . وان العقيدة الاسلامية هي التى تطالب منا الاخلاق والقيم المخصوصة . ومما شوهد منذ فترة طويلة ان معاهدنا التعليمية تهاونت او تغافلت فى تنشئة الاخلاق الاسلامية فى الطلبة . بل مما زاد الطين بلة الاعتناء بزرع بذور الثقافة التى تعارض جميع التصورات الاسلامية ، وتناوىء سائر المبادىء الاسلامية للاخلاق فيها. ولنكن على ذكر : ان الاخلاق والقيم التى تستطيع ان تنهض على اساسها امة من الامم الغربية لا نستطيع نحن ان ننهض عليها ، بل نحن لا نقدر على النهوض والتقدم والرفعة والسيادة فى العالم الا بالمبادىء الخلقية التى جاءنا بها الاسلام وهدانا الله ورسوله اليها . ويمكن لرجل من الغرب ان يضحي بنفسه ونفيسه دفاعا عن وطنه وهو يعيش راقصا طربا ومدمنا للخمر وممارسا لجميع المنكرات والفواحش الاخلاقية . وذلك لان الفلسفة التى تقوم

على أساسها اخلاقه المادية لا تعارض هذه المنكرات والفواحش . الا ان المسلم الذى يعلم كل العلم أن هذه الاشياء قد حرمها الله ورسوله ، لا يمكن ان يتبع هذا النوع من الحياة ويختار هذا الطراز من الثقافة الا اذا اعرض عن التعاليم الاسلامية الاساسية ، ونبذها وراء ظهره . ان الرجل الغربي اذا اقترف هذه الموبقات فهو لا يتعارض مع ما لديه من المباديء الخلقية والقيم الحضارية. غير اننا باقترافنا هذه الموبقات نجد اننا قد نقضنا جميع المباديء التى تتاسس عليها اخلاقنا وقيمنا . ان المسلم ان تناول الخمر فموقفه يختلف تماما عما اذا تناوله الغربي . ان الاضرار التى يولدها الخمر فى جسد الانسان ونفسيته يتساوى فيها سائر الناس ، وهو لا يفرق فى ذلك بين المسلم والكافر. وبما ان الخمر ليس بحرام في ديانة الكافر فلانه اذا ما تعاطاه لا يغير الا جسده ونفسيته ولكنه ما داس عقيدته وديانته. وعلى عكس من ذلك ان المسلم لا يرتكب هذا السوء والحرام الا بعد أن ينشأ فى ضميره دافع التمرد على الله ورسوله ، وعدم الاكتراث باليوم الذى يحاسب فيه عن مثقال ذرة من خير او شر . ثم انه لا يقف بعد ذلك عند حد انتهاك حرمة واحدة ، بل يتجاوز ذلك ، ويمضي فى انتهاك جميع الحرمات ونقض جميع القيود والالتزامات الخلقية . حتى يأتي يوم لا يبقى فى نظره امر من امور الاسلام يستحق التقديس والتكريم ويتحرج من تمريغه فى الوحل ودسه فى التراب .

مدى اضرار الحضارة غير الاسلامية فى المجتمع الاسلامي :

ولكم ان تقدروا من ذلك : ان الحضارة غير الاسلامية اذا راجت فى الامة الاسلامية فان اضرارها وويلاتها ستكون اكثر منها مما يمكن ان تتولد من رواجها فى امة غير مسلمة . وذلك لان الاثرات السيئة التى تتولد منها فى الامم غير الاسلامية هي من نوع الاثرات التى تتولد فى فرد من الافراد من شرب الخمر او من اقتراف فعل سيىء مثلا . اما نحن المسلمين اذا اخذنا بالحضارة الفاجرة واتبعناها فانها تعود على عقيدتنا ومبادئنا الايمانية ايضا بالاضرار ، وتزلزل دعائمها ، وتضعف اصولها فى قلوبنا ، وتثير فى قلوبنا اسباب التمرد على الله ورسوله ، وتبعثنا على الخروج عن دينه . ولا يمكن بعد نشوء هذه الاسباب ان نثبت على اطاعة نظام من النظم وعلى ولائه فى الدنيا ، لان المرجع الذى كان احق ان نطيعه ونستسلم له قد تمردنا عليه واعرضنا عنه . ولاجل هذا السبب نفسه ان المسلم اذا بدا فى مخالفة الاحكام الاسلامية فلا يقف عن حد مخالفة او مخالفتين بل ينزلق فى المخالفات تلو المخالفات حتى لا يبقى فى ضميره اي شيء من قبيل الشعور بالمسؤولية ، ولا يبقى فى نظره لقانون من القوانين اي احترام ، ولا يقف انهياره الخلقي عند حد من الحدود . ولكم ان تتبينوا كذلك ان الرجل المسلم الذى رغم ايمانه بالله ربا وبمحمد رسولا وبالقرءان كتابا ، يأتي بالعمل الذى يعلم ان الله قد نهاه عنه ، وان رسوله قد ذمه ، وان القرءان عده من المحرمات، ووعد مرتكبه بعذاب يوم القيامة فأي شيء بعد هذا فذاك يستطيع ان يدفعه على تقديس أي من القيم الخلقية واحترامه لها ؟ وما له ان يلتزم بقانون شرعته هيئة تشريعية وهو لا يؤمن بالوهيتها وربوبيتها ؟ وانى له ان يضحي بنفسه ومصالحه الذاتية فى سبيل شعب او وطن لا يعتبره معبودا يعبد ؟ وبما انه يكون قد تعود على انتهاك حرمة اقدس شيء وهو شريعة الله ، واصابه الداء العضال لمخالفة القانون ، والتمرد على اسمى قانون باعتبار عقيدته ، تصبح مخالفة القانون عادة من عاداته ولا يرجى منه بعد ذلك الالتزام بقانون من القوانين فى ناحية من نواحي الحياة . والرجل مثله لا يصلح ان يكون عضوا فى اي مجتمع متحضر ، فضلا ان يكون عضوا فى مجتمع اسلامي.

جريمة الذين ينشرون الثقافات الماهرة فى الشباب الاسلامي :

ان الانسان اذا فهم هذه الحقيقة الناصعة ، وادرك ابعادها تمام الادراك فلابد له من ان يستشعر بفداحة الجريمة التى يقترفها الناس الذين يجعلون من شبابنا فى المعاهد قوما مترفين ، وينفخون فى روعهم الولوع بالرقص والطرب والمجون والاستهتار بالقيم ، ويزينون لهم الثقافة الماهرة ، ويجعلونهم صرعى الغواني ، ويولدون فيهم مرض تحطيم قيود الاخلاق الاسلامية ، فما اعظم جريمة هؤلاء الناس فى حق البلاد الاسلامية . وما افدح خيانتهم لها ! اذن يجب على شبابنا الطلبة ان يشعروا بنتائج هذه الاعمال . واذا وقع من بيدهم ازمة الامور فى هذا الخطأ عن جهلهم وغباوتهم وحمقهم يجب على الطلبة ان يجتنبوه ويصونوا انفسهم من التدنس ماامكنهم ذلك ، وعليهم ان يخلقوا فى محيطهم الطلابي رأيا

عاما ووعيا شاملا يجنبهم الوقوع فريسة للحضارة الفاسدة الفاجرة السائدة، ويضيق الخناق عليها .
ونتساءل : لو كان نشأ في الطلبة انفسهم من شعور يدفعهم الى معارضة هذه الثقافة العاهرة فأي قوة بعد ذلك تقدر ان تنفذ الحضارة الالحادية والثقافة الماجنة في المعاهد بوسائل القسر والارغام ؟ ومما لا جدال فيه ايضا انكم اذا لم تحبوا الرقص مثلا فليس لسلطة من السلطات ان تقهركم عليه . وانما هناك تشويق وتدجيل من الشيطان يغري الناس على ما يغري من المنكرات . ويفسد عليهم عاداتهم واذواقهم وميولهم . ولكن الطلبة اذا انتبهوا بأنفسهم الى أن هذه الثقافة العاهرة انما هي داء وبيل يدخل في نفوسهم من الخارج، بامكانهم ان يحذروه، ويتقوه، ويقاوموا محاولات بثه في المعاهد . واود ان يبذل الجهد في خلق الوعي المقاوم لهذه المنكرات في المحيط الطلابي .

هذان امران من الامور التى تتعلق بالطلبة انفسهم. وهم ان اخذوا بهما يستطيعون ان يقضوا على المنكرات التى تنتشر في معاهدنا التعليمية وتسبب ما تسبب من الاضرار في الافكار والاخلاق.

هذا، والآن ابحث بايجاز فيما يعود على الحكومة من الواجبات والمسؤوليات في هذا المجال .

مدى خطورة انتشار الخيانة في المجتمع :

ان اول شيء يجب على الحكومة ان تتفكر فيه وتسبر غوره هو : ما هو السبب في تفاقم امر ما يسمى بالانكليزية (Corruption) ويعبر عنه في اللغة العربية: بالفساد والخيانة والتلف والرشوة . وما هي البواعث التى تعمل وراءها ، وتجعل كل جهد للقضاء عليها واقتلاع جذورها يذهب سدى . هذه ظاهرة تعم الامة الاسلامية هذا العصر ، وتجعل كل نظام من نظم التشريع شيئا لا يجدي ، لان كل قانون يوضع لاصلاح الفساد يجعله فساد الهيئات التنفيذية نفسها ملغى المفعول . بل ان كل التزام صادر من المشرعين يفتح بابا جديدا من الرشوة . ولا يقف الامر عند هذا الحد . بل بفضل هذه الرشوة يهرب المهربون اغلى اشياء الى الخارج ، ويبيعونها للاعداء ، بل يهربون الاشياء التى تكون البلاد اليها احوج ما يكون ، كأن الرشوة تربي اعداءنا على نفقاتنا . ولكم ان تتقدموا خطوة اخرى تتفكروا: ان الرجل الذى يعاطي الرشوة والغش مع ابناء وطنه مقابل مائة روبية مثلا هل يتحرج من بيع اسرار الدولة للاعداء اذا كوفيء على ذلك بعشرة ءالاف روبية مثلا ، فحينما ينتشر في البلاد وباء الخيانة وبيع الذمم ويصاب به الآلاف من افراد البلاد الذين يستعدون لان يضحوا بدينهم وعقيدتهم وامانتهم ووطنهم في سبيل المصالح الشخصية يستطيع الفاسدون المفسدون من ابناء بلادنا ان يستخدموه في تحقيق مآربهم ، كما يستطيع الاعداء كذلك ان يستخدموهم ويتخذوهم اداة طيعة لتدمير كيان الامة .

مصدر انتشار الخيانة :

تفكروا قليلا ، اي شيء يعمل عمله وراء هذه الظاهرة المؤلمة ؟ من الواضح البين ان الذين يمارسون هذه الظاهرة المؤلمة من الخيانة والرشوة والغش وما شابهها هم ليسوا الا جماعة المثقفين من بلادنا ومن اخواننا. وهم الذين بيدهم أزمة تسيير دفة الحكم لا بيد القرويين الاميين . وهؤلاء كذلك تخرجوا من معاهدنا الحاضرة . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على وجود نقص في نظامنا للتعليم يخرج هذا العدد الهائل من الافراد المصابين بداء الخيانة والرشوة . واذا تأملنا في هذا النظام علمنا أن من النقائص الاساسية في هذا النظام ان الدعائم التى تقوم عليها عقائدنا وحضارتنا واخلاقنا ان هذا النظام بدل ان يحكمها ويثبتها يوهنها وينخر فيها : يثير حولها الشبهات ، ويدفع بعض الافراد حتى الى الانكار بهذه العقائد . وقليل ما هم يخرجون من هذا النظام بصحة وسلامة بدون ان يتزعزع بناء العقيدة في قلوبهم . والذين يدعونا الى التفكر ، والامر كما قلت ، هو انه اذا صارت عقائد الاغلبية المثقفة واهية مهلهلة فأي شيء نملكه بعد ذلك لنجعلهم قائمين على المباديء والقيم الخلقية بتطعيمه اياهم؟ والذى لا يخاف الله ولا يتقي عذاب يوم القيامة فأي شيء يستطيع ان يردعه من ان يتحول خائنا كاذبا متهاونا في المسؤولية ؟ ان الذى اصبح لا يدين بالولاء لما هو فوق نفسه او خارج مصلحته كيف لكم ان تقنعوه بالتضحية بمصالحه الشخصية في سبيل فضيلة من الفضائل؟ اذ لابد للاقتناع بالتضحية بالنفس والمال من الولاء لسلطة عليا وليس للمسلم من الولاء الاساسي الا ولاءه لله ورسوله والملة الاسلامية. فاذا اضعفنا هذا الولاء في قلوب الناس وجعلناه اوهن من بيت

العنكبوت فلابد ان تنشأ فيهم الاثرة والانانية ويصبحوا لا يتحرجون من التضحية بأغلى شيء واثمنه واقدسه في سبيل مصالحهم الشخصية .

قوة المبادىء الاسلامية في اصلاح الامة :

وبمجرد تثبيت هذا الولاء في ضمائرهم يمكنكم ان تنشئوا فيهم ما يجعلهم قائمين بالعدل والقسط وثابتين على الحق والصدق ، ويجعلهم يتخلون عن تحقيق كل المكاسب غير المشروعة في الدنيا بدافع من خشية الله وشعور بالمسؤولية أمام الله يوم القيامة ، ويجعلهم يتحملون كل تضحية مهما كبدتهم الخسائر في الدنيا بكل ارتياح مدفوعين بدافع الولاء لله ورسوله ودينه . وللناس الآخرين من غير المسلمين قيم اخرى ومراجع للولاء اخرى يبنون عليها اخلاقهم . فاذا أردتم ان تنشئوا في امتكم حب مصادر الولاء الاخرى لا بد لكم من مدة خمسين سنة لهذه العملية التحويلية اي لجعل امتكم امة غير مسلمة . ولابد لكم من خمسين سنة اخرى كذلك لجعلها امة افرنجية كاملة الوجوه مثلا . وقبل هذه المدة لا تستطيعون ان تنشئوا فيها نفس الاخلاق القومية التي ترونها في الامم الغربية ، وتفتتنون بها . اما اذا اردتم بناء هذه الامة على الاخلاق الاسلامية فيمكنكم ان تبدأوا بالعمل لاجله من الساعة ، وتقطفوا ثماره في ظروف عدة سنوات . لان العقائد الاسلامية المتمثلة في التوحيد والرسالة والايمان بالآخرة انما توارثها شبابنا المسلمون عن ءابائهم ، كما انها تجري مجرى الدم في بيئة المجتمع المسلم وفي تقاليد المسلمين القومية . وان هذه الجذور التي تتأصل في الارض الاسلامية منذ ذي قبل اذا سقيتموها ولو بقليل من الماء : ربت ، وانبتت ، واخذت زخرفها ، واثمرت ثمارها . ان الاستعمار ما كان يعتني بحضارتنا وباخلاقنا بل انه كان يعتبر كوننا مسلمين خالصين في الاسلام متحلين بالاخلاق الاسلامية خطرا عليه . لذلك انه طبق في البلاد الاسلامية التي احتلها نظاما للتعليم والتربية يمتاز بزلزلة قواعد الايمان في قلوبنا ، ويمتاز باثارة الشبهات حول عقائدنا الاسلامية ، ويمتاز بالاستخفاف بحضارتنا وتهوينها بل تحقيرها في عيوننا . وكانت مطامع الاستعمار السياسية هي التي تفرض عليه ان ينحرف بنا عن الاسلام جهد طاقته . ولكننا بعد ان تخلصنا من نير عبوديته وتولينا امرنا بانفسنا ، اذا اخذنا بالنظام الاستعماري للتعليم والتربية فمعناه اننا عازمون على الانتحار !

الاساتذة المشبوهون خطر كبير على الاسلام :

وفي معاهدنا التعليمية جماعة من الاساتذة يبذرون في قلوب الطلبة بذور الشبهات حول الاسلام ، ويواصلون جهدهم في اقناعهم بأن الاسلام دين ليست له حضارة وليست له مدنية ، وليست له مبادىء سياسية ، وليس له نظام اقتصادي . واذا كان ، فلا يلائم مقتضيات العصر الحاضر ، والقوانين الاسلامية اكل عليها الدهر وشرب واصبحت لا تصلح للعصر الحاضر المتحضر ، ولم يحقق المسلمون عبر تاريخهم عملا بطوليا ، وكل الابطال الذين نسمع عنهم هم كانوا غير المسلمين ، وكل ائمة انواع العلوم والوان الفنون والآداب واصحاب الاختراعات هم كانوا غير المسلمين — وأقول بصراحة: ان الاساتذة الذين يدرسون شبابنا هذا النوع من الدروس ، ويعبئون اذهانهم بهذا اللون من الافكار هم خونة ، وبل هم اشد الناس خيانة وعداوة للبلاد الاسلامية ، لانهم يقضون على الحضارة الاسلامية وبالتالي يعملون على تدمير هذه البلاد. وما اسوا طالع الشعب الذي تنشأ أجياله على ايدي مثل هؤلاء الخونة . ومما يزيد الامر خطورة ان هناك اقساما عديدة في المعاهد في بعض البلاد الاسلامية يتولاها الاساتذة الامريكيون والمستشرقون ولاسيما اقسام التربية وعلم الاجتماع وهم لا يدخرون جهدهم في افساد افكار جيلنا الحديث فيما يتعلق بالتعليم والاجتماع . أليس هذا انتحارا ؟

نقائص المناهج التعليمية :

وكذلك يجب على حكومتنا ان تتفكر : كيف نزيل النقائص التي توجد في نظامنا للتعليم والتربية؟! اما العلوم والفنون التي تدرس في البلاد الاسلامية هي ليست ناقصة في حد ذاتها والفساد كل الفساد يكمن في ان الذين دونوها هم لا يؤمنون بالله ورسوله. ولذلك هم دونوها بطريقة ينشأ بها تلقائيا في اذهان الطلبة تصور الحادي عن الكون وما فيه . حيث هم يصورون الكون بانه تكون بدون ارادة مدبرة ، ويسير بدون ان يسيره احد ، وليس هناك من اله خلقه ودبر امره ونظم سيره . وكذلك ان التصور

الذي وضعت عليه هذه العلوم واقيم عليه بناؤها هو: ان الانسان سيد نفسه وموجه نفسه ، ولا يفتقر الى اله يهديه بل لا تأتيه الهداية من اله . وهذان التصوران يقتلعان اصل الحضارة الاسلامية . وعلينا ان نبدل هذا الاتجاه فى تدوين هذه العلوم وبيانها باتجاه جديد يقوم على اساس الايمان بالله . ومما لا يختلف فيه اثنان اننا مدعوون الى ان ندرس جميع المعارف من العلم والفلسفة والاجتماع ، ومدعوون الى ان تدرس كل فرع من فروعها ونستفيد من المعلومات التى وصل اليها الانسان فى ادوار التاريخ . ولكننا اذا اردنا ان نحيا ونبقى مسلمين يجب ان لا ندرس هذه العلوم الا بعد ان نجعلها (اسلامية) ولا شك فى ان هذه العلوم فى اطارها الراهن تجعلنا (غير مسلمين) فى النهاية شئنا ام ابينا . هذه هي المسألة الاساسية لنظام تعليمنا الحاضر . وكلما نبادر الى ادراك اهميتها ومعالجتها كلما تقترب من الخير والسعادة .

وكثير من الناس تساورهم الحيرة والقلق اذا سمعوا هذه الفكرة ، ويقولون : هل للعلوم التجريبية علاقة بالاسلام . يقولون هذا مع انهم يشاهدون بأم اعينهم ما جرى في روسيا التى تدعو الى الفكرة السوفيتية بالنسبة للعلوم التجريبية . فقولوا لي بالله : اذا لم تكن للعلوم التجريبية علاقة بالاسلام فهل لها علاقة بالماركسية ؟ لا يحب شيوعي ان يدرس اي فرد من افراد مجتمعه العلوم البورجوازية ، والفلسفة البورجوازية والتاريخ البورجوازي ، والاقتصاد البورجوازي ، بل انه يدرس جميع هذه العلوم والآداب مصبغة بالماركسية حتى يتوفر فى مجتمعه علماء اشتراكيون واخصائيون اشتراكيون . لن يبقى المجتمع الاشتراكي على قواعده لو سمح فيه تدريس العلوم التى دونت من وجهة نظر البورجوازية . بل من الطبيعي ان كل رجل يملك حضارة مخصوصة ويملك منهجا خاصا للحياة لا يرضى ان يعلم نشاه الجديد علوما وفنونا دونها رجال يعارضون حضارته ومنهجه للحياة لان معناه القضاء على شخصيته والذوبان في قوالب غيره .

العلوم التجريبية لها ناحيتان :

اما القول بأن العلوم التجريبية علوم عالمية لا تنحاز لدين من الاديان فهذه غلطة كبيرة وجهل فاحش . ان العلوم التجريبية لها ناحيتان : ناحية عبارة عن الحقائق وقوانين الطبيعة التى تعرف عليها الانسان بعد ان اجتاز مراحل عديدة من التجربة والاختبار والمشاهدة . وهذه الناحية لا يشك احد فى كونها عالمية . والناحية الثانية تتمثل فى العقلية التى تدون هذه الحقائق والمعلومات ، وتضع على اساسها النظريات كما تتمثل الناحية الثانية فى اللغة التى تختارها هذه العقلية كأداة للتعبير عن هذه النظريات. فهذه الناحية هي ليست بشيء عالمي . بل لكل داع من دعاة الحضارات المنوعة فى العالم اسلوب يخصه وينفرد به . وهذا امر طبيعي . ونحن اذا دعونا الى التغيير فى العلوم التجريبية لا نريد الناحية الاولى ، وانما نريد الناحية الثانية فقط .

واضرب لكم مثلا : من الحقائق العلمية : ان كل شيء فى العالم لما يبرد يتقلص ما عدا الماء . فانه لما يأخذ فى التجمد يمتد . ولما يتحول الى ثلج يخف وزنا . ولهذا السبب نفسه يطفو الثلج على سطح الماء . هذا امر يدل عليه الواقع العلمي او التجريبي (Scientific exprimen) وهناك شخصان يعلل احدهما : بأن الماء له هذه الخاصية وهذا واقعه . والثاني يقول فى تعليله : ان الله تعالى اودع فى الماء هذه الخاصية بحكمته البالغة وربوبيته الشاملة لكي يستطيع ما فى الاحواض والانهار والبحار من مخلوق ان يعيش ويحيا . وانه لو لم يعط الماء هذه الخاصية لكان الماء كلما تجمد رسب الى الاسفل وانتهى به الامر الى تحول الاحواض والانهار والبحار بأسرها صخورا من الثلوج المتراكمة ، وما استطاع لكائن حي ان يعيش فيها . تفكروا : واقع بعينه يعبر عنه شخصان بأسلوبين مختلفين ووفق فكرتين متباينتين: كل من هذين الاسلوبين يترك فى ذهن القارىء او الطالب اثرين مختلفين : اسلوب يعبر عن الواقع ويثبت فى الوقت نفسه فى ذهن الطالب عقيدة وحدانية الله وحكمته وربوبيته . واسلوب كذلك يعبر عن الواقع ، وهو كما يعبر عنه اليوم فى تدريس العلوم التجريبية ، الا انه لا يستمد منه ذهن اي فرد من الافراد تصور الاله ، بل على الرغم من ذلك يصور هذا الاسلوب فى عينه فكرة قائلة : ان الذي يجري فى هذا الكون يجري بنفسه ، لا يد فيه لحكمة الصانع الحكيم ولربوبية الرب القدير . ولكم ان تعرفوا من ذلك : كيف ان احدى الطريقتين لتدريس العلوم التجريبية تعد العلماء الماديين، بينما الثانية تعد العلماء المسلمين بتدريس نفس العلوم .

ومن الواقع ان ليس قسم من اقسام العلوم التجريبية الا وفى امكانه أن يرسخ فى قلوب الناس

الايمان بالله رسوخا عميقا . خذوا من هذه الاقسام مثلا الفيزياء ، والكيمياء ، وعلم وظائف الاعضاء ، وعلم التشريح ، وعلم اسباب الحياة واحوالها ، وعلم الفلك ، تجدوها تكشف عن الحقائق المدهشة التي فيها الكفاية لان يكون الانسان مؤمنا بالله صادق الايمان . وليس من شيء ادعى الى الايمان بالله من حقائق العلم . وهذه هي الآيات البينات التي يكرر القرءان الاشارة اليها بين حين وءاخر . وبما ان العلماء الكافرين دونوا هذه الحقائق من وجهة نظرهم انقلب الامر ظهرا للبطن . فبدل ان يرجع منها الطالب بعقيدة التوحيد يصير ماديا ومنكرا لوجود الله تعالى، ويضحك على تصور قائل بوجود الاله ، ويسخر منه.

واريد من الحكومات المسلمة ان تكون على بينة ما بين هاتين الناحيتين من الفرق وتحاول بلوغ سر القضية . لا نستطيع ان نعد رجالا يؤمنون بالله ورسوله ومعاهدنا تدرس العلم الذى ينكر الله ، والفلسفة التى ترفض الاعتراف بوجود الاله ، والعلوم الاجتماعية التى تكفر بالخالق . واذا اردنا لانفسنا حياة اسلامية فعلينا ان نبادر الى انشاء مؤسسة بدون ما تأخير تقوم بتبديل الترتيب التأليفي الحاضر للعلوم والفنون ، وتضع كتبا منهجية جديدة تدون فيها العلوم والآداب حسب الفكرة الاسلامية . وما دام لا يتحقق هذا العمل نحن مهددون فى ديننا وعقيدتنا ومهددون فى بلادنا كبلاد اسلامية .

واجب الحكومات فى التربية الخلقية :

والامر الثاني الذى ارى من الواجب لفت نظر الحكومة اليه هو ضرورة العناية بالتربية الخلقية . ان هذه التربية وان تفتقر اليه كل مؤسسة من المؤسسات التعليمية الا ان المؤسسات التى تقوم باعداد الموظفين الحكوميين هي احوج اليها من غيرها. سواء اكانت هذه المؤسسات تختص بالتدريب العسكري ، او تدريب البوليس ، او تدريب الموظفين المدنيين . يجب ان تدرس فى هذه المؤسسات الاخلاق الاسلامية والثقافة الاسلامية كمادة اجبارية، وان ترسخ فى اذهان المتدربين العقائد الاسلامية وان يربوا على الالتزام بالاحكام الاسلامية ، وان تسد جميع منافذ تسرب الفسق والاستهتار الى هذه المؤسسات . هذا هو الشيء الذى يدعم البلاد ويحكم كيانها . اما ما نحن عليه الآن فهو اننا — مثلا — تدرب شرطيا ونظن فى جانبنا انه ما دام يسمى (بعبد الله) او (عبد الرحمن) يلزم ان يكون مسلما . فلا تدربه الا على ناحية يحتاج اليها لاداء الوظيفة البوليسية . ولا تأخذ بنا الحاجة الى ان نعمل على جعله (شرطيا مسلما صادق الايمان) . اي نظامنا للتدريب البوليسي لا يختلف عما فى الدنيا من النظم لتدريب البوليس بل هو يحذو حذوها بحذافيره . ومن نتائج هذا النظام لما يتخرج الشرطي من معهد التدريب لا يكون متحليا بالاخلاق الاسلامية . بقدر ما هو يصلح للقيام بمهام البوليس الا ان يكون هو ممن قد رحم ربي . واذا يكون فيه على رغم تهاوننا فى شانه ، من آثار للاخلاق الاسلامية فلا يرجع فضلها الى تدريبنا ، بل هو كان متزودا بها من قبل ومن مصدر ءاخر . فلا تشكوا بعد ذلك اذا كان بوليسنا مصابا بداء الرشوة ، وتنتشر الجرائم والفضائح تحت اشرافه ، ويزدهر التهريب فى ظله لانكم ما دبرتم شيئا يحلي البوليس بمكارم الاخلاق والفضائل الاسلامية .

ضرورة التربية العسكرية على مباديء الاسلام :

اما ما يتعلق بالتربية العسكرية فى البلاد الاسلامية فانكم اذا شاهدتم فى بعض المعارك من بعض الجنود والضباط العسكريين اعمالا بطولية ، ولمستم فيهم عاطفة عارمة للجهاد المقدس وشوقا متدفقا للاستشهاد فى سبيل الله ، واستعدادا مدهشا للاستماتة فهل مصدر هذا النوع من التربية والتدريب هو معاهد التربية والتدريب ؟ كلا ! انما مصدر هذا النوع من التربية هو حسن الامهات المسلمات اللوائي القين فى روع هؤلاء المجاهدين البواسل اسم الله ورسوله فى نعومة اظفارهم ، او مصدرها المجتمع الاسلامي الذى رسمت البقية الباقية من تقاليده ، فى قلوب هؤلاء البواسل تصور الاله ، وتصور الرسول ، وتصور الجهاد المقدس ، وتصور الشهادة فى سبيل الله ، وبذرت فى اذهانهم بذور الاسلام ، الامر الذى يخلو منه نظامنا للتدريب . الا اننا اذا واصلنا جهودنا فى افساد المجتمع الاسلامي فالام تبقى هذه التصورات الاسلامية وآثارها المعجبة؟ ومن المحتوم ان ينقص نصيب الاجيال القادمة من ذلك ، لان الفتيات اللائي يتخرجن من معاهدنا التعليمية فى الوقت الحاضر لا نأمل ان يكون الجيل الذى سيتربى فى احضانهن متحليا بهذه التصورات

والآثار الا في النادر ، لان هذه التصورات والآثار لا ينطبع عليها الا من شاهد امه تصلي وتصوم وتتلو القرءان ، ومن سمع منها ذكر الله ورسوله . اما هؤلاء امهات المستقبل فلا يجري على لسانهن الا اسماء الممثلات السينمائيات والراقصات والفانيات والتعليق على الافلام الجديدة ، والحديث عن الملاهي والالعاب ، ويندر ان يرطب لسان احداهن بذكر الله ورسوله ، فهل أن الذين يترعرعون في احضانهن ترجون منهم ان يناضلوا باسم الله ورسوله ، ويستميتوا في سبيلهما ، ويحتضنون نفس عواطف الجهاد والاستشهاد التي يحتضنها بعض شبابنا اليوم والتي تدفعهم بين حين وءاخر الى البطولات النادرة والتضحيات الرائعة . ونحن بحق اذا نريد ان نعد شبابا يسترخصون النفس والنفيس في سبيل الاسلام ويقارعون الموت ، ويرحبون به في الدفاع عن البلاد الاسلامية وعن نظام الحياة الاسلامية فلا مناص لنا من ان نتفكر في تربيتهم الاسلامية على اعلى صعيد ، بجانب تربيتهم العسكرية ذات المستوى العال ، التي تعمق جذور الايمان في قلوبهم ، وتنشيء فيهم العقائد والاخلاق التي تؤهلهم للاقدام على اكبر تضحية يتصورها المسلم في سبيل الله . وهذا هو الدرع الوحيد الذي يمكن ان يحمينا من عدونا الذي هو اكبر منا قوة باضعاف مضاعفة ، وهو الحصن الحصين الذي يحرسنا ويمكننا من الحياة الكريمة في الدنيا المليئة باعدائنا الذين يخططون لابادتنا ومحونا من الوجود . ولا سمح الله.

باكستان ـ ابو الاعلى المودودي

الايدي المتوضئة

رأينا في الشرق مشروعات لا ينقصها صواب الفكرة، ولا صدق الوجهة ، ومع ذلك فقد زاغت وذابت ، لا لشيء الا لان الايدي غير المتوضئة هي التي باشرتها ، والقلوب الخالية من الله هي التي سيرتها .

الطيبات والمرارات

قال عبد الله بن شداد لابنه وهو يعظه :

اني ذقت الطيبات كلها فلم أجد اطيب من العافية .

وذقت المرارات كلها فلم أجد امر من الحاجة الى الناس .

ونقلت الحديد والصخر فلم أجد أثقل من الدين .

الهجرة المحمدية

للأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري

احتفل العالم الاسلامي احتفالا رائعا في مختلف أقطاره بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية التي كانت بداية انتصار رائع للاسلام ، وتأسيسا لكيان أمة سادها التخاذل ، وضعف الشوكة ، وتحصينا للدعوة المحمدية ضد العقائد الفاسدة والعادات الهزيلة الواغلة ...

وقد مرت مهرجانات دينية في بلادنا بهذه المناسبة الخالدة حيث وجهت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية عدة وعاظ ومرشدين في أنحاء البلاد للتذكير بهذه الذكرى الخالدة وتمجيدها ...

وفي المساجد كانت خطب الائمة في يوم الجمعة 27 ذي الحجة 1389 تدور حول الهجرة المحمدية وعلى صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وقد اخترنا خطبة نموذجية القيت بجامع السنة الاعظم بالرباط لفضيلة الخطيب المصقع الأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري .

الحمد لله الذي جعل «الهجرة المحمدية» ايذانا بالفتح المبين والنصر المكين للاسلام والمسلمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء وامام المرسلين وعلى ءاله وصحبه اجمعين ، صلاة وسلاما تامين دائمين الى يوم الدين .

اما بعد ـ أيها الناس :

في الايام القليلة القادمة نودع عاما ، ونستقبل عاما ، من تاريخنا الاسلامي المجيد ، نودع العام التاسع والثمانين ونستقبل العام التسعين بعد ثلاثمائة والف ، وهذا التاريخ يرتبط بذكرى حادثة عظيمة لها أعمق الاثر في حياة الاسلام والمسلمين خاصة ، وحياة الانسانية عامة ، الا وهي حادثة الهجرة من مكة الى المدينة ، التي كانت نقطة الانطلاق لانتشار الاسلام وامتداد نفوذه عبر الآفاق ، وقد مهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الهجرة بدعوة الحجاج الوافدين من الأوس والخزرج خلال موسم الحج الى الاسلام ، فأسلم فريق منهم اولا ، ثم بايعه فريق أكثر عددا في العام التالي ، واخيرا بايعه بالنيابة عن مسلمي المدينة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان في العام الذي يليه، وذلك بعد فراغهم من الحج، واختاروا من بينهم اثنى عشر نقيبا كفلاء عنهم، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس ، واثناء هذه الاتصالات بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير ، وأمره أن يقرئهم القرءان ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين ، فكان مصعب يعرف في المدينة باسم « المقريء » وهو أول من اطلق عليه هذا الاسلام في الاسلام ، وفشا الاسلام في المدينة حتى لم تبق دار من دورها الا وفيها ذكر لرسول الله . وبعد بيعة «العقبة» الثانية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من المسلمين بمكة ان يخرجوا منها الى المدينة ويلحقوا باخوانهم فيها قائلا لهم : « ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون بها » فخرجوا زرافات ووحدانا ، مشاة

وركبانا ، واستمرت هجرة الصحابة من مكة الى المدينة خلال شهر المحرم وشهر صفر ، ولم يتخلف مع رسول الله بمكة الا من حبس او فتن ، بالاضافة الى علي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق ، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له : « لا تعجل ، لعل الله يجعل لك صاحبا » فيطمع أبو بكر ان يكونه . وفي شهر ربيع الاول اذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة ، ليكون على رأس صحابته من المهاجرين والانصار ، فوصلها رفقة صاحبه أبي بكر الصديق يوم الاثنين ، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، بعدما قضى بمكة ثلاث عشرة سنة منذ البعثة ، وكان وصوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بداية تاريخ الاسلام ، الحافل بعظائم الاعمال والاحداث الجسام ، وهكذا لم تكن الهجرة حدثا طارئا ولا مفاجئا، بل كانت نزولا على حلف طاهر كريم اخذت فيه مواثيق الصدق والوفاء ، على بذل الارواح والفداء ، تنفيذا لخطة مرسومة بوحي الله ، وضمانا لاعلاء كلمة الله . قال تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله، وكان غفورا رحيما» (النساء 100)

* * *

اذا ذكرنا الهجرة من مكة الى المدينة ذكرنا تاسيس اول «مدينة اسلامية» نموذجية في الوجود، تحققت بواسطتها « المدينة الفاضلة » التي ظلت حلما لذيذا يراود خيال الحكماء دون أن يصلوا اليه، أو يعثروا عليه . واذا ذكرنا الهجرة من مكة الى المدينة ذكرنا تنظيم اول « مجتمع اسلامي » مثالي في الوجود ، تحقق بواسطة المجتمع الانساني الكامل ، المجتمع المتعاطف المتكامل ، مجتمع العدل والرفق والاحسان ، الذي يضمن كافة حقوق الانسان . واذا ذكرنا الهجرة من مكة الى المدينة ذكرنا ظهور اول « دولة اسلامية » برزت في العالم قائمة على شريعة الله ، فطبقت في الحياة منهج الله ، وامتد ظلها في كل اتجاه، واذا ذكرنا الهجرة من مكة الى المدينة ذكرنا « الوجود الاسلامي » البارز ، الذي يفرض نفسه على العالمين ، وذكرنا « الكيان الاسلامي » الممتاز ، الذي لا يرضى ان يفنى او يندمج في الآخرين ، فبالهجرة تميزت « دار الاسلام » عن غيرها من الديار، وبالهجرة اصبحت للاسلام دولة ذات سيادة مصونة الجانب ، لا يستطيع ان يعتدي عليها الاغيار. ومن اجل حماية « دار الاسلام » والدفاع عن سيادته اشتبك المسلمون مع مشركي قريش في عدة سرايا وغزوات ، انتهت اخيرا بالفتح المبين ، والنصر المؤزر للاسلام ورسوله الصادق الامين . وعندما فتح الله مكة لرسوله طاف عليه السلام بالبيت الحرام ، ثم وقف على باب الكعبة فقال : « لا اله الا الله ، وحده لا شريك له، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده . يا معشر قريش : ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء . الناس من ءادم ، وءادم من تراب » ثم ارتحل عليه السلام راجعا الى المدينة ، فاما رءاها قال : « الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر . لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . ءائبون تائبون ، عابدون ساجدون ، لربنا حامدون . صدق الله وحده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده »

* * *

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع الناس بأمره للمشورة في أمر التاريخ الاسلامي ، وتساءلوا فيما بينهم : ما هو الحدث الذي يستحق أن يكون مبدأ لتاريخنا المجيد : فقال له بعضهم : « ارخ لمبعث رسول الله » وقال له بعضهم : « ارخ لمهاجرة رسول الله » ، واختار عمر الراي الثاني فقال : « بل نؤرخ لمهاجرة رسول الله ، فان مهاجره فرق بين الحق والباطل » فوافقه المسلمون على ذلك ، واصبح من المقرر ان يكون العام الذي هاجر فيه رسول الله الى المدينة هو العام رقم واحد في التقويم الاسلامي ، وبقيت مسألة تحديد أول شهر لهذا العام ، فوقع الاختيار على ان يكون شهر المحرم هو بداية العام الهجري ، وقال عمر في ذلك قولته المشهورة : « نبدأ بالمحرم ، فهو منصرف الناس من حجهم، وهو شهر حرام » .

ومما يؤيد هذا القرار الحاسم والراي السليم ان بيعة «العقبة» الثانية التي بايع فيها الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتي قرر على اثرها هجرته مع اصحابه الى المدينة كانت في اواسط ذي الحجة ، وفي الشهر الذي تلاها وهو المحرم بدأ

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يهاجرون فعلا الى المدينة بامره ، فكانت بداية تنفيذ الهجرة وتطبيق ميثاقها ، في شهر محرم ، وانما بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة الى ربيع الاول ليشرف على هجرة اصحابه منها ، حتى اذا لم يبق بها الا من حبس أو فتن ، فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتحق باصحابه من المهاجرين والانصار، وبذلك كان شهر محرم هو بداية العام الهجري ، لانه أول شهر بدات فيه الهجرة الى المدينة قولا وعملا .

❊ ❊ ❊

ما أسد نظر سلفنا الصالح عندما اختاروا الهجرة لتكون فاتحة تاريخ الاسلام ، فذكرى الهجرة تعيد الى ذهن كل مسلم ومسلمة صمود المسلمين أمام أعدائهم ، وثباتهم على عقيدتهم ، والدفاع المستميت عن كيانهم ، وبذل جميع التضحيات في سبيل عزتهم وعزة دينهم ، والعمل بكل الوسائل على فرض وجودهم ، فهي ذكرى الكفاح والنضال ، الذي يجب ان يستمر باستمرار العصور والاجيال .

قال تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، اذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم » (التوبة 40) .

نفعني الله واياكم بكتابه المبين ، وبحديث سيد المرسلين ، وختم لي ولكم بالخاتمة الحسنى ولجميع المسلمين آمين والحمد لله رب العالمين .

الرباط ـ محمد المكي الناصري

12 وساما

اشتركت أم عمارة « نسيبة بنت كعب » مع المسلمين في غزوة احد ، فشدت ثيابها على وسطها تسقي الجرحى ، ولما انهزم المسلمون وقفت تدافع عن النبي وقد اصيبت في هذه الموقعة باثني عشر جرحا ، واثنى عليها رسول الله فقال :

لمقام نسيبة اليوم خير من مقام فلان وفلان . ما التفت يمينا ، ولا شمالا الا وانا اراها تقاتل دوني .

منهج الصوفية

في نظر محيي الدين بن عربي

للأستاذ الدكتور محمود قاسم
عميد كلية العلوم - جامعة القاهرة

يفرق محيي الدين بن عربي بصفة مطردة بين المنهج العقلي الاستدلالي الذى يستخدمه الفلاسفة ، والمتكلمون احيانا كثيرة ، وبين منهج الصوفية فى المعرفة ، ويطلق عليه اسم الذوق. ولذا نراه يصف الاولين بانهم اصحاب فكر لا ذوق ، فى حين يصف الآخرين بانهم اصحاب اذواق واحوال ، لا اهل فكر واستدلال .

ونريد ان نعرض هنا لفكرته عن الذوق الصوفي ، الذى يسميه ايضا علم النظرة او الضربة او الرمية ، وهو يشبه ما يطلق عليه المحدثون اسم الحدس العقلي او الحسي (Intuition) ، وفيه يسهم الخيال بأكبر نصيب .

وهو يعرف لنا هذا الذوق الصوفي ، فى كتابه الفتوحات المكية ، تعريفا رائعا ، فيقول : انه « ... اول مباديء التجلي . وهو حال يفجا العبد فى قلبه ، فان اقام نفسين فصاعدا كان شربا » . ثم انه يخبرنا ان علمه انما جاءه عن طريق الذوق ، اذ يقول: « ورزقنا من هذا الفن ذوق النظرة » ، ولكي يمكن فهم ما يريده بذوق النظرة ، او علم النظرة ، فلنا ان نقارن بينه وبين العلم المفاجيء الذى يشرق فى الخيال فجاة . وانما سماه علم النظرة لان العلم الذى يكتسب فى مثل هذه الحال يشبه ادراك العين للاشياء المرئية التى يكشف عنها نور الشمس ، رغم كثرة هذه المرئيات وبعدها عن العين ، ويكون ذلك « فى غير زمان مطول ، بل فى عين زمان اللمحة » ، أي انه يتم دون فاصل زمني . فالذوق اذن مشاهدة مفاجئة ، او تفكير لحظي تنمحي فيه اي فجوة زمنية تتسع لاي ضرب من ضروب الاستدلال العقلي .

ويشبه وصف ابن عربي للذوق ما نجده عند كبار المفكرين الذين يرون ان الخيال العلمي يشبه النور الذى يسطع فجأة كلمح البصر ، فيغمر الاشياء دفعة واحدة ، ويكشف عن العلاقات بينها ، ويفسرها على نحو مخالف لتفسيرنا اياها من قبل . وهذا هو ما عبر عنه « كاود برنار » فيما بعد ، عندما قال : « قد يتفق ان تظل احدى الظواهر او الملاحظات فترة طويلة امام ناظري العالم ، دون ان توحي اليه بشيء ما، ثم يسطع النور فجاة فيفسر العقل الظاهرة نفسها على نحو مخالف تماما عن تفسيره اياها من قبل ، وحينئذ تظهر الفكرة الجديدة كخطف البصر كما لو كانت وحيا مفاجئا ... » كذلك يشبه ذوق النظرة عند ابن عربي ما قاله « نيوتن » فيما بعد : « اذا كانت ابحاثي قد ادت الى بعض النتائج المفيدة فذلك لانها وليدة العمل والتفكير الوئيد ، انني اجعل موضوع البحث نصب عيني دائما ثم انتظر حتى تبدو الاشعة الاولى ، وتسطع شيئا فشيئا حتى تنقلب ضوءا مفعما كاملا » .

كذلك نجد فى فكرة ابن عربي عن انمحاء الفترة الزمنية بين الاشراق والمعرفة ، او بين السبب والمسبب ، ما يمكن ان يتخذ اساسا لفكرة القانون العلمي بمعناه الحديث بل المعاصر ، وهو القانون الذى يطلق عليه اسم العلاقة الوظيفية (Relation

fonctionnelle) حيث يحدث التاثير والتأثر فى آن واحد ، كما هي الحال فى القوانين العلمية التى يعبر عنها بصيغ رياضية ، والتى لا تصدق على فكرة السببية حتى بمعناها الحديث (1) . ونحن نعلم ان فكرة القانون الوظيفي من احدث الكشوف العلمية .

ويرى ابن عربي ان قليلا من الناس من يرزق هذه الموهبة ، التى تعتمد اساسا على حدة الخيال ، ثم ترتكز الى القدرة على تحصيل ما تحتوي عليه هذه النظرة الخيالية الاجمالية . فالذوق عند ابن عربي يشبه اذن ان يكون شيئا من هذا القبيل . ذلك ان الضربة او اللحظة او الرمية تتضمن جميع العلوم التى اودعها الله فيها . فاذا وقعت من الضارب او الملاحظ ادرك جميع ما فى قوة تلك الضربة ، « مثل ما اعطت الضربة بنور الشمس جميع ما فى قوة تلك الضربة من المبصرات » . فاذا اتفق ان كشفت هذه الضربة او الرمية عن قليل او كثير من العلم فليس القصور راجعا اليها ، بل القصور فى قلب صاحبها ، كما نجد من قصور العين المبصرة عن ادراك جميع ما تشرق عليه الشمس . ويلاحظ ان محيي الدين ابن عربي يربط بين ذوق النظرة وبين فكرة الاختراع (2) .

ثم نجده يؤكد لنا مرة اخرى ان الذوق يتم فى غير زمن ، وذلك لان الارواح ، التى تختص بهذا الضرب من المعرفة ، لا تتقيد بالمكان ، ومن ثم فهي تدرك ، فى غير زمان ، ما يمكن ادراكه فى زمان او فى غير زمان . وهو يستشهد لذلك بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم من ان « الحق ضربه بين كتفيه او فى ظهره فوجد برد الانامل بين ثدييه او فى صدره فعلم علم الاولين والآخرين » .

ويخبرنا هذا الصوفي انه لم يجد شيئا قيل عن علم النظرة يشبه ما اهتدى اليه فيقول : « فانظر ما تضمنته تلك الرمية ، وما تضمنته تلك النظرة . اما النظرة فما رويتها عن احد ، ولا سمعتها عن احد ، لكني رأيتها من نفسي . فنظرت نظرة . فعلمت بها ما نظرت اليه من جميع ما تضمنته تلك النظرة من العلوم . وهذا هو علم الاذواق . ومن هنا يعلم قول من قال : يسمع بما به يبصر ، بما به يتكلم »

واعترف من جانبي انني كثيرا ما تساءلت ، قبل العثور على هذا النص الحاسم ، كيف اتيح لابن عربي ان يجمع هذا الخضم الذى لا ساحل له من النسق الفكري العجيب والترابط المذهل بين تفاصيل ما كتبه فى كتابيه « الفتوحات المكية » و « فصوص الحكم » ، وغيرهما من روائعه التى تجاوزت المئات من الكتب والرسائل ، مع ما حوته هذه الكتابات من ادق تفاصيل الثقافة الاسلامية وغيرها من الثقافات والفلسفات السابقة للاسلام ، ولا اغلو ان اضفت اللاحقة له حتى عصرنا هذا — اقول كيف اتيح لهذا الرجل ان يحشد هذا كله فى نسق عجيب يبدو لمن يعرفه غاية فى الوضوح ، رغم مايبدو فى اوائل الامر من غموضه وكثرة اسراره والغازه ، مع الحرص على التعمية وكتمان الاسرار ؟ لقد كنت اعجب ، قبل ان يكشف لي هو عن منهجه الصوفي ، منهج الذوق او علم النظرة ، كيف استطاع ان يبني هذا البناء المحكم المتسق الذى تتجمع فيه تفاصيل الفكر الاسلامي الضخم وتفاصيل غيره فى هذه الوحدة المتكاملة المتجانسة التى لا يكاد ينبو منها تفصيل عن اخيه ؟!

حقا لقد وصف انتاج ابن عربي ، لدى المختصين فى دراسته ، بأنه مضطرب وغير متجانس ، وربما قيل وقد قيل بالفعل، انصاحب هذا الانتاج مغرم بايراد المتناقضات بصورة تكاد تكون مفتعلة . لكن هذا لا يمنع ان يجد ءاخرون ان ابن عربي تغلب عليه مسحة الفن ، نظرا لما يلمسه هؤلاء من اتساق عجيب فى انتاجه الضخم ، ولما يشعرون به من ان هذا المفكر ظل جديدا ، رغم تقادم فلسفات حديثة كفلسفة « برجسون » الذى اطال الحديث عن الذوق او الحدس ، ولم يترك لنا شيئا يمكن ان يقارن بما قاله ابن عربي فى هذا الصدد . وحقيقة لم اجد شيئا يثير الاعجاب فى فلسفة « برجسون » التى احيطت بهالة من التقدير ، ولم اجد فيها شيئا يمكن ان ينهض على ساقيه ، حتى يمكن ان يكتب عنه شيء ، فضلا عن ان يقارن الآن بينه وبين محيي الدين بن عربي . وربما كان هذا هو السبب فى انني لم اكتب شيئا عن « برجسون » برغم كثرة ما قرات له ، ورغم انني ترجمت احد كتبه . واقول انني لم اكتب عنه شيئا خاصا ، دون الشعور بالمرارة او

---

(1) انظر كتابنا المنطق الحديث ومناهج البحث — دار المعارف ط 5 سنة 1968

(2) انظر كتابنا الخيال فى مذهب محيي الدين بن عربي . نشره معهد الدراسات العربية للجامعة العربية سنة 1969 ص 65 — 69 .

الكراهية بسبب ما اضعت من وقت وجهد ، اذ قلت ان هذا هو مدى جهده وطاقته . وايا كان الامر فانني لم اجد تلك النظرة او اللمحة التى تحفزني الى الكتابة عنه ، وربما وجدها غيري .

هذا ، ونجد عند ابن عربي فى مواطن اخرى من كتاب الفتوحات المكية تفسيرا عجيبا وبديهيا فى الوقت نفسه لتناسق مذهبه ، وهو تفسير يعرف المرء من صدق تجاربه الخاصة . فهو يرى انه ، بعد هذه الضربة او الرمية ، تأتي التفاصيل من تلقاء نفسها لكي تتخذ مكانها فى ذلك الاطار العام الذى كشفت عنه لحظة من لحظات الاشراق او التجلي ، فيبدو الامر كليا مجملا ثم تتضح تفاصيله. وقد يكون التجلي خياليا او عقليا ولا نريد هنا ان ندخل فى دقائق فكرته . ويكفي ان نقتصر على ما ذكره بصدد الذوق الخيالي لنجد أن التجلي فى الصور الخيالية يتم على مرحلتين . ففى المرحلة الاولى تعرض الصورة الخيالية كلية وغامضة . وهذا هو التخيل المبدئي الذى يعرض لصاحبه دون فكر او روية . اما فى المرحلة الثانية فتبدأ عملية خيالية شبه شعورية ترمي الى تفصيل ما تضمنته النظرة الخيالية الاولى من تفاصيل . وبقدر كمال الخيال الثاني يكون الاتساق بين هذه التفاصيل .

وقد عبر عن فكرة تفصيل الخيال فقال : « ان الذوق يخرج عن حالة الجمعية الى حالة التفرق » وتظهر الاشياء دفعة واحدة « وتتعلق كل صورة منها بمن كان اصلا فى وجودها . فاما له ، واما عليه ، فتتعلق بعينه صور بصره، وبأذنه تتعلق صور سمعه، وكذلك سائر حواسه فى ظاهره ، وتتعلق بباطنه صور اعمال باطنة ، من اعمال فكره وخياله وسائر قواه الباطنية » . فان كانت توجب فرحا فرح وكذلك فى جميع احواله الوجدانية وغيرها » ... وهذا من اعجب المشاهد ، وقليل واجده فى هذه الدار من أهل الطريق ، لعدم كشفهم وتحققهم وعلمهم بذلك » .

ويفسر لنا هذا سبب الاضطراب والتفاوت فى انتاج بعض المفكرين . فهو يرجع ، فى نظر ابن عربي الى ان هؤلاء لم يرزقوا علم النظرة وهو يقول فى ذلك : « ان اكثر الناس على خلاف هذا الذوق ولهذا لا ينتظم كلامهم » ولئن اراد المرء أن ينظر فى نتائج ما يصلون اليه ليجد اصلا او اساسا يمكن ان يرجع اليه جميع كلامهم واقوالهم فلن يجد شيئا.

اما ابن عربي فانه يحدثنا عن نفسه حديث الواثق فيقول : « انه يعرف كيف يفصل النظرة الخيالية التى تشرق فى نفسه ، وكيف يجمع لها كل تفاصيلها ويربطها ربطا محكما». ومن حق كل امريء ان يتساءل كيف استطاع هذا الرجل ان يجمع هذه الكثرة الهائلة من التفاصيل ، وان ينسق بينها ، فتبدو متجانسة وغير متضاربة ؟ .. انه يكفينا مئونة التساؤل او البحث عن علة هذا الاتساق العجيب الذى نلحظه فى تياره النفسي المتدفق فيقول : « وكل ما نأتي ، بعد ذلك ، فى جميع كلامنا ، انما هو تفصيل لذلك الامر الكلي الذى تضمنته تلك النظرة . وكلامنا مرتبط بعضه ببعض لانه عين واحدة وهذا تفصيلها، ويعرف ما قلناه من يعرف مناسبة آي القرآن فى نسق بعضها الى بعض ، فيعرف الجامع بين الآيتين ، وان كان بينهما بعد ظاهر. فذلك صحيح ولكن لابد من وجه جامع بين الآيتين مناسب ، هو الذى اعطى ان تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها ، لانه نظم الهي » .

ان ابن عربي يصر ، كما نرى ، على ان منهج الصوفية اقرب ما يكون الى الالهام ، بل نراه يشبه اتساق كلامه باتساق كلام آيات القرآن . انه شديد الاعتداد بنفسه ، حريص على كتمان سره ، لكننا نستطيع ان نفاجئه بين حين وآخر ، يرفع الستار قليلا عن سره . لانه يقول : انه لا يزيد كلمة او ينقص اخرى الا لمعنى ، وان كلامه خال من الحشو . فلئن وجد فيه احد شيئا من اللغو فاللغو عنده ، لا عند ابن عربي .

موقف محيي الدين بن عربي من الفلسفة والفلاسفة :

فى كثير من كتابات ابن عربي نجد نزعة واضحة الى الحط من شأن الفلسفة والمشتغلين بها ، كما نراه حريصا كل الحرص عندما تعرض له المناسبة — على ان يؤكد لنا انه لا يأخذ شيئا عن الفلاسفة ، اما فيما يتصل بنزعة الاستخفاف بالمفكرين من اصحاب الاستدلال العقلي فانا نجد مثالا واضحا لها فى القصة التى رواها بنفسه عن لقائه مع الفيلسوف الاندلسي الكبير ابن رشد ، وهي القصة التى ذكرها فى كتابه الفتوحات المكية ، وهي تنطوي على مغزى بعيد . فان ابن رشد يعد فى نظره خاتمة لفلسفة

ارسطو عند المسلمين ، في حين يمكننا القول بان رحلة ابن عربي الى المشرق تعد هي الاخرى رمزا لبعث فلسفة افلاطون وفلسفة الاشراق في المشرق، بعد ان ظن الناس ان الامام الغزالي قد بين تهافتها . ومما يدعم صحة هذا الرمز ان ابن عربي كان يلقب احيانا بالافلاطوني ، وانه كان يدافع عن افلاطون .

اما عن قصة لقائه مع ابن رشد فانه يصفها لنا فيقول (1) : « ولقد دخلت يوما بقرطبة على قاضيها أبي الوليد بن رشد ، وكان يرغب في لقائي لما سمع ، وبلغه ما فتح الله به علي في خلوتي ، فكان يظهر التعجب مما يسمع ، فبعثني والدي اليه في حاجة ، قصدا منه حتى يجتمع بي ، فانه كان من أصدقائه ، وانا صبي ما بقل وجهي ولا طر شاربي . فعندما دخلت عليه قام من مكانه الي محبة واعظاما ، فعانقني وقال لي : نعم . قلت له : نعم . فزاد فرحه بي لفهمي عنه . ثم اني استشعرت بما افرحه من ذلك ، قلت : لا . فانقبض وتغير لونه ، وشك فيما عنده ، وقال : كيف وجدتم الامر في الكشف والفيض الالهي ؟ هل هو ما أعطاه لنا النظر ؟ قلت له : نعم لا ، وبين « نعم » و « لا » تطير الارواح من موادها ، والاعناق من اجسادها . فاصفر وجهه واخذه الافكل، وقعد يحوقل ، وعرف ما اشرت به اليه ... وطلب بعد ذلك الاجتماع بنا ليعرض ما عنده علينا هل هو يوافق او يخالف ، فانه كان من ارباب الفكر والنظر العقلي ... ثم اردت الاجتماع به مرة ثانية .

فأقيم لي ، رحمه الله في الواقعة (الرؤيا) في صورة ضرب بيني وبينه فيها حجاب رقيق ، انظر اليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني، وقد شغل بنفسه عني.

فقلت : انه غير مراد لما نحن فيه . فما اجتمعت به حتى درج ، وذلك في سنة 595 بمدينة مراكش ، ونقل الى قرطبة وبها قبره . ولما جعل التابوت الذى فيه جسده على الدابة جعلت تواليفه تعادله من الجانب الآخر ، وانا واقف ومعي الفقيه الاديب ابو الحسن محمد بن جبير ... وصاحبي ابو الحكم عمرو بن السراج الناسخ . فالتفت ابو الحكم الينا ، وقال : الا تنظرون الى من يعادل الامام ابن رشد في مركوبه ؟ هذا الامام وهذه اعماله ، يعني تواليفه .

قال له ابن جبير : يا ولدي نعم ما نظرت ! لا فض فوك . فقيدتها عندي موعظة وتذكرة ، رحم الله جميعهم . وما بقي من تلك الجماعة غيري . وقلنا في ذلك :

هذا الامام وهذه أعماله
يا ليت شعري هل أتت آماله ؟

وواضح ان في سياق القصة مزيجا من السخرية بالتفكير الفلسفي ، وتمجيدا لعلم آخر يحصل دون قراءة او بحث او اطلاع ، بل يحدث عن القاء الهي كما يقول ابن عربي ، كما نجد فيها ، الى جانب ذلك ، اشفاقا على ضياع عمر ابن رشد وجهده في محاولته التوفيق بين الدين والعقل .

لقد كان هناك ستار ضرب بينه وابن رشد . لكن لست ادري ما سمك الستار الذى قد يحجب عني اسرار ابن عربي التى يلوح بها حينا بعد حين ، وسيسعدني ان لو استطعت ان أزيح ، قدر طاقتي ، طرفا من هذا الستار في دراسات اخرى .

واذن ينبغي ان نتجه الى القضية الاخرى التى يؤكد لنا فيها انه لا يأخذ شيئا عن الفلاسفة . لقد رأينا انه شديد الحرص على تأكيد هذه القضية .

وربما امكننا تفسير هذا الحرص من جانبه باننا نلمس في كتاباته آثار ثقافة فلسفية واسعة شاملة ، ونريد القول بذلك ان نؤكد ، نحن من جانبنا مرة واحدة ، انه قد اطلع على شتى ضروب الفلسفات والآراء والاهواء والنحل ، ولكنه هضم ذلك كله ، واخرجه في صورة فريدة قل أن بدائه فيها أحد ، حسبما نعلم من قراءتنا هنا وهناك لفلاسفة القديم والحديث ايضا (2) . واكثر من ذلك فقد نجرؤ على التصريح بانه يعرض علينا التصوف على انه ضرب من الحكمة او الفلسفة ، أي على انه هو الفلسفة الالهية . ومع ذلك ، فمن الانصاف له ان نعترف ان منهجه يختلف عن مناهج الفلاسفة ، وربما عرضنا لهذا المنهج تفصيلا في بحث آخر . حقا انه يقول انه حصل ما حصل من علم عن طريق الذوق الصوفي ، في حين ان الآخرين كانوا من اصحاب النظر والاستدلال العقلي ، وشتان ما بين الذوق

---

(1) فتوحات 152/1 — 154

(2) ستنشر مقالات في مجلة «العربي» عن المقارنة بين محيي الدين بن عربي والفيلسوف الالماني الحديث ليبنتس .

والاستدلال . لكنا نراه يأخذ عن افلاطون فكرته عن تقسيم مراتب الوجود وهو تقسيم رباعي . فافلاطون يحدد هذه المراتب على النحو الآتي : الوحدة الاولى ، والعقل ، والنفس الكلية ، والمادة ، وهي الظل الاخير للوجود ، قبل ان ينخرط في سلك العدم . اما عند ابن عربي فالمراتب الاربع هي الله ، والعقل والنفس الكلية ، والهباء . ويطلق ابن عربي على الهباء احيانا اسم العنقاء ، ويعترف انه يقابل الهيولي عند الفلاسفة اليونان ويريدون به المادة الاولى . ثم يحاول ان ينسب فكرة الهباء او العنقاء الى الامام علي بن ابي طالب مفسرا لماذا سماء بالعنقاء فيقول : « فانه يسمع بذكره ويعقل ، ولا وجود له في العين ، ولا يعرف على الحقيقة الا بالامثلة المضروبة .. وتسمية الحكماء الهيولي ، وهي مسألة مختلف فيها عندهم، ولسنا مما يحكي اقوالهم فى امر ، ولا اقوال غيرهم. وانما تعدد فى كتابنا ، وفى جميع كتبنا ، ما يعطيه الكشف ويمليه الحق علينا » .

هذا هو ما يقوله محيي الدين بن عربي ، ولا يتسع مقالنا لذكر عناصر فسفية عديدة نعثر عليها فى كتاباته ، حتى نبرهن على صدق وجهة نظرنا . ذلك ان ابن عربي نفسه يكفينا ما لا يتسع له الوقت للبرهنة عليه . فانه يقول : ان التصوف حكمة او فلسفة الهية . لكن كيف انتهى هذا الصوفي الى رايه هذا ؟ لقد اراد ان يحدد لنا مسلك الصوفية في المعرفة ، فقرر اول الامر ان اهل التصوف لهم اصولهم التى يتفقون عليها ، وان اختلفت عباراتهم. واختلاف هذه العبارات امر ضروري وذلك لاختلاف اذواقهم. فكل واحد منهم يعبر عما يشاهد ، حسب ذوقه ، وهو لا يتصنع ولا يتكلف، ولا يستمد شيئا من تفكيره لتحقيق هذه الغاية . فنطقهم لا يتعدى ذوقهم . اي انهم صنف ءاخر يختلف تماما عن اصحاب النظر العقلي او الفكر . وكأن هناك صنفا وسطا بين الصوفية واهل النظر العقلي او الفلاسفة ، ويريد به ابن عربي « اهل الاعتبار » وهؤلاء مختلفون فيما بينهم فان فريقا منهم يكون اعتباره عن ذوق لا فكر، كما ان فريقا منهم يجمع بين الذوق والفكر . وايا كان الامر الامر فانه يرى ان اهل الاعتبار اقرب الى اهل الاذواق منهم الى اصحاب الفكر .

واذا كان اهل الاعتبار يجمعون بين الذوق والفكر فليس ذلك شان اهل النظر العقلي من الفلاسفة . غير ان ابن عربي يستثني من بين الفلاسفة فيلسوفا واحدا هو افلاطون . والحق ان هذا الفيلسوف الاغريقي يحظى بمكانة كبيرة فى قلب ابن عربي . فهو يمجده ويفضله على ارسطو الذى يصفه بانه جاهل . كذلك يعيب على المسلمين كراهيتهم لافلاطون . فان هؤلاء ما كرهوه الا لنسبته الى الفلسفة ، وبسبب جهلهم لدلالة هذا المصطلح . فالفلسفة هي محبة الحكمة ، والحكماء « هم على الحقيقة العلماء بالله ، وبكل شيء ، ومنزلة ذلك الشيء المعلوم . والله هو العليم الحكيم . ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ، والحكمة هي علم النبوة ... والفيلسوف معناه محب الحكمة لان « سوفيا » باللسان اليوناني هي الحكمة ، وقيل هي المحبة . فالفلسفة معناها حب الحكمة ، وكل عاقل يحب الحكمة » . ثم يحاول ابن عربي الدفاع عن سمعة الفلاسفة ، بمناسبة تمجيده لافلاطون ، فيقول ان اصحاب الفكر والاستدلال العقلي (من علماء الكلام) قد خطأوا الفلاسفة بسبب بعض ءارائهم فى الالهيات ، كما فعل الغزالي ، وان المسلمين ذموا الفلاسفة بصفة عامة . غير ان الفلاسفة لا يستحقون الذم لمجرد انهم يسمون فلاسفة . وانما ذموا بسبب ما اخطأوا فيه من العلم الالهي ، وبسبب ما أتوا به من ءاراء تتعارض مع ما جاءت به الرسل عليهم السلام . وسبب الخطأ لديهم انهم اعتمدوا على ما أعطاهم الفكر الفاسد فى اصل النبوة والرسالات . ومن ثم تشوش الامر عليهم . ولو انهم طلبوا **الحكمة** من الله ، لا عن طريق الفكر ، لاصابوا الحق فى كل شيء ، كما هي الحال بالنسبة الى الصوفية اصحاب الحكمة او الفلسفة الالهية .

ويدخل محيي الدين بن عربي الاشاعرة والمعتزلة فى طائفة الفلاسفة ، اي يسلكهم فى سلك الفارابي وابن سينا . غير ان فلاسفة الاسلام امتازوا على حد تعبير ابن عربي ، بانهم نشأوا فى جو اسلامي ، وبانهم ارادوا الدفاع عن الدين بحسب ما فهموه منه . فهم اذن مصيبون بالاصالة مخطئون فى بعض الفروع. وينحصر مكمن الخطأ عندهم فى انهم ، وان سلموا بأصول الدين ومبادئه ، الا انهم تعسفوا فى تاويل بعض الفروع بناء على ما اسلمهم اليه الفكر والدليل العقلي . وقد اعتقدوا ان الاخذ بظاهر بعض الآيات مما تشهد ادلة العقل باستحالته يعد كفرا . وهذا هو ما دفعهم الى التاويل ناسين ان لله عبادا وهبهم القوة التى تسمو على العقل ، فتقضي على خلاف ما يقرره هذا العقل احيانا ، وتتفق معه احيانا .

وكان ينبغي لهؤلاء ان يعلموا ان هناك طورا وراء العقل ، وهو طور البصيرة ، او الكشف الصوفي ، وكان من واجب العقل عندهم ان يعرف حدوده ، وان يعترف انه يعجز عن ادراك ما يسمو عليه . فليس هذا العجز دليلا على استحالة ما يدركه اهل الكشف عن طريق العلم الموهوب ، وراثة عن النبي صلى الله عليه وسلم . غير اننا نجد ابن عربي يؤول في مواطن عديدة ، رغم انه يحاول البرهنة على ضرر التأويل .

ثم يستدل ابن عربي على وجود طور اسمى من طور العقل على نحو قريب مما فعل الامام الغزالي من قبل في كتابه المنقذ من الضلال وغيره من كتبه. لكننا نجد ابن عربي اكثر دقة وتفصيلا في **استدلاله العقلي** من ابي حامد الغزالي ، ذلك انه يخبرنا عن استقلال الحواس كل حاسة بمجال يخصها « فقوة السمع لو عرض عليها حكم البصر احالته ، والبصر كذلك مع غيره من القوى ، والعقل من جملة القوى ، بل هو المستفيد منها ، ولا يفيد العقل سائر القوى شيئا » .

اما أهل الله ، ويعني بهم الصوفية او الفلاسفة الالهيين ، فانهم يعرفون هذه المقامات كلها، وهم يحددون لكل مقام ما يخصه ، فينسبون كل ادراك الى القوة التي تناسبه ، ويتجنبون اخطاء الفلاسفة والمتكلمين من اصحاب الاستدلال العقلي ، ممن ينسبون الشيء الى ما لا صلة له به. فوضع الشيء في موضعه هو الحكمة « واهل الله من الرسل والاولياء ، هم الحكماء على الحقيقة وهم اهل الخير الكثير . »

ان لابن عربي مذهبا فلسفيا خاصا به ، يعتمد فيه على تأويل النصوص الدينية . ويمتاز هذا المذهب بانه ينم عن عبقرية فلسفية نادرة . ذلك انه مذهب فلسفي متقن قد لا نجد له مثيلا في اتساقه وترابط فروضه الفرعية مع الفرض العام الذي يدور حوله جملة وتفصيلا . كذلك تكشف لنا قدرته العجيبة على ربط كل هذه الفروض المتناثرة عن عقلية فريدة في جنسها ، وعن قراءات واسعة ، رغم انه لا يفتأ يعلن سخريته من الفلسفة والتفكير النظري .

ويبقى بعد ذلك كله ان تلك السخرية من الفلاسفة وغيرهم تنبيء عن عظيم ثقته بنفسه وايمانه بسره العجيب الذي نثره وبدده في كتاباته وهو السر الذي ربما كشفنا الستار عن بعض جوانبه في مواطن اخرى .

القاهرة ــ د. محمود قاسم



1 ـ جاء الاسلام فغير من مجرى الزمن

ونزل القرءان فحول من اتجاه الفكر

وكان منهج القرءان الكريم فى الحجاج والحوار ، وفى الاثارة والاقناع ، وفى التمثيل والتعليل وفى الحجة والبرهان ، وفى الظن والحدس ، وفى الشك والتجربة والامتحان ، وفى الصدق والحق واليقين ، وفى ضرب المثل للغائب بالشاهد ، وللبعيد بالقريب ، وللغامض بالواضح ، وفى غير ذلك كله . كان هذا المنهج القرءاني « الفريد الجديد المنقطع النظير » هو منهج الحياة كلها ، ومنهج البشر اجمعين .

وكان هو المعلم الاكبر الذى تخرج على يديه اعلام الثقافة الاسلامية فى شتى فروع الدين والعلم ، من الصحابة والتابعين ، وهو النور الذي حملته العقول المسلمة الواعية الامية الى كل مكان فى العالم ، فاضاء دياجير الحياة ، وأنار ظلمات الوجود ، وملأ الارض كلها امنا وعدلا وخيرا وسلاما .

2 ـ وسار الزمن سيرته ، ودارت الايام دورتها ومنهج القرءان فى المنطق والفكر والثقافة هو منهج المسلمين اجمعين ، ومنهج الدعاة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين .. وهو المنهج القريب الى العقل ، الى الحياة ، الى طبيعة النفس الانسانية ، الى لغة الاقناع والاثارة والتاثير .

حجج القرءان فى التوحيد ، وفى الدعوة الى اله واحد ، والى الايمان بالله ورسله واليوم الآخر ، هي حجج كل مسلم ، يتأملها ، ويرددها ، ويدعو بها ، واليها ، وفى كل لحظة وكل حين . وادلة القرءان وبراهينه ، فى الارض والسماء ، فى الهواء والماء ، فى الشمس والقمر والنجوم ، فى الليل والصبح والضحى والاصيل والعشي. فى كل ما خلق الله من نار ونور ، وضياء وديجور ومن صفو وغيم ، ومن سبات ويقظة ، ومن سكون وحركة .. هي ادلة الاقناع عند كل مسلم يدعو الى الله والى الحق والى طريق مستقيم ، وبهذا اصبح المنهج الاسلامي يستند الى القرءان كما يستند الى السنة ، ويعبر عن روح الاسلام الحقيقي .

ـ 2 ـ

3 ـ وانتشر الاسلام ، ودخلت فيه الامم من الشرق والغرب ، وحملت كل امة معها زادا من ثقافاتها وعلومها ، ونقلت اليه اشياء من فكرها وثقافاتها ومعارفها وفنونها .

وحمل المثقفون بفلسفة اليونان ، ومنطق ارسطو ، أشياء معهم من هذا المنطق ، ومن تلك الفلسفة .

وكان أرسطو الفيلسوف اليوناني القديم ، الذى ظهر قبل الاسلام بقرون كثيرة قد وضع المنطق الارسطي فى قوانين عامة يحددها العقل ، ويرسمها

منهجا للفكر الانساني، لتعصمه من الزلل في التفكير، واعتبر فلاسفة اليونان من بعده وحكماؤها هذه القوانين قوانين عامة صالحة للناس في كل زمان ومكان، لا يختص منها فريق منهم دون فريق ، ولا جماعة دون جماعة ، ولا امة دون امة ، وقوانين الفكر هي للفكر اينما كان ، وحيثما وجد ، وفي اية بيئة عاش .

حمل المثقفون الثقافة اليونانية ممن دخلوا في الاسلام معهم اذا فلسفة اليونان وحكمتها ومنطق ارسطو اكبر فلاسفتها ، وترجمت هذه الفلسفة وذلك المنطق الى اللغة العربية ترجمات عديدة ، منذ اوائل عصر الدولة العباسية ، واقبلت مدارس المسلمين العقلية ، تدرس هذه الفلسفة وتدرس ذلك المنطق في اهتمام بالغ ، وعناية شديد ، واقبل العلماء والمفكرون على تفسيرهما وشرحهما ، واقبلت جماعات اخرى على التوفيق بينهما وبين مبادىء الاسلام العظيم واصوله ، وبدا يظهر في الثقافة الاسلامية تيار جديد بجوار التيار الاسلامي الخالص ، الذي وضع القرءان الكريم منهجه ، واقام دعائمه وشيد أصوله ، هذا التيار هو التيار الاسلامي الجديد الذي يلبس ثيابا زاهية من منطق أرسطو ، ومن فلسفة اليونان .

لقد اراد بعض من العلماء المسلمين ان يكتبوا عقيدة التوحيد الاسلامية في صياغة جديدة على ضوء ما عرفوا من صياغات المنطق اليوناني ، لتصبح هذه العقيدة بصياغتها الجديدة اقوى واقدر على اقناع العلماء والحكماء بها وعلى الزام الفلاسفة والمفكرين من غير المسلمين بمنطقها .

4 — وانتقلت هذه الصياغة الجديدة الى العقل الاسلامي عن طريق المدارس والمراكز المبثوثة في الشرق والتي كانت لا تزال محافظة على صلاتها العقلية بالثقافة اليونانية ، كمدرسة حران وجند يسابور والاسكندرية ، ثم عن طريق المترجمين السريان والفرس ، وعن طريق الترجمات العربية العديدة لاصول الثقافة والفلسفة الاغريقية ، وشجع الرشيد ، وشجع المامون، حركة الترجمة من اليونانية الى العربية ، وآزروها بكل طاقاتهم ، وطلبوا كتب الفلسفة اليونانية من كل مكان ، ودعوا المترجمين لترجمتها وانشأوا دار الحكمة للعمل من اجل ذلك .

وكانت جماعات المعتزلة قد قامت في البصرة وبغداد ودرسوا المنطق اليوناني ، وعنوا به عناية كبيرة ، واستمدوا منه ومن الفلسفة القوة على الحجاج والجدل والدفاع عن الاسلام وعلومه وثقافاته . ومن بينهم بشر بن المعتمر (210 هـ) والنظام (180 — 221 هـ) ، وابو الهذيل العلاف (134 — 226 هـ) ، والجاحظ (250 — 255 هـ) وسواهم ، كما استخدموا المنطق الارسطي في الدفاع عن مذهبهم في الاعتزال ، واتصل العلاف بالفلسفة اليونانية وقراها مترجمة حتى ليقول النظام : خيل الي انه لم يكن متشاغلا قط الا بها (1) . وكان من اوائل المدرسة البصرية في الاعتزال ، وكان قد تبحر في الفلسفة ، واطلع على ما ترجم منها ، واستخدم المنطق اليوناني في بحثه عن الحقائق ، ويقول فيه الشهرستاني : انه طالع كثيرا من كتب الفلسفة وكان تاثر المعتزلة البغداديين بمنطق ارسطو اظهر منه من تاثر المعتزلة البصريين واكثر ، وجاء الفلاسفة المسلمون من مثل الكندي والفارابي وغيرهما فاستخدموا المنطق والفلسفة في كل شيء ودافعوا عنهما دفاعا حارا .

5 — وهكذا دخلت الفلسفة اليونانية ، ودخل المنطق اليوناني الى العقل العربي ، وبهما تاثر واصطبغت بهما طريقة الجدل والبحث والتعبير والاقناع والدفاع عن الدين، والكلام في عقيدة الاسلام عند العلماء المتكلمين .

واصبح ذلك التيار الجديد يفرض نفسه على الفكر الاسلامي فرضا ، بحكم التجديد ، وبسبب ما اولاه اياه خلفاء بني العباس من تأييد ، وبسبب ميل المعتزلة والفلاسفة المسلمين الى المنطق اليوناني هذا الميل الواضح المتميز والبعيد ، اذ ايدوه وكانوا شراحا له ، ومدافعين عنه ، واعتبروه قانون الفكر الخالد وحاولوا صياغة العلوم الاسلامية على ضوئه ، والتوفيق بينه وبين الاصول والقواعد الموروثة عن السلف .

6 — ولكن معظم مفكري الاسلام رفضوا هذا المنطق ورفضوا هذه الفلسفة اليونانية ، ورفضوا أن يستعان بهما في صياغة البراهين الاسلامية والادلة الاسلامية على توحيد الله ورسالاته واصول الدين جملة .

---

(1) 26 المنية والامل للمرتضى .

وقد كان للاشعري والماتريدي وتلاميذهما اثر كبير فى ترويج المنطق اليوناني والدعوة اليه وصياغة القضايا الاسلامية صياغة متفقة مع اسلوبه .

ومذهب الاشاعرة والماتريدية لا يمثل العقيدة الاسلامية الاولى تمثيلا صحيحا ، فى نظر كثيرين من الفقهاء والعلماء المسلمين الاصلاء ومن بينهم ابن تيمية على الرغم مما اسبغ عليها قدم العهد من جلالة وهالة وعلى الرغم من تلقي الناس لها بالقبول .

من اجل ذلك وضع الامام الشافعي منطقا جديدا بكتابته لاول مرة فى رسالته فى علم الاصول ، حتى ليقول الامام احمد بن حنبل : لم نكن نعرف العموم والخصوص حتى ورد الشافعي . ويقول الجويني امام الحرمين : « لم يسبق الشافعي احد فى تصنيف الاصول ومعرفتها » ، وفيه يرسم المناهج وينظمها لاستخراج الاحكام من ادلتها ، ويحرر طرق الاجتهاد والاستنباط .

والشافعي يعد بذلك فى العالم الاسلامي وفى الدراسات الاسلامية ، وفى الفكر الاسلامي ، ندا لارسطو الفيلسوف المتعمق فى الدراسات اليونانية . ويقول فيه احمد بن حنبل ايضا : الشافعي فيلسوف فى اربعة اشياء : فى اللغة ، واختلاف الناس ، والمعاني ، والفقه .

واذا كان منطق القرءان والسنة يعبر عن روح الاسلام وجوهره فى اصالة وعظمة وجلال فان المنطق اليوناني – الذى حاول فريق من علماء الاسلام الاستعانة به فى الدفاع عن دين الله وفى الدراسات العربية الاسلامية – هذا المنطق انما يقوم ويعبر عن خصائص اللغة اليونانية التى تخالف لغة القرءان ولغة المسلمين ، ولما طبق المنطق اليوناني على الدراسات الاسلامية ادى هذا المنطق الى تناقضات عدة (2) .

اذن كان منطق ارسطو متصلا باللغة اليونانية وقائما على خصائصها مع مخالفة هذا للمنطق الاسلامي ، وقد ردد ذلك ابو سعيد السيرافي (368 هـ) فى حواره مع متى بن يونس ، هذا الحوار الذي رواه أبو حيان فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » . واصبح القياس الاصولي هو الحجة عند الشافعي وعلماء الاصول المسلمين ، الذين رفضوا الميتافيزيقيا اليونانية لانها مخالفة لالهيات المسلمين .

7 – واذا كان هذا الخلاف بين المنطق الاسلامي ومنطق اليونان قد ظهر واضحا فى الثقافة الاسلامية وعلومها ، فقد ظهر كذلك بشكل اوضح فى الادب وعلوم العربية .

فقد كان فى المعتزلة وفى الفلاسفة المسلمين كتاب وادباء وشعراء اخذ منهم المنطق اليوناني مواطن الاعجاب من نفوسهم، واحتل شغاف القبول من افئدتهم وقلوبهم ، ووجدت طوائف اخرى من الكتاب والادباء والشعراء صاروا حريصين على مطالعة الفلسفة والمنطق والافادة منهما ، كابي نواس وابي تمام وابن الرومي وغيرهم ، واصبحت القصيدة العربية اما داخلة فى عمود الشعر كقصيدة البحتري ومسلم ابن المعتز ، واما خارجة عن عمود الشعر العربي عند النقاد كقصيدة أبي تمام والمتنبي .

وحمل ابن قتيبة فى مقدمة كتابه : « ادب الكاتب » على فلسفة اليونان ومنطقها ، كما حمل عليها البحتري فى شعره ، فقال :

كلفتمونا حدود منطقكم
والشعر يغنى عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القروح يلهج
بالمنطق ما نوعه وما سببه

ويقول ابن قتيبة :

« لقد شغفت بالنظر فى النجوم والمنطق والفلسفة طائفة من الكتاب ، وعرفت الكون والفساد والجوهر والعرض ، واهملوا النظر فى اللغة وما اليها» ، فوضع لهم كتابه ذلك .

والقياس الذى يشغل جزءا كبيرا من منطق ارسطو اصبح ذا دخل كبير فى كثير من العلوم .

فالقياس كما كان فى الفلسفة صار فى الفقه وفى اللغة وفى النحو ، ويقول بعض الباحثين : ان قول ارسطو «الزمان والمكان كالوعاء للاشياء اصل لتسمية النحويين المفعول فيه ظرفا أي وعاء» (3)

---

(2) مناهج البحث عند مفكري الاسلام علي سامي النشار – ص 378 – الطبعة الثانية – 1967 – دار المعارف بمصر .

(3) 85 محاضرات جويدي

واقسام البيان يذكرها الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » كما ذكرها ارسطو من قبل (4).

وقد ثار الجدل حول ما اذا كانت اصطلاحات البلاغة العربية التى ذكرها الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » قد اقتبسها من كتاب «الخطابة» لارسطو الذى ترجم الى اللغة العربية فى عصر الجاحظ ترجمات عدة ام لم يقتبسها منه.

وفى رايي ان الجاحظ كان مبتكرا فى كل ما وصل اليه من قواعد واصول وضعها للبلاغة العربية فى كتابه « البيان والتبيين ».

— 3 —

8 — ولقد جاء فريق من العلماء المسلمين واعتمدوا على المنهج التجريبي وحده فى الحكم على الاشياء وتمييزها، ومن بينهم جابر بن حيان (190 هـ) والحسن بن الهيثم (400 هـ : 1020 م) الذى اعتمد على هذا المنطق الاستقرائي وهو المنهج الذى سارت عليه الحضارة الاوربية الحديثة اليوم واعتمدت عليه اعتمادا كبيرا فى بحوثها وفى كشوفها واختراعاتها.

واعتمد ابن خلدون على المنهج التاريخي، فكشف عن علم الاجتماع، ووضع اصوله فى كتابه « المقدمة ».

واعتمد علماء الحديث المنهج الاستردادي (التكويني) واقاموه على اسس علمية دقيقة، تعرف بعلم مصطلح الحديث : وطرق تحقيق الحديث رواية ودراية هي منهج البحث التاريخي الحديث اليوم، الذى يتوصل به الى نقد النصوص نقدا داخليا ونقدا خارجيا.

وكل هذه المناهج عملت عملها فى مقاومة المنطق القياسي او الاستنباطي منطق ارسطو ومنهجه فى التفكير.

9 — وجاء فريق من الصوفية وانكروا على المنطق الارسطاليسي منحاه واتجاهه فى التفكير، وهم الصوفيون الاشراقيون، وفى مقدمتهم السهروردي الذى قام بمحاولة منطقية جديدة لاختصار منطق اليونان.

وان كنا لا نستطيع ان ندخل نقدهم فى المناهج التى تمثل نقد علماء المسلمين لمنطق ارسطو، لان الصوفية انكرت العقل كأداة، ولا يقبل العلماء المسلمون وفلاسفتهم طرائق المعرفة لدى الصوفية، ويرون انها تجارب ذاتية لا تصلح قاعدة او منهجا للحياة (5).

وهكذا رفض العلماء والفلاسفة المسلمون فى كبرياء منطق ارسطو لانه يقوم على المنهج القياسي لان هذا المنهج هو روح الحضارة اليونانية القائمة على النظر الفكري والفلسفي، ولم تترك الحضارة اليونانية للتجربة مكانا فى هذا المنهج، وهي احدى ركائز الاسلام الكبرى، والمنهج التجريبي او الاستقرائي هو المعبر عن روح الاسلام، والاسلام هو تناسق بين النظر والعمل، ويقيم نظرية فلسفية فى الوجود، ويرسم ايضا طريقا ناجحا للحياة العملية وهذا المنهج التجريبي الاستقرائي وضعه المسلمون بجميع عناصره، وعبر من بلاد الشرق الى الاندلس، فأوربا التى بنت حضارتها اليوم عليه.

يقول اقبال فيلسوف الاسلام وشاعره فى العصر الحديث : ان آراء بيكون عن العالم اصدق واوضح من آراء سابقيه .. ومن أين استمد بيكون فى دراسته العلمية ؟ من الجامعات الاسلامية فى الاندلس والمسلمون هم مصدر هذه الحضارة الاوربية القائمة على المنهج التجريبي.

— 4 —

10 — على ان الامام الغزالي يعتبر المفكر الاسلامي الكبير الذي مزج المنطق اليوناني بعلوم المسلمين، وكان الغزالي يقول : ان من لا يحيط بالمنطق فلا ثقة بعلومه اصلا.

وكان الغزالي موضع تقدير الامام ابن تيمية لانه عرض مبادىء الاخلاق الاسلامية وشرحها فى جلال وكمال، وان كان موضع نقده الشديد فى بقية ما عرض له من علوم، وابن تيمية غير راض عن طريقة

---

(4) 1 : 71 البيان، 1 33، 44 الحيوان

(5) 379 مناهج البحث عند مفكري الاسلام.

(6) 380 المرجع نفسه.

الغزالي فى الاصول ، لانه خلطه بالمنطق والجدل ، واذا كان المنطق عند الغزالي تعصم مراعاته الذهن من الخطأ ، فهل معنى ذلك ان القدماء ممن كانوا قبل الغزالي لم يكونوا بمنجاة من الخطا . ان جميع عقلاء بني ءادم حرروا علومهم بدون المنطق اليوناني .

وممن هاجم الغزالي فى نهجه كل من الامام الطرطوشي (520 هـ) والمازري ، وابن الصلاح (643 هـ) وابن تيمية (728 هـ) والنواوي (931 هـ).

11 – وهنا نعرض للامام الكبير شيخ الاسلام ابن تيمية وموقفه العظيم من الدفاع عن الاسلام وعن المنهج الاسلامي القرءاني العظيم فى البرهان والاقناع.

لقد نقد الامام ابن تيمية (الاثنين 10 ربيع الاول 661 هـ (22 من يناير 1263 م) (20 من شوال 728 هـ : 29 من اوغسطس 1327 م) المنطق الارسطي وهدمه هدما قويا ، فذهب الى ان من الخير للاسلام ان لا تستعمل فى علومه هذه المصطلحات فى الفلسفة والمنطق التى لم يعرفها السلف الصالح. وينكر الامام ابن تيمية استطاعة الحد فى المنطق الارسطي الوصول الى كنه الشيء او ماهيته ، ويرى ان عمل الحد ووظيفته التمييز بين المحدود وغيره ، اما تصور المحدود فلا يستطيع الحد القيام به ؛ فالحد عنده مجرد شرح للفظ ، وعلى ذلك سار جميع من مناطقة انجلترا اليوم. وكذلك نقد ابن تيمية القضايا الارسططاليسية ؛ وذهب الى التجربة والاستقراء وقياس التمثيل . ورأى ان القرءان – وهو كتاب الوجود عند المسلمين هو الذى يمدنا بصور الاستدلال ، او هو الذى يقدم لنا الميزان ، ويقدم لنا الاقيسة البرهانية ، كقياس الاولى ، وقياس الآية او العلامة .

وللامام ابن تيمية فى نقد المنطق الكتب الآتية :

1 – الرد على المنطقيين طبع فى بومباي عام 1368 : 1947 ، وهو كتاب قيم من عيون التراث الفكري الاسلامي .

2 – كتاب موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، وقد طبع فى القاهرة عام 1321 هـ .

3 – منهاج السنة – طبع فى القاهرة ايضا عام 1321 هـ .

4 – نقض المنطق وقد نشره حامد الفقي فى القاهرة .

5 – مجموعة الرسائل الكبرى وقد طبعت فى القاهرة – وفيها العديد من ءارائه فى المنطق .

هذا الى فتاوي ابن تيمية وهي مشهورة . وتابع ابن تيمية فى نقد المنطق الارسطي تلميذه ابن القيم (751 هـ) والصنعاني (840 هـ) والسيوطي 911 .

– 6 –

12 – ومن هنا ندرك خطر المحاولة التى كانت تريد ان تفرض بالقوة او بالاقناع منطق اليونان الارسطي على الثقافة الاسلامية والعربية ، وندرك جهود علمائنا الاصلاء الائمة فى مقاومة هذا الخطر منذ العصور الاولى للاسلام حتى العصر الحديث . ومن هنا كذلك ندرك مدى ما صنعه السكاكي حين اخذ جميع قضايا البلاغة العربية التى كشف عنها الامام عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) فى كتابيه : « اسرار البلاغة و « دلائل الاعجاز » ، بذوقه العربي الاصيل، فصاغها السكاكي فى كتابه المفتاح صياغة منطقية بعيدة عن الاصالة والذوق العربي السليم ، وندرك اخيرا خطر ما صنعه قدامة بن جعفر فى كتابه « نقد الشعر » .

من الرجوع الى ارسطو فى كتابه « فن الشعر » والى ما قرره فيه من احكام نقدية .

– 7 –

13 – ويجيء العصر الحديث ويأخذ الادب الغربي يفرض نفسه على الادب العربي فى اخيلته ومعانيه واغراضه واجناسه ومذاهبه الادبية .

ثم يشرع النقد الغربي للادب الحديث ، ويأخذ النقاد العرب المعاصرون عن النقد الغربي الكثير من بحوثه وموضوعاته دون اصالة ودون تمييز وذكاء وفطنة كما فعل فى آخر الشوط سهير القلماوي ومحمد غنيمي هلال .

ويفرض المستشرقون على الادب العربي الحديث دراسة تاريخ آداب اللغة العربية دراسة تقوم على المنهج الذى وضعه لهذه الدراسة كارل بروكلمان فى كتابه المشهور «تاريخ الادب العربي» (7)

(7) وعلى هذا المنهج كتب احمد امين كتابيه : فجر الاسلام وضحى الاسلام .

وتقطع كليات اللغة والاداب فى العالم العربي والجامعات العربية صلاتها بالمنهج العربي القديم فى دراسة الادب ، وهو منهج الجاحظ والمبرد وابن عبد ربه ، كما قطعت صلاتها بالمنهج العربي القديم فى دراسات النقد ، وهو منهج ابي هلال العسكري فى كتابه الصناعتين وابن سنان الخفاجي فى كتابه سر الفصاحة ، ومنهج الآمدي فى كتابه الموازنة ومنهج القاضي الجرجاني فى كتابه «الوساطة» ، ومنهج ابن رشيق فى كتابه « العمدة » ، وابن الاثير فى كتابه « المثل السائر » .

ويحاول المستشرقون ان يقولوا فى كتبهم وعلى السنة دعاتهم فى البلاد العربية للشباب العربي : ان علم التصوف الاسلامي اخذ من الافلاطونية الحديثة او من المذاهب المسيحية ، وان علم البلاغة العربية اخذ من كتاب الخطابة لارسطو ، وان علم الفقه الاسلامي اخذ من القانون الروماني الذى وضعه الامبراطور الروماني جوستنيان .

وهكذا يريدون ان يحطموا الكبرياء العربي ، وشخصية الثقافة الاسلامية الرفيعة ، ومعنويات الشباب العربي المسلم ، وبان يبعثوا فى البلاد العربية شعورا عميقا بأن العالم الاسلامي مدين فى القديم للثقافة اليونانية ، ومدين فى الحديث للثقافات اليونانية ، ومدين فى الحديث للثقافات الغربية ، كما هو مدين للغرب اليوم فى مجال العلوم والصناعات والكشوف الحديثة .

14 — ونحن ننادي فى الشباب العربي المسلم بأن يرفضوا هذه الدعايات الغربية المقوتة وبأن يرفضوا مناهج الغرب فى دراسة العلوم العربية والاسلامية ، وان يعود الى مناهج اسلافنا القدماء ، ففيها الاصالة والعمق والسمو والاحاطة والكبرياء والبقاء ...

د. محمد عبد المنعم خفاجى

الكلمات القرآنية الجارية مجرى الأمثال بالمغرب

للأستاذ عبد القادر زمامة

- 2 -

في الحلقة الاولى قدمنا الآيات القرءانية الكريمة التي تجري على الالسنة هنا في المغرب مجرى الامثال ...

وقد رتبناها حسب السور الواردة فيها ...

واليوم نقدم الحلقة الثانية ونبتديء بسورة الحج وننتهي بسورة نوح .. حيث اننا لا نتجاوز في العد مائة من الكلمات القرءانية الكريمة .

سورة الحجر

39) ادخلوها بسلام

الآية 46

في الآية الكريمة: «ان المتقين في جنات وعيون، ادخلوها بسلام ءامنين ..»

ويخاطب بالآية كل من يستدعى لمكان يجد فيه الاكرام والترحيب والامن والامان ...

40) فجعلنا عاليها سافلها

الآية 74

الآية تحكي هلاك قوم لوط وخراب مدينتهم ..

والاستعمال يعني معنى قريبا من ذلك عند تقلب الاحوال في مدينة او جماعة ..

سورة النحل

41) أساطير الاولين

الآية 24

كل شيء يدعو الى السئامة من الاخبار القديمة والوقائع والاحداث التي لا تهم يقال فيها هذه (اساطير الاولين)

42) ويجعلون لله ما يكرهون

الآية 62

عندما يرون انسانا يتصدق بأتفه الاشياء التي استغني عليها ولا فائدة فيها يقولون : (ويجعلون لله ما يكرهون)

(*) تابع لما نشر بالعدد السابق

43) ان ابراهيم كان امـة
الآية 120

يقال ذلك لمن ظهر انه شخص ذو قيمة خاصة لا يتبع غيره .. ولا يدخل فيما دخل فيه العموم ..

ســورة مـريـم

44) يا يحيى خذ الكتاب بقـوة
الآية 12

يقولها المعلم لتلميذه الذي يريد تحفيظه القرءان ... يشحذ بذلك عزيمته ليظهر النشاط والمواظبة في حفظ الكتاب العزيز ..

45) وهــزي ..
الآية 25

الخطاب لمريم عليها السلام ...

والاستعمال يعني ان الرزق لابد للحصول عليه من بذل مجهود فالتمر لا يسقط من النخلة الا بمعاناة وجهد ... فكل من ينصح غيره بالكد والعمل في سبيل الحصول على الفائدة .. يقول له :

وهـزي .....!

سـورة طـــه

46) علمهـا عنـد ربـي
الآية 52

المراد ان الامر خفي وان الحقيقة غائبة عنا .. فالله اعلم بها .. وقد اجاب بذلـك موسـى عليـه السلام لما سأله فرعون :

ـ ما بال القرون الاولى ..؟

ـ قال علمها عند ربي في كتاب ...

47) فاقض ما انت قاض
الآية 72

يخاطب بذلك كل ظالم مؤذ.. وقد خاطب بذلك السحرة فرعون لما توعدهم حيـن اقـروا بمعجـزة موسى .. وءامنوا به ..

48) وقل رب زدنـي علمـا
الآية 114

عندما تنكشف حقيقة لشخص ويطلع على سر من الاسرار .. يقول : « وقل رب زدني علما .. »

وكثيرا ما يكون ذلك من باب اظهار التحسر على الانخداع . بمظاهر شخص لمدة .. ثم تنكشـــف حقيقته لغيره ..

49) لعلك ترضى ..!
الآيــة 130

تقال في معرض الحديث عن شيء كثير بحيث يستطيع الانسان امام كثرته ان يختار اجوده ويقتني احسنه .. والدلالة القرءانية تعني الاكثار من تسبيح الله في ءاناء الليل واطراف النهار عل ذلك يرضي النفس بما تقربت به الى الله ..

ســورة الانبيـــاء

50) فاسألوا اهـل الذكـر
الآيــة 7

في نفس الدلالة القرءانية ...

51) لو كان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا
الآيــة 22

تساق في معنى قريب من الدلالة القرءانية ..

بمعنى انه اذا تعدد الرؤساء تعارضت المصالح واختل النظام وفسدت الاعمال ..

52) وجعلنا من الماء كل شيء حي
الآيــة 30

عند رؤية المياه الجارية والامطار الغزيرة .. وما تسببه من خصب ونماء وسعادة للانسان والحيوان.

53) كل نفس ذائقة الموت
الآيــة 35

في نفس الدلالة القرءانية

54) بـردا وسلامـا ...
الآيــة 69

من تمام ءاية : **قلنا يا نار كوني بردا وسلامـا على ابراهيم**

ويراد بذلك ان الامر كان فيه نعمة وخير ..

55) يا جوج وما جوج
الآيـة 96

يقال لذلك لكل جماعة من الرعاع تكاثر عددهم وشرهم اشارة الى ما فى الآية الكريمة ..

« حتى اذا فتحت يا جوج وما جـوج وهم من كل حدب ينسلون »

سـورة الحـج

56) وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
الآيـة 2

تقال عند اهوال تفقد الناس رشدهم وتفكيرهم وتسلمهم الى الحيرة والاضطراب ..!

57) يعبد الله على حرف
الآيـة 11

بمعنى انه غير متمكن وغير مطمئن مما هو فيه من فكرة او عقيدة .. فادنى شيء يصرفه . وادنى شيء يؤثر فيه ..

58) فانها لا تعمى الابصار ولكـن تعمـى القلوب التى فى الصدور
الآيـة 46

فى نفس الدلالة القرءانية

59) ضعف الطالب والمطلوب
الآيـة 73

فى ظهور العجز والاقرار به والاستسلام لقدرة الله القادر على كل شيء .. وهـذا نفس الدلالـة القرءانيـة .

60) وما جعل عليكم فى الدين من حرج
الآيـة 78

نفس الدلالة القرءانية بمعنى ان دين الله يسـر .. وان المشقة تجلب التيسير .. والتكليف منوط بالاستطاعة فلا حرج .. ولا ارهاق ..

سـورة المومنـون

61) ادفـع بالتي هي أحسـن
الآيـة 96

كلمة « التى » المقرونة بالباء « بالتى » صارت تدل على الرفق والتمهل .. وذلك اشارة الى الآيتين

ـ وجادلهـم بالتـي هي أحسـن ..

ـ ادفع بالتي هي أحسن ...

فيقال هذا سائق يسير « بالتي »

وهذا عامل يشتغل « بالتي »

والاصل فى ذلك ان الآيتين الكريمتين تأمـران بالتي هي احسن ..

وهذا من أعمق التأثير القـرءاني فى التعبيـر اللغوي ..

سـورة الـنـور

62) وما على الرسول الا البلاغ
الآيـة 54

كل من اوصل رسالة أو امرا .. يقول وما على الرسول الا البلاغ ..! وهذا مدلول الآية بالنسبة الى الانبياء عليهم السلام .

63) ليس على الاعمى حرج
الآيـة 61

فى نفس الدلالة القرءانية

سـورة الشعـراء

64) ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
الآيـة 13

هو من كلام موسى عليه السلام ... ويراد به فى الاستعمال ان هناك موانـع من الافصـاح عـن أشياء فلهذا يضيق الصدر بها من دون ان يستطيع اللسـان الاعراب عنها ..

ســـورة النـمـل

65) وهم لا يشعرون ..!
الآيـة 18

يقال ذلك للغافلين عما يصيب غيرهم من اذاهم. وهم لا يهتمون ولا يلتفتون كأنهم فقدوا الاحساس..

66) تسعـــة رهـــط
الآيـة 48

يقال ذلك لكل مفسد مخرب يأتي على الاشياء فيعمل فيها معول الفســاد والافســاد .. من دون اهتمام بالعواقب ..

68) فى ضيـق مما يمكـرون
الآيـة 70

يتحدثون عن انســان وقع فى حرج عظيم .. فيقولون: هو فى ضيق مما يمكرون بمعنى انه فى عناء وشقاء وحرج ...!

ســـورة القصـــص

69) سنشد عضدك باخيك
الآيـة 35

الخطاب فى الآيـة لموسى عليه السلام ...

والاستعمال يعني نفس الدلالة القرءانية بجعل الاخ معينا ومساعدا ..

70) ولا تنس نصيبك من الدنيا .
الآيـة 77

فى نفس المدلول القرءاني ..

71) ان الذى فرض عليك القرءان لرادك الى معـــاد
الآيـة 85

تقال. وتكتب على الجدران عند ارادة السفر ..

ســـورة العنكبــوت

72) بيت العنكبــوت
الآيـة 41

يضرب به المثل فى الضعف والتفاهـة « وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت ..

ســـورة الـــروم

73) لله الامر من قبل ومن بعد
الآيـة 4

يقال ذلك عند اسناد الامر الى الله فى ســراء الحياة وضرائها

74) يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحـي
الآيـة 19

للتعميم فـى الاولاد الصالحيــن مــن الآبــاء الفاسديــن .. والعـكـس .. ولخـروج اصنــاف المخلوقات بعضها من بعض ..

75) ظهر الفســاد فى البر والبحر
الآيـة 21

بمعنى عم الشر ارجاء الدنيا ...

ســـورة لقمـــان

76) هـــذا خلـق الله
الآيـة 11

الاشارة الى كل شيء لا حيلة للانسان فى خلقه أو صنعه .

ســـورة الاحـــزاب

77) ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه
الآيـة 4

بمعنى ان الانسان محـدود الارادة والقـوة لا لا يستطيع ان يتقن عملين اثنين دفعة واحدة .. ولا ان يعتقد عقيدتين مختلفتين ..

والدلالة القرءانية فيها اصل هذه المعنى ...

وقد نزلت الآية فى قضية زيد بن حارثة مولى رسول الله الذي اعتقه وتبناه .. ثم نزلت الآية فى ابطال التبني .. وانتساب كل ابن لابيه فقط ..

سورة فاطر

78) ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد

الآية 16

فى نفس الدلالة القرءانية ..

79) ولا تزر وازرة وزر اخرى
الآية 18

كل انسان مسؤول عما قدمت يداه .. ولا يواخذ بأفعال الغير .. وهذا نفس الدلالة القرءانية.

80) ولا يحيق المكر السيىء الا باهله
الآية 43

فى نفس الدلالة القرءانية ..

سورة يس

81) وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
الآية 78

عندما يظهر انسان الاستعلاء بنسبة غيره الى الدنايا .. ونسبة نفسه الى المعالي .. مع انه ليس منها فى شيء يستشهدون بالآية الكريمة « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه »

82) بمعنى ان الامر نافذ سريع لا بطء فيه ولا تمهل ..

سورة الزمر

81) أرض الله واسعة
الآية 10

بمعنى ان كل من اهين او ظلم يجد متسعا من الارض يفر اليه ..

سورة الشورى

82) فريق فى الجنة . وفريق فى السعير
الآية 7

الدلالة القرءانية واضحة ...

والمراد عند ذكر الآية على الالسنة ان الدنيا حظوظ سعادة وشقاء ..

83) وهو على جمعهم اذا يشاء قدير
الآية 29

الآية فى سياق خلق السماوات والارض وما بث فيهما من دابة **وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ..**

والاستعمال فى الحديث قريب من المعنى المراد ..

فهو سبحانه قادر على جمع المتفرقين .. ولهذا يقول الاصدقاء بعضهم لبعض .. عند الاجتماع مصادفة .. وهم فى حالة سرور .. « **وهو على جمعهم اذا يشاء قدير** »

84) وجزاء سيئة سيئة مثلها
الآية 40

فى نفس الدلالة القرءانية

سورة الزخرف

85) نحن قسمنا ..
الآية 32

ـ الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق...

ـ نحن قسمنا ..

تسمع ذلك عند الحديث عن اختلاف حظوظ الناس فى الحياة .

86) هي اكبر من اختها
الآية 48

سياق الآية فى تعداد آيات الله الدالة على قوته وبطشه .. ونسمع : « **هي اكبر من اختها** » عند انكشاف شيء اعظم من سابقه من الاحوال والاخبار.

ســـورة الفتـــح

87) **حميـــة الجاهليـــة**
الآيـــة 26

نفـس المعنى القرءاني

88) **سيماهم فى وجوههم**
الآيـــة 29

نفس المدلول القرءاني

ســورة الحجـرات

89) **ان بعض الظـن اثـم**
الآيـــة 12

نفس المدلول القرءاني

ســـورة (ق)

90) **هل من مزيد ؟**
الآيـــة 30

السياق لجهنم التى تطلب المزيـد من الكفـار والعصاة ... والاستعمال فى الانسان الحريص الذى لا يشبعه شيء من طعام او مال او شهوات اخرى .

ســـورة النجـــم

91) **وان الى ربك المنتهى**
الآيـــة 42

أي لا غاية وراء الغاية ..!

92) **ازفت الازفة**
الآيـــة 57

جاء الوقت .. وحان الاوان

ســورة الرحمـــن

93) **الرحمـن علم القـرءان**
الآيـــة 1

لا داعي للحرص على تعليم وتحفيظ من لم يرد الله به تعليما ولا حفظا ... **فالرحمن علم القرءان**

ســورة الحــشــر

94) **بأسهم بينهم شديد ..**

95) **تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ..!**
الآيـــة 14

سياق الآيـــة فى المنافقين واليهود الذين كانوا يتألبون ويتآمرون ضدا على الرسول والاسلام .

والاستعمال عام في كل الذين يسيرون علـى ذلك المنوال ..

96) **كمثل الحمار يحمل اسفارا**
الآيـــة 5

فى نفس الدلالة القرءانية

ســـورة الـطـلاق

97) **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفســه**
الآيـــة 1

نفس الدلالة القرءانية ..

98) **لينفق ذو سعة من سعته**
الآيـــة 7

نفس الدلالة القرءانية

ســـورة المـعـارج

99) **جمـع فأوعـى**
الآيـــة 18

سياق الآية فيمن جمع ماله وادخره فى الظروف والاوعية ...

والاستعمـال فى الكتـاب ، او الانسـان ، او الكلام الذى جمع كل ما يطلب فيه

سـورة نـوح

100) ولا يلدوا الا فاجـرا كفـارا
الآيـة 27

في نفـس المدلـول القـرءاني ...

هذه بعض الكلمات القرءانية التي تجري مجرى الامثال في تكرارها على ألسنة الناس نساء ورجالا كل يوم وفي كل مناسبة .. وذلك ولا شك من اثـر العقلية القرءانية ، والتعليم القرءاني الذي كان سائدا في المجتمع المغربي ...

وقد اشرنا سلفـا الى أن هنـاك من الكلمـات القرءانية ما يجـري على الالسنة مع جهـل بمعانيـه الاصلية ودلالاته الحقيقية .. وقد ضربنا عنه صفحا .. عند الاختيار ...

وهكذا يكون للكتاب العزيز مكانته في تقويـم الاخلاق .. وتربية النفوس .. وحياة اللغة .

فاس ـ عبد القادر زمامه

مـن معانـي الآيـة ...

1) يراد بالآية طائفة من حروف القرءان الكريم ـ «تلك آيات الكتـاب المبيـن »

2) ويراد بها العلامة ـ « رب اجعل لي آيـة »

3) وتطلق على المعجزة ـ « ولقد آتينا موسى تسع آيـات بينـات » .

4) ويراد بها العظة والعبرة « ان في ذلـك لآيـات لاولي النهـى »

5) ويراد بها البرهان ـ « سنشد عضدك بأخيـك ونجعـل لكما سلطانا فلا يصلون اليكمـا بآياتنـا »

6) وتطلق على حكم من احكام الله ـ « تلـك حـدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

شبهات وأخطاء

شائعة في الفكر الاسلامي

للأستاذ أنور الجندي

ان قضيتنا ونحن على أبواب العقد الاخير من القرن الرابع عشر وعلى أبواب الخامس عشر ، هي تلك التحديات التي تواجه الاسلام والفكر الاسلامي والتاريخ واللغة العربية في محاولة اخراجنا عن مقومات فكرنا ، فعلى المفكرين ان يواجهوا هذه الشبهات بالتصحيح والتحرير والدحض واذاعة الحقائق وسنجعل هذا عملنا باذن الله .

1 ـ هل كان الاسلام مصدر تأخر المسلمين .

الواقع ان المسلمين في هذه الفترة التي احتل فيها الغرب عالم الاسلام لم يكونوا يمثلون الاسلام حق التمثيل ، فقد كان الاسلام محجوبا بالمسلمين ، ولا شك أن فترة ضعف العالم الاسلامي لا يمكن ان تكون صالحة لمناقشة جوهر هذا الفكر في مجال التطبيق بعد ان أصيب بالجمود والضعف ، وغلبت عليه نزعة « التقليد » فقد كان الفكر الاسلامي في جوهره وتجربته الاولى مضيئا ايجابيا مؤثرا متفاعلا .

ولو ان العالم الاسلامي ظل مرتبطا بجذور هذا الفكر ومقوماته الاساسية لم ينحرف عنها كما وقع في « أزمة التخلف » ولو ظل دائبا في حركته الاصيلة ، ولم تقف في وجهه الحوائل الضخمة ، من غزو خارجي ، ومؤامرات الخصوم في الداخل ؛ لوصل الى مكانه الانساني الاسمى ولظل مؤثرا في مجرى الفكر العالمي .

ان القول بأن تأخر المسلمين والعرب كان مصدره الاسلام فهو قول مردود بتجربة التاريخ ، فقد أقام الفكر الاسلامي حضارة باذخة في ظل العقيدة ، وعلى اساس امتزاج المادة بالروح ، حيث لم يتعارض العلم قط مع الدين .

والذين ينسبون تاخير المسلمين الى الاسلام ، انما يحاولون ان يرددوا ما يقوله خصوم الاسلام دون وعي ، او يقيسون الاسلام الى الاديان الاخرى ويجعلون من موقف هذه الاديان من الحضارة والنهضة تماثلا بينه وبين موقف الاسلام من الحضارة والعلم والتقدم ، مع الفارق البعيد والعميق بينهما .

لقد طرأت المسيحية على الحضارة الرومانية بعد اكتمالها ولم يتقيد الغرب بأصولها الربانية المنزلة ، فقد كان الدين في الغرب اطارا من المسيحية ، في داخله مضمون من الوثنية اليونانية في العقائد ، والقانون الروماني في الشريعة والاخلاق . فلم يستطع هذا التركيب المختلط ان يواجه النهضة مواجهة صحيحة . وليس كذلك موقف الاسلام الذي صنع مجتمعه وحضارته واقام لقيمها وفق مفاهيمه وقيمه اساسا .

وعندنا ان كل ما يقال في الغرب عن الدين لا ينطبق على الاسلام ، فالاسلام ليس دينا لاهوتيا خالصا ، وهو لم يقف امام النهضة والعلم ؛ بل هو دين العلم ، ومصدر المنهج العلمي الحديث ؛ وقد ظل تاريخه وظلت حضارته اربعة عشر قرنا تشير الى انه لم يجمد ولم يتوقف عن الحركة ؛ وظل قادرا على التجاوب مع النهضات والحضارات في آفاق العلم والبحث والابتكار .

ويتصل بهذا ما يردده خصوم الاسلام والعرب والمسلمين من قولهم :

« لا بد لكي ينهض العرب والمسلمون ، من الانفصال عن الماضي » .

وهي دعوة غريبة كل الغرابة ذلك ، لان هؤلاء الذين يدعوننا الى ذلك ، لم ينفصلوا هم عن ماضيهم؛ فقد قامت الحضارة الغربية اساسا على التراث اليوناني والروماني ، واستمدت منه أبرز قيمه ودعائمه، هذا بالرغم من ان الاغريق انتهوا وانفصلوا عن اوربا الف عام تقريبا ، فكيف يعود الغربيون الى تراث انفصلوا عنه الف عام ، بينما يطالب الى العرب والمسلمين ان ينفصلوا عن تراثهم الذى لم ينفصلوا عنه عاما واحدا، بل ولا يوما واحدا، ولم يزل حاضرهم امتدادا لماضيهم .

واذا وصف الفكر اليوناني بانه تراث، فلا يوصف الفكر الاسلامي بذلك ، ذلك ان التراث هو ما تجمد وانفصل ، اما الفكر الاسلامي فما زال حيا متفاعلا في مجتمع العرب والمسلمين ، بالرغم من تمزق دوله واحتلال الغرب لها ، بل لقد تأكدت استحالة هذا الانفصال بتقدير المستشرقين انفسهم ، ويقول فى هذا هامتون جيب :

« ليس فى وسع العرب ان يتجردوا من ماضيهم الحافل وسيظل الاسلام اهم صفحة فى هذا السجل الحافل »

لذلك كان دعوى الانقطاع عن الجذور انما هي دعوة تغريبية ، وهي حين لا تدعو صراحة الى هذا الانفصال تحاول ان تصور هذا الماضي الباذخ بصورة تبعث على السخرية به .

والنظرة الى الماضي ليست منكورة فى الفكر الغربي ولا محرمة، وهذا رجل من اقطاب الفكر الغربي هو (اوبرتو بيز تبانو) الاستاذ بجامعة باليرمو فى صقلية يقول :

« ان النظر الى الامام لا يمكن ان يتم دون التزود من الماضي ، والبحث عما هي العناصر التي تكون جوهر هذا الماضي حتى يمكن بناء الحاضر والمستقبل من الماضي نفسه ، ولا يمكن للمسلمين والعرب ان يكونوا كامريكا التي يبدأ تاريخها فى القرن السادس عشر بينما للعرب تراث ثلاثة عشر قرنا » .

2 ـ هل الاسلام دين لاهوتي

تقول شبهات التغريب ان الاسلام يستطيع ان يعطي العالم حاجته الروحيه فحسب ، وهذا قول باطل ظاهر البطلان ، فحيث الغرب ينصهر فى الفكر المادي الصرف ، الذي يقوم على اساس الدروينية والعلم التجريبي والتفسير المادي للتاريخ ، ونظرية فرويد فى مادية الاخلاق واعلاء جانب الغريزة فى الانسان بالاضافة الى نظرية الذرائع التي تعلى من شأن المصلحة فى مقابل كل عمل .

وحيث الشرق ينصهر فى الفكر الروحي الصرف حيث البوذية والكنفوشيوسية ونظريات البرهمية التي تعلى من شان الروحية والفناء الصوفي .

نرى الفكر الاسلامي يقوم على ازدواج الروح والماده ازدواجا متفاعلا ، مسبوكا فيه الدنيا مع الآخرة ، والعقل مع القلب . قوامة التوحيد . وسيادة الانسان للكون تحت حكم الله ، مع الايجابية والتفتح والعصرية والتقدمية .

والفكر الاسلامي لم يغلق نوافذه امام الفكر العالمي والانساني قط ، فهو فكر مفتوح قادر على التلقي لكل نزعات التطور والتغير ، محتفظا بذاتيته وقيمه ومقوماته ، يأخذ ويعطي ، دون ان يفقد طابع شخصيته او ملامحه الاصيلة .

وقد اتصل الفكر الاسلامي بالفكر الروماني والاغريقي والهندى والفارسي ، وكان قادرا على ان يأخذ ويصهر ما يأخذ فى بوتقته ، اخذ دون ان تضغط عليه اى قوة ذات نفوذ ، أما اليوم فانه قد تعرض للاقتباس تحت ظل نفوذ اجنبي ضاغط ، ومع ذلك فقد جاهد فى سبيل المحافظة على مقوماته ، وهو اليوم فى هذه المرحلة من حياته : « مرحلة الرشد الفكري » قد اصبح قادرا على انيرد عنه كل ما من شأنه انيفسد مقوماته .

لقد جمع الاسلام بين العقيدة والشريعة ، وبين العلم والعمل ، وبين الجسم والروح ، وبين الدنيا والآخرة ، وجمع الفكر الاسلامي بين المعقول والمنقول، والشريعة والفلسفة ، والحضارة والدين ، وبين الفردية والجماعية ، وبين السياسة والاخلاق ، وبين العام والدين .

والاسلام هو التراث الحضاري بين العرب والمسلمين ، وبين المسلمين والمسيحيين ، وللاسلام ذاتيته الخاصة ومقاييسه الخاصة .

هذا الفهم الاسلامي للاسلام ، هو ايضا فهم الباحثين الذين تعمقوا الاسلام من غير المسلمين . يقول نعيمة عطية من اساتذة الجامعة الامريكية في بيروت :

« ان الاسلام في جوهره أكثر من مجرد ايمان ديني ، انه نظام حياة يشمل جميع المؤسسات الاجتماعية والدينية منها والزمنية ، كما يجد الانسان في الاسلام ما يشبع توقه الروحي عن طريق الايمان بالله ، والتعبير له بالصوم والصلاة والزكاة والحج ، كذلك يجد فيه نظاما من القيم الاخلاقية والشرائع المدنية التي تعطيه أجوبة مفصلة لما يعترضه من مشكلات الحياة اليومية ، تلتقي فيه الحياة الروحية بالحياة الدنيوية ، فالاسلام نظام روحي ونظام زمني كلاهما متصل بالآخر وانعكاس له فلا محل للفصل بينهما ، فالشريعة هي القاعدة التي يجب ان تتم على اساسها المعاملات بين المسلمين وتبنى عليها حياتهم المدنية بكاملها ، كما ان الجمع بين الحياة الروحية والحياة السياسية واجب ديني ، لان وحدة الامة روحيا منوطة بوحدتها سياسيا ولذلك فالامة في الاسلام لن تكتمل ما لم تتجسد في دولة تتيح للمسلمين ان يعيشوا بحسب فرائض دينهم » ا . هـ .

وفارق بين نظرة الاسلام الى الانسان ونظرة الاديان الاخرى ، وقد جاءت اليهودية فانحرفت الى الفردية الطاغية ، ثم جاءت المسيحية فانحرفت الى الروحية الخالصة ، والى النظرة من هذه الدنيا ـ على حد تعبير العلامة صلاح الدين السلجوقي ـ فجاء الاسلام وسطا جعل الفرد متفاعلا مع المجتمع ، وجعل المجتمع متفاعلا مع الفرد تحت اسم « التوازن » ووسطية الاسلام ليست فقط في تقريب الفرد من المجتمع ولا المجتمع من الفرد ، وانما في السلوك الخلقي لان الوسط بين التفريط وبين الافراط هو فضيلة وهو خلق ، وليس في الحق من خلاف بين الاسلام والمسيحية : كما يحاول النفوذ الاستعماري ، وفي هذا يقول المؤرخ ارنولد توينبي : « ان الاسلام لم يدخل في معركة مع رسالة عيسى ولكن مع الكنيسة المسيحية التي استولت على عقول الروم واستسلمت الى ما دعت اليه الوثنية الاغريقية من الشرك وعبادة الاصنام ، فقد استنكر الاسلام هذا الشرك واسترد عبادة الاله الواحد ، الذي دعا ابراهيم الى عبادته من قبل ، وهكذا حمل الاسلام شعلة التوحيد بين المسيحيين المشركين من جهة ، والهندوس المشركين من ناحية اخرى .. ان عقيدة التوحيد التي جاء بها الاسلام من اروع الامثلة على فكرة توحيد العالم ، وان في بقاء الاسلام املا العالم كله ، وشعيرة الحج تعد عاملا قويا في تطبيق مبدأ توحيد العالم ، ليس المهم منها ما يؤدي من مناسك بل هي رمز للاخاء الذي يربط المسلمين بعضهم ببعض دون تفرقة لونية او عنصرية » .

ولم يقف اثر الاسلام عند هذا الحد الذي وصفه (توينبي) بل انه انه تعداه الى ءافاق اخرى ، وصفها (بارتلمي سانهير) حين قال :

« ان الاسلام قد أحدث رقيا عظيما جدا في تدرج العاطفة الدينية ، فقد اطلق العقل الانساني من قيوده التي كانت تاسره حول المعابد وبين ايدي الكهنة من ذوي الاديان المختلفة ، فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة ، ثم ان محمدا بتحريمه الصور في المساجد وكل ما يمثل (الله) قد خلص الفكر الاسلامي من وثنية القرون الاولى ، واضطر العالم الى ان يرجع الى نفسه وان يبحث عن الله خالقه في صميم روحه .

والاسلام واسع الارجاء لتلقي العلم الحديث (على حد عبارة دكتور بول دى ركلا) هذا العلم الذي انتجته الاجيال الطويلة ، وليس كما يزعم البعض بمحدود الاطراف لان التعاليم الرفيعة وضعت لكرور الدهور ، وستبقى خالدة وضاءة الانوار تكشف كل مدنية تتمخض عنها العصور » .

وليس الاسلام جامدا لا يتحرك ، وهي دعوى لا دليل عليها ، كما يقول افيلكس فالي ، ويضيف : « كان الاسلام في كل عصوره مثارا للحركة الفكرية في التاريخ » بل وسيبقى الاسلام قابلا للتطور ، وهذه عبارة الجنرال يوصور حتى في ظل الدولة الحديثة : « فقد عرفت قدرة المسلمين على التوفيق بين العلم الحديث واستمساكهم بالقواعد التي رسمها الدين » .

ولا تقف العقيدة الاسلامية في سبيل الفرد ـ كما يقول العلامة اتيان دينيه ـ : « وقد يكون المرء صحيح الاسلام وفي الوقت نفسه حر الفكر ، وكما ان الاسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والاجناس فهو صالح كذلك لكل انواع العقليات وجميع درجات المدنيات » .

وما من دين استطاع ان يوحي الى المتدينين شعورا بالعزة (وتلك عبارة ولفرد كانتول سميث) كالشعور الذي يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع ، وعنده ان الغربي لا يفهم الاسلام حق الفهم، الا اذا ادرك انه اسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهرا وباطنا ، وليس مجرد انظار وعقائد يناقشها بتفكيره » .

وليس شك ان هذه الصنوف كلها وهي من كتاب غربيين ، تدحض شبهة القول بأن الاسلام يستطيع ان يعطي العالم حاجته الروحية فحسب، ويكشف عن ان الاسلام دين ومدنية ، وانه قادر على الاعطاء في مجال النهضة والتقدم ، وان نظرته الى الانسان تختلف عن نظرة الاديان الاخرى وان له ذاتيته الخاصة وطابعه وشخصيته .

وهو مع هذا التكامل الواضح ، والوسيطة الصريحة ، والحركة القادره ، ليس مغلقا ولا جامدا بل هو اميل الى التسامح في القدرة على التلقي ، والانفتاح على الثقافات الحية ، ويرجع ذلك في اعتقادنا الى ايمانه الذي لا يتزعزع بالقيم الاساسية والمبادىء الاصيلة وفي مقدمتها التوحيد ، فنحن نؤمن دوما بأن لنا شخصية ولنا قيم ولنا رسالة في العالمين وان الاسلام هو التراث الحضاري للعرب والمسلمين جميعا.

القاهرة : أنور الجندي

رويد يهود

رويد يهود ، هل لها في حصونها	من البأس الا ما تظن السلاحف
يظنون ان لن ينسف الله ما بنوا	ولن يثبت البنيان ، والله ناسف
سيلقون بؤسا بعد امن ونعمة	فلا العيش فياح ولا الظل وارف



للأستاذ : الراجي التهامي الهاشمي

- 20 -

قبيلـــة انمـــار :

قال ابن منظور انه «حي من احياء خزاعة (1)»
ولقد شاركت فى القرءان الكريم بلفظتين وزعتا على الشكل الآتي :

لفظة «طائر» فى قوله تعالـى : « وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » (2) وفى قوله تعالى (3) : « قالـوا اطيرنا بك وبمن معك ، قال طائركم عند الله ، بل انتم قوم تفتنون » . وفى قوله عز وجل : « قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم ، بل انتم قوم مسرفون (4)». وفى قوله تعالى : « فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ، الا انما طائرهم عند الله ، ولكن اكثرهم لا يعلمون (5) » فهي، كما نرى ، واردة فى القـرءان الكريم اربـع مـرات وتدل فى لغة قبيلة انمار على العمل (6) ، العمل الذى يقدمه الانسان لآخرته (7) .

اما الزمخشري فيؤولها اعتمادا على ما نعرف من عادة العرب فى تشاؤمهم وتفاؤلهم من نتيجة زجر طائر . فيقول مفسرا ءاية النمل المشار ليها اعلاه : « وكان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره ، فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم ، فلما نسبوا

(1) لسان العرب الجزء السابع صفحة 94 .
(2) الاسـراء الآيـة 13 .
(3) النمـل الآيـة 47 .
(4) يـس الآيـة 19 .
(5) الاعـراف الآيـة 131 .
(6) ابو القاسم بن سلام . وسالة تتضمـن ما ورد فى القرءان الكريم من لغات قبائل العرب منشورة بذيل تفسير الجلالين .
(7) الاتقان فى علوم القرءان الجزء الاول صفـحة 136 .
(8) الكشاف الجزء الثالث صفحة 292 .

الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببها من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة » . وهذه هي الفكرة التي رددها في تفسيره لبعض هذه الآيات (9) .

وافضل تاويل في هذا الباب هو ما اورده العلامة ابو القاسم الحسين بن محمد حين قال مفسرا « وكل انسان الزمناه طائره في عنقه » (10): أي عمله الذي طار عنه من خير وشر» فجمع بين الاصل المعنوي للفظة في لهجة قبيلة انمار وبين الاعتقاد السائد عند باقي العرب وعلماء لغتنا .

وافضل من ذلك كله ما صرح به الفراء حين قال (11): « الطائر معناه عندهم العمل وطائر الانسان عمله الذي قلده » . وهذا ما نحب ولا شك ان نسمعه ، وقد سمعناه والحمد لله من احد اكابر محققي اللغة العربية .

واعتقد ان كل الذين فسروا هذه المفردة بغير ما فسر بها الفراء كانوا مجتهدين غير موفقين تمام التوفيق في اجتهادهم وان لم يبتعدوا كثيرا عن المعنى الاصلي لهذه اللفظة وهكذا يذهب ابو عبيدة الى الاعتقاد ان الطائر هنا عند العرب الحظ .

اللفظة الثانية : « اغطش » الواردة في قوله تعالى : « واغطش ليلها واخرج ضحاها (12) » . جعلها ابو القاسم بن سلام (13) من لغة قبيلة انمار وهمذان وتبعه في ذلك الامام جلال الدين السيوطي (14) ، مفسرانها باظلم . ولم ترد هذه المفردة الا مرة واحدة في القرءان الكريم مما يبين غرابتها عن لغة قريش .

قبيلة اهل اليمامة

قال الجوهري (15): « واليمامة بلاد كان اسمها الجو ، فسميت باسم هذه الجارية لكثرة ما اضيف اليها ، وقيل جو اليمامة ، والنسبة الى اليمامة يمامي » . ويحدد ابو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم بلاد اليمامة فيقول : « وفي الحديث ذكر اليمامة وهي الصقع المعروف شرقي الحجاز ومدينتها العظمى حجر اليمامة » (16) .

ولقد شاركت هذه القبيلة في القرءان الكريم بلفظة بيانها كما يلي :

اللفظة « **حصرت** » في قوله تعالى : الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم ، حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ، فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا (17) » . وهي هنا معنى ضاقت في لغة اهل اليمامة كما اورد ذلك العلامة ابو القاسم بن سلام (18) والامام جلال الدين السيوطي (19) ولهذا المعنى ذهب الامام ابو القاسم الحسين بن محمد معمما حين قال (20) : « والحصر التضييق » وبهذا المعنى وردت في الآيات ، « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم

---

(9) آية الاعراف مثلا الكشاف الجزء الثاني صفحة 114 .
(10) المفردات في غريب القرءان . صفحة 310 .
(11) لسان العرب لابن منظور الجزء السادس صفحة 183 من الطبعة الاولى ببولاق سنة 1300 هـ .
(12) النازعات الآية 29 .
(13) ذيل تفسير الجلالين صفحة 274 من الجزء الثاني .
(14) الاتقان في علوم القرءان الجزء الاول صفحة 136 .
(15) الصحاح الجزء الخامس صفحة 2065 .
(16) لسان العرب الجزء السادس عشر صفحة 135 من الطبعة الاولى ببولاق سنة 1303 .
(17) الآية 90 من سورة النساء .
(18) رسالة جليلة تتضمن ما ورد في القرءان الكريم من لغات قبائل العرب بذيل التفسير المعروف بالجلالين صفحة 88 من الجزء الاول طبعة القاهرة بدون تاريخ .
(19) الاتقان في علوم القرءان الجزء الاول صفحة 136 .
(20) المفردات في غريب القرءان صفحة 121 .

واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا واقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، ان الله غفور رحيم (21) » . ومعنى احصروهم هنا قيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وان كان بعض المفسرين اولذلك تأويلاءاخر حيث ذهب الى انمعناها الحيلولة بينهم وبين المسجد الحرام (22) . ومعناها عند ابي الفداء اسماعيل ابن كثير « حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم الى القتل او الاسلام(23)»

ونعرف لهذا الفعل مصدرين حصر واحصار ، وضح معناهما جميع اصحاب المطولات دون ان يبينوا الفرق الدقيق بينهما ما عدا الراغب الاصفهاني الذي اصاب الهدف حين قال : « والحصر والاحصار المنع من طريق البيت ؛ فالاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض ، والحصر لا يقال الا في المنع الباطن وعلى ما تقدم جاءت معنى الآية : « واتموا الحج والعمرة لله ؛ فان احصرتم فما استيسر من الهدي ؛ ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله، فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام اوصدقة أو نسك، فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي ، فمن لم لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم، تلك عشرة كاملة ؛ ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ، واتقوا الله ، واعلموا ان الله شديد العقاب (24) » والآية 283 من سورة البقرة .

اما لفظة « حصور » الموجودة في قوله تعالى : « فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيئا من الصالحين (25) » فقد سبق ان تحدثت عنها في الحلقة الثالثة حين تعرضت للكلام عن لهجة قبيلة كنانة (26) لانها منها ، وعلقت عليها ءانذاك بما اعتقد انه يشفي الغليل ، فليتفضل بالعودة اليها من أراد .

ولعل قرائي الكرام لاحظوا ان القبائل التي تتحدث عنها الآن لم يكن لها حظ كبير فتشارك بالفاظها في القرءان الكريم كما شاركت هذيل وكنانة وغيرهما ؛ ولانني لاحاول جهد المستطاع ان اثبت في هذا البحث المتواضع كل قبيلة ساهمت ولو بقسط زهيد في القرءان الكريم . وغني عن البيان ان هذا يحتاج الى وقت طويل ، ومطالعات متواصلة ، وبحث وتنقيب لا يتاتيان لمن سلبت مهام الادارة منه كل اوقاته . ومع ذلك فانني والحمد لله ، بالهام منه ، ولا شك ، اعثر على بغيتي في مراجع يلهمني الله لقراءتها وان كان الاتجاه الذي اسير فيه لا يسمح لها بالوقوع في طريقي .

لقد عشت زمنا طويلا على ظن أن الفاظ قبيلة قضاعة التي دخلت القرءان قد انتهينا منها الى ان قرات كتاب تجديد ذكرى ابي العلاء » للدكتور طه حسين الذي اورد ، ان الحديث عن شعر ابي العلاء المعري الذي يقول فيه :

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا
يظللهم ما ظل ينبته الخط
رجوت لهم ان يقربوا فتباعدوا
والا يشطوا في المزار فقد شطوا

فوجدته يقول فيه : « بل لم يكف ابا العلاء ان يتخير من الالفاظ ما لم يالف اهل عصره ، حتى استعمل غريب اللغة ونادرها ، فوضع انطي في اول القصيدة موضع اعطى ، وهي لغة قضاعية قرىء بها في القرءان (27) » .

---

(21) الآية 5 من سورة التوبة .
(22) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه كماأورده جل المفسرين .
(23) تفسير ابن كثير صفحة 336 من الجزء الثاني .
(24) البقرة 196 .
(25) الآية 39 من سورة آل عمران .
(26) دعوة الحق العدد الخامس ، السنة التاسعةذو القعدة 1385 صفحة 26 .
(27) تجديد ذكرى ابي العلاء الطبعة السادسة صفحة 187 .

فاتضح من هذا كله أن لفظة انطى قضاعية وانها موجودة فى احدى القراءات ، ومما يزيد الامر روعة ان الذى يقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى ذلك الطبراني والدارقطني والحاكم وابن مراويه والثعلبي . وقال الزمخشري « فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا انطيناك بالنون (28) » .

(28) الكشاف الجزء الرابع صفحة 646 .

ولا شك ان معنى انطى القضاعية اقوى من اعطى القرشية لان الكوثر كما اخرجه مسلم من رواية بن فلفل عن انس « نهر فى الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير » كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تطوان : الراجي التهامي الهاشمي

أيــام الخليـل

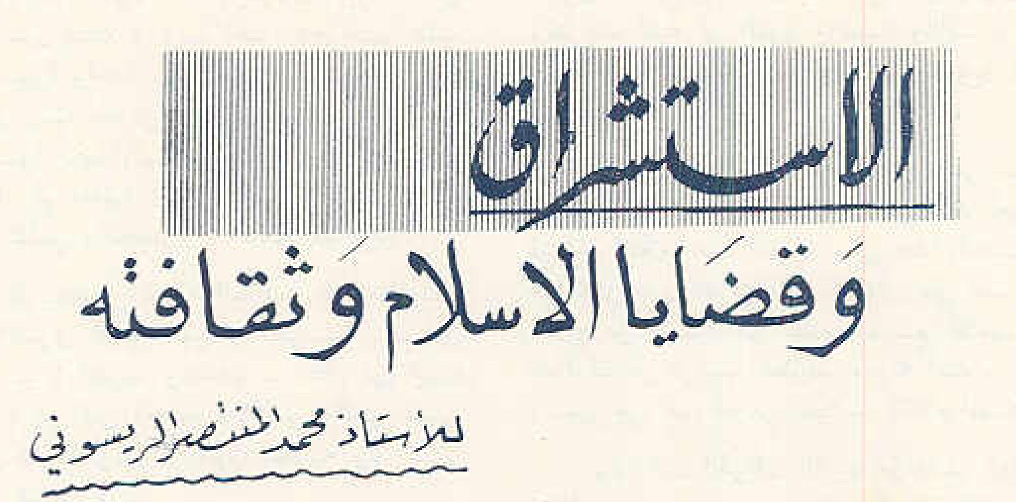
قال الخليل بن احمد : أيامي اربعـة .

يوم أخرج فالقى فيه من هو اعلم مني ، فأتعلم منه، فذلك يوم فائدتي وغنيمتي .

ويوم اخرج فالقى فيه من انا اعلم منه ، فاعلمه ، فذلك يوم أجري .

ويوم اخرج فالقى فيه من هو مثلي ، فأذاكره ، فهذا يوم درسي .

ويوم أخرج فالقى فيه من هو دوني ، وهو يرى انه فوقي ، فلا اكلمه ، واجعله يوم راحتي .



- 2 -

لقد كثر التصدي من جانب السفسطائيين المستشرقين لشخصية سيدنا محمد عليه السلام ، وتعددت مطاعنهم فيه وتفننوا فيها تارة يتهمونه بالتدجيل وتارة ينعطفون على الكتاب الكريم ويزعمون انه الفه وزوره وحرف مبناه ومعناه ، وكل ذلك بدعوى حرية البحث والفكر ، وما علم اولئك ان حرية البحث تقتضي النزاهة فى الحكم والقوة فى الحجة والاستقامة فى الراي ، واين هم من هذه الشروط التى يفرضها العقل الحر ؟

وليس من شك فى ان هذه الحملات الرعناء والمزاعم الهستيرية ترجع الى ان القرءان والداعي اليه هما الجوهر الاساسي لمكونات الفكر الاسلامي الذى قدم للفكر الانساني حضارة عملاقة غزت العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

ولم تنطلق هذه الحملات من جهة واحدة فقط ، بل انطلقت من جهات متعددة حملت لواء الهجوم ضد الاسلام ومصدر قوته ، فانبرت قوى الصهيونية والماركسية والاستعمار عن طريق المؤسسات الاستشراقية والمنظمات التبشيرية، والارساليات والتواليف ودور السينما تعمل آناء الليل واطراف النهار لتدبير المؤامرات ضد الاسلام والمسلمين .

ونذكر هنا على سبيل المثال ان رئيس وزراء بريطانيا « غلاستون » أخذ المصحف الشريف امام أعضاء مجلس العموم البريطاني وقال مصرحا عن حقده وعداوته « ما دام هذا الكتاب باقيا فى الارض فلا أمل فى اخضاع المسلمين » .

فالقرءان هو الوحي المنزل من عند الله على رسوله ، المكتوب فى المصاحف المنقول عنه متواترا ، وهو ءاخر الكتب السماوية . وهذا الكتاب العظيم حظي باهتمام بالغ لم يحظ به اي كتاب مقدس ءاخر لا من طرف المسلمين فقط ، بل كذلك من طرف المنصفين من عقلاء الغرب ، لكونه معجزة سماوية خارقة للعادة تتقاصر قوة العقل البشري مهما اوتي من عبقرية ونبوغ عن ان تؤلف سورة واحدة من سوره .

وهذه المعجزة الكبرى تحدت اهل اللسن ، ومصاقع الفصاحة وارباب اللغة من العرب بأن يأتوا بآية واحدة منها ، حتى انهم عندما عجزوا عن المعارضة نسبوا ما فيه من قوة البيان الى تأثير السحر ، ولقد استلبت روعتها الوليد بن المغيرة عندما سمع فقرة منها فقال قولته الصريحة : « فوالله ما منكم رجل اعلم مني بالشعر ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقوله شيئا من هذا ، والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلو وما يعلى » .

وظل القرءان يتحدى العرب ويطاولهم ان يأتوا بمثله فقال لهم فى سورة الطور « ام يقولون تقوله ؟ بل لا يومنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » ثم تساهل معهم فتحداهم بأن ياتوا بعشر سور من

نظيره فقال فى سورة هود : « ام يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله » ولما ابدوا عجزهم طلب منهم تأليف سورة واحدة مثله فقال فى سورة البقرة « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ، اعدت للكافرين » .

وعندما لم يجدوا القدرة البلاغية على مطاولة هذه المعجزة الكبرى انطلق القرءان الكريم يتحدى الانس والجن — لا العرب وحدهم — فقال فى اباء وثقة كاملة : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ولكن بعد الخسران الذى باء به العرب والهزيمة النكراء التى منوا بها فى هذه المباراة الادبية الهائلة لم يذعنوا او يخشعوا ، فعنجهيتهم ونعرتهم تأبى الاذعان والخضوع فقالوا : « ان هذا الا سحر مبين » فأقروا من حيث يشعرون او لا يشعرون بالغلبة والنصر .

وهذه الغلبة وهذا النصر كامن فى حد ذاته فى النسق القرءاني الذى هو غاية فى الروعة والسلاسة والعذوبة وتخير الالفاظ واتساقها فى شبكة فريدة عجيبة حتى ان بعض الآيات قد تتفق مع وزن من أوزان الشعر (1) — وليس معنى هذا ان القرءان شعر — وقد يتفق احيانا اخرى مع بعض قواعد النثر كالسجع مثلا لذلك فهو قد جمع بين هذا وذاك ولكن فى طريقة معجزة باهرة تؤكد تأكيدا لا لبس فيه انه عمل الهي محض مخالف لاي عمل بشري .

وفى مجال التشبيهات والاستعارات والتصوير الفني فالقرءان ثري بلغ الكمال ما بعده من كمال ، بالاضافة الى معانيه الغزيرة التى حوت فى احضانها اسرارا تشريعية ، وانباء غيبية وخوارق علمية ، ونظريات كليه في الكون والحياة والانسان ، ومشاهد تشكل نماذج بشرية فى تطلعاتها الحيوية ، وحالاتها النفسية .

وايا كان الامر فكتاب الله العزيز معجز بمزاياه الاسلوبية والمعنوية ، وهو فريد من نمط نفيس مخالف لمناهج الكلام عند العرب وفى هذا الصدد يقول الباقلاني « وذلك ان نظم القرءان على تصرف وجوهه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ومباين للمالوف من ترتيب خطابهم ، وله اسلوب يختص به ويتميز فى تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد (2) » .

ولو كان القرءان الكريم مؤلفا — كما فى زعم اولئك — من عند محمد عليه السلام لكانت اقواله الشريفة متساوقة والنسق القرءاني وخصائصه المعجزة ، ومناهجه الكلامية التى حيرت فحول البيان ، بيد ان الفرق بينهما واضح جلي يستشعره انصاف المثقفين فما بالك بذوي الحس البياني الثري .

هذا ، وقد اتبع فى جمع هذا الكتاب الكريم طريقة دقيقة للغاية لم يحظ بها اي كتاب سماوي واي تراث ادبي انساني ، ذلك ان الآيات القرءانية فى اول الامر كانت تنزل فيحفظها الرسول الكريم عن ظهر قلب بمشيئة الهية ثم يتلوها ويأمر اصحابه بكتابتها ، لذلك لم يكن القرءان محتكرا فى يد فئة معينة حتى يتسنى ان تمتد اليه يد التحريف والتشويه ، وقبل ان يجمع فى خلافة ابي بكر كانت اجزاؤه المكتوبة موجودة لدى الرسول عليه السلام وكثير من الصحابة ، ومات سيد الوجود وقد تركه مكتوبا على العسف واللخاف والرقاع والاديم والاكتاف كما تركه محفوظا فى صدور الرجال .

وقد عارض الرسول عليه السلام ما انزل عليه الله على ما حفظه عنه المسلمون فكان ذلك صورة دقيقة لما فى صدره الشريف .

---

(1) من ذلك قوله تعالى : « فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر » وهذه الكلمات متوافقة مع البحر الطويل الذى تفاعيله فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ، وقوله تعالى « فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم » ووزنه من البسيط وتفاعيله مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن وهلم جرا وقد تحدث عن هذا الامام السيوطي فى الاتقان ج 2 ص 87 — ط 3 — عام 1370 . وهذا الاتفاق الآنف الذكر لا يقوم برهانا لملحد متعنت ، وانما هو من قبيل الانسجام اللفظي ورقته المتناهية الروعة ، وما يشبه هذا نعثر عليه احيانا فى بعض كتابات البلغاء قديما وحديثا ، ويحسن الرجوع فى دراسة موسيقى القرءان ونغمه وتصوره الفني الى كتاب تاريخ ءاداب العرب ج 2 لمصطفى صادق الرافعي ولكتاب التصوير الفني فى القرءان للشهيد سيد قطب ففيهما القدر الشافي .

(2) انظر اعجاز القرءان للباقلاني شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجى ص 63 ط . الاولى .

وعندما كثر القتل في يوم اليمامة في حفاظ القرءان ، وذهب ضحية هذه الحرب عدد منهم لا يستهان به سارع عمر بن الخطاب الى ابي بكر يشجعه على جمع القرءان ، غير ان أبا بكر تروى في الامر كعادته ثم ارسل الى زيد بن ثابت (3) — وهو من كتاب الوحي — فوافقه على الفكرة واخذ زيد يستقصي القرءان ويكتبه ، وكان حافظا له ، ورغم ذلك لم يقنع في اثبات ءاية مختلف فيها الا بشهادة اثنى ان توفرت لديه صحف ظلت في بيت أبي بكر اثناء حياته ثم في بيت عمر بعده .

وقدم على عثمان حذيفة بن اليمان من حرب ارمينية واذربيجان وقد افزعه اختلاف المسلمين في قراءة القرءان طالبا منه انقاذ الامة من الانقسام الذى ستتردى في هوته ، وما كان من خليفة رسول الله الا ان استجاب ، فبعث يطلب الصحف من ام المؤمنين حفصة بنت عمر ثم عين للقيام بهذه المهمة الكبرى أربعة من كبار الصحابة هم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (4) وامر بنسخ الصحف فنقلوا منها مصاحف (5) ثم رد عثمان الصحف الى حفصة (6) وظلت عندها الى ان جاء مروان بن الحكم فأخذها منها واحرقها كما يروي ابو بكر السجستاني (7) .

واشرف امير المومنين عثمان واعلام الصحابة على عملية الجمع اشرافا محكما دقيقا ، ولم يكونوا يدونون منه الا بعد التحري المتقن والتحقق المتناهي ، وانه ثبت في العرضة الاخيرة ، ولم تنسخ تلاوته ، كما انهم لم يقبلوا ما كانت روايته ءاحادا وما ليس له ادنى صلة بالقرءان كالذي كان يثبته بعض من الصحابة شرحا لمعنى .

ومن قوانين عثمان رضي الله عنه في كتابة المصاحف انه كان يقول لكتابه القرشيين « اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرءان ، فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم » . وقد روي انهم اختلفوا في كتابة كلمه « التابوت » في قوله تعالى في سورة البقرة « ان ءاية ملكه ان يأتيكم التابوت » فقال زيد : التابوه بالهاء وقال القرشيون « التابوت » بالتاء المبسوطة غير ان عثمان أمرهم بكتابتها بالتاء المبسوطة لانها تكتب على ذلك الشكل في لغة قريش .

وتمت بعد ذلك عملية النسخ الدقيقة ، فبعث عثمان الى الامصار مصاحف واحتفظ بمصحف آخر في المدينة هو الذى سمي بالمصحف الامام — ولا شك ان هذا الاسم يرجع الى انه نسخ اولا ومنه نسخت المصاحف الاخرى — ثم امر بحرق ما كان مخالفا لمصحفه وقاية من الوقوع في فتنة مستطيرة .

ولم يقنع عثمان بارسال المصاحف الى الامصار الاسلامية وحدها بل ارسل مع كل مصحف ثقة عدلا ضابطا يقرؤه قراءة موافقة في اغلب الاحيان لما في هذا المصحف لذلك بعث زيد بن ثابت وامره ان يقرىء بالمصحف المدني ، كما بعث عبد الله بن السائب مع المصحف المكي والمغيرة بن شهاب مع الشامي وعامر ابن قيس مع البصري وابا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي .

وهكذا نقل عن الصحابة التابعون فقرأ اهل كل بلد بما يتوافق ومصحفهم اخذا عن ائمة الصحابة الذين تلقوا القرءان الكريم من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتلقى المسلمون عمل سيدنا عثمان بالترحاب والتقديس والتاييد علما منهم ان هذا العمل لم يقم به فرد واحد من الامة الاسلامية ، وانما اتفق عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يستحيل عليهم الكذب او التلفيق .

---

(3) لقد خص ابو بكر زيدا بهذه المهمة العظيمة لكونه كان اشهر الصحابة اتقانا لحفظ القرءان ، وكان مداوما لكتابة الوحي بالاضافة الى انه شهد العرضة الاخيرة للقرءان الكريم .

(4) في بعض الروايات ان الذين اضطلعوا بهذه المهمة اثنا عشر رجلا من المهاجرين والانصار من بينهم ابي بن كعب .

(5) اختلف في عدد المصاحف ، ومن المحققين من يرجح انها خمسة كالامام السيوطي ، ومنهم من يقول غير ذلك .

(6) علل بعض العلماء عدم احراق عثمان صحف حفصة لانها تعتبر المصدر الاساسي لمصحفه .

(7) المصاحف ص 10 .

اما المصاحف الفرديه التى اشتهرت فى عهد الصحابة فلم تظفر بالعناية كمصحف عمر بن الخطاب، ومصحف علي بن ابي طالب، ومصحف السيدة عائشة، ومصحف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم ، ذلك لان هذه المصاحف كتبها اصحابها لانفسهم ولم يلتزموا فيها ما تواترت قراءته ، واستقر فى العرضة الاخيرة، بل اثبتوا ما كانت روايته ءاحادا وما نسخت تلاوته ، وما كان شرحا لمعنى او بيانا للفظ .

ومعلوم ان المصاحف التى ارسلت الى الاقطار الاسلامية كتبت مجردة عن النقط والشكل حتى تكون محتملة لما تواترت قرءانيته من الاحرف السبعة وما استقرت عليه فى العرضة الاخيرة ثم نسخت المصاحف على غرار الاولى الى أن جاء دور النقط (8) والشكل (9) الذى حافظ على حرمة الكتاب الكريم وخاصة بعد ان امتدت الفتوحات الاسلامية وحدث الالتحام بين الحضارتين الاسلامية والاجنبية، ففشت العجمة على اللسان العربي فشوا جعل الناس يعجزون عن التمييز بين الكلمات القرءانية وقراءتها قراءة سليمة من اللحن والتحريف .

هذا وقد انعقدت كلمة السلف والخلف من الامة الاسلامية على ان ترتيب الآيات القرءانية فى سورها لم يكن اجتهاديا وانما كان توقيفيا ، والاجماع المنعقد حول هذه القضية تدعمه نصوص كثيرة بيد ان ترتيب السور قد اختلف فيه (10)

وبهذا يكون جمع القرءان قد مر بعهود ثلاثة :

ا ـ عهد الرسول عليه السلام (11) .

ب ـ عهد ابي بكر رضي الله عنه .

ج ـ عهد عثمان رضي الله عنه .

ولا يخفين على احد ان هذه العهود الثلاثة ـ كما تبين مما سبق ـ قد تميز كل عهد منها بميزة خاصة فى التدوين القرءاني .

بعد هذا العرض الوجيز عن جمع القرءان واعجازه الذى توخيت فيه الايجاز مع القاعدة المركزة ، لانه رحب الجوانب ، اتبقى هناك ذرة شك فى ان يد التحريف امتدت ـ كما امتدت الى الكتب السماوية الاخرى ـ الى الكتاب العزيز ، وما كان ذلك ليكون وهو هبة قدسية مباركة من الله تعالى للعالم ، يرعاها ويباركها مصداقا لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

ولا اظن بعد كل هذا ان صاحب عقل يميز بين الخبيث والطيب يصدق الخرافة الاستشراقية التى حاكها دعاة الصليبية والتبشير ، ويتمادى فى الاعتراف بهما على حين فئة من مستشرقي اوربا ممن تجردوا عن العصبية الحمقاء بعض الشيء اعترفوا بسلامته من التحريف ، ودقة كتابته ، ومن بين هؤلاء فولدكي الذى يقول فى دائرة المعارف البريطانية « ان مصحف عثمان على ما فيه من غرابة فى الترتيب (12) صحيح الرواية وكل محاولة من قبل علماء اوروبا لاثبات زيادات لحقته فى عصر متأخر لم يكن نصيبها الا الخيبة » .

ويقول بلاشير ـ رغم ما له من مطاعن ـ معترفا بورع اللجنة التى كلفت بنسخ المصاحف : « لا يسع احدا الشك فى عمق شعور اعضاء اللجنة بمسؤوليتهم، ولئن فاتهم منهج البحث الذى لم يكن ميسرا لاحد فى عصرهم ، فلم يفتهم الاحتياط والورع (13).

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

---

(8) اختلف العلماء فيمن كان له فضل الاسبقية فى نقط القرآن الكريم فقيل أبو الاسود الدؤلي او يحيى بن يعمر او نصر بن عاصم الليثي

(9) ان الشكل وضعه العالم الفذ الخليل بن احمد الفراهيدي وكذا الهمز والتشديد والروم والاشمام

(10) تعددت اقوال الائمة فى ترتيب السور هل هي توقيفية ام اجتهادية وكل فريق له وجهة نظره مؤيدة بالبراهين

(11) عدم جمع القرءان على عهد الرسول فى مصحف واحد يقول عنه الزركشي فى البرهان 262/1 « وانما لم يكتب فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يفضي الى تغييره فى كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته الى ان كمل نزول القرءان بموته صلى الله عليه وسلم » .

(12) حاول بعض المستشرقين ترتيب القرءان الكريم ترتيبا ءاخر يختلف عن جوهر الطريقة الاسلامية ومنهم وليم موير William Mwir وويل Weil ورودويل Rodwell وغيرهم ، غير ان محاولاتهم باءت بالفشل .

(13) انظر مباحث فى علوم القرءان ص 80 للصبحي الصالح .

ليس، وليت، ولات [1]

للأستاذ محمد بن تاويت

وهذا موضوع يختلف عن سابقه ، حيث أن ذلك، كان المقصود منه الناحية العلمية ، واصلاح الوضع فيه بينما هذا ، الهدف منه الناحية الوصفية الصرف . وبذلك فاننا فى هذا الاخير نريد أن ننظر فى هذه الالفاظ نظرة فقهية بحتة، فليس بحثنا فيه مما يغير خط سيرها ، ولكنه بحث الدارس الجيولوجي فى طبقاتـه والاثري في عادياته . . .

هذه ملحوظة لا بد منها ، وهناك ملحوظة أخرى وهي ان القارىء لا بد أن يكون واسع الافق فى نظره ، فسيح الصدر فى تقبله ، والا فانه سيضيق ذرعا ولا يستطيع لما يتلقاه هضما ، فليس مثل هذا البحث مما تكفي فيه النظرة العابرة. وان صاحبه كان فيهولا يزال بمثابة من يتطلب حلقة مفقودة فى عالم النشوء والارتقاء (كمايقال). وكذا اللغة ما هي الا كائن حي يجري عليه ما يجري على غيره من الكائنات الحيـة . ولامر مـا احاطوا النطق بالانسان، وجعلوه جزءا منه لا يتجزأ فالمناطقة الاقدمون لم يريدوا فى (فصلهم) المنطقي الا المنطق باللسان لا التفكير (2) ، ومهما قيل فالصلة بين النطق والتفكير جد وثيقة . والمهم ألا تتسلـط علينا الشجاعة فى الرد أو القبول لان الشجاعة محمودة الا فى العلم فما اقبحها ، ان لم نمهد لها ؟؟

ولنتصل بالموضوع فنجد **ليـس** : من اخوات كان ـ كما هو المعروف فى النحو ـ ولكن وجود هذا الفعل فى العربية غريب جـدا : غريـب فى صيغتـه ، وغريب فى زمنه ، وغريب فى مادته . ولقد تنبه القدماء الى صيغته فقالوا : ان أصله ليس بكسر الياء ولكن الياء سكنت استثقالا ، كما سكنت كيف ، وخولف بها قواعد التصريف لانها خالفت تصريف الافعال . . .

---

1) نشرت جزءا من هذا البحث فى مجلتي « الرسالة » 24 مارس و « الثقافة » 25 مارس بالقاهرة سنة 1947 .

2) لعلهم اخذوا ذلك من كلمة : (Logos) اليونانية التي تطلق ويراد بها الكلمة كما يراد بها العقـل ، انظر « الرسالة العذراء » و « سر الفصاحة » و « نقد النثر » ولعل كلمة « لغة » معربة عن Logos لاننا لا نجدها مستعملة فى الجاهلية واول الاسلام ، بل نجد بدلها « اللسان » أو « الحرف » ، كما فى الحديث أنزل القرءان على سبعة أحرف ، ولا علاقة لكلمة اللغة باللغو ، وان حاول ذلك علمـاء اللغـة والاشتقاق فيما بعد ، وعلى راسهم ابن جني ، فى كتابه « الخصائص » .

واما زمنه فقالوا انه استعمل بلفظ الماضي للحال (وهذا غريب سنعلم وجهه)

واما مادته فلم يعرفوا عنها شيئا ، او عرفوا عنها كل شيء ، فقد المعوا الى ان اصله مكون من « لا » و « أيس » ، طرحت الهمزة والصقت اللام بالياء . ودللوا على ذلك بقول العرب ائتني من حيث أيس وليس ، وجئني به من حيث أيس وليس ، اي من حيث هوو « لا هو » ، او معناه « لا وجد » او « أيس » اي موجود ولا موجود (3) ، وهي ملاحظة لها خطرها ، هذا ما قاله في «ليس» وهو منتهى ما يمكن ان يقوله الناظر الفاحص في لغة بمفردها . اما نحن فنريد ان نوسع افق هذه النظرة ونشرئب الى آفاق اخرى علها تطلعنا على اسرار الحقيقة في هذه المعضلة ...

عندما يقارن الانسان بين اللغات قديمها وحديثها فانه يخرج من هذه المقارنة بان « ليس » ما هي الا رابطة تدل على كون مطلق منفي فهي مكونة — كما قال الاقدمون — من « لا » و « أيس » . فلا هذه معروفة وهي هنا نافية للجنس ، اما «أيس» فهي رابطة تدل على كون مطلق كما أشار اليه الاقدمون أيضا ...

يعضد هذا — كما قلت — مقارنة بين اللغات خصوصا القديمة منها ، ففي العبرية (يش) والعربية تنطق السين شينا كما هو معروف حتى الان) . وفي الفارسية (أست) ، وفي اللاتينية est وفي السريانية (ايت) . وهكذا في اللغات التي تفرعت من اللاتينية او لها علاقة بها ، ففي الفرنسية est وفي الاسبانية esta وفي الالمانية ist وفي الانجليزية is

اما مايختص بليس من الازمنة فهو بالضبط ما تدل عليه المادة في اللغات المذكورة اعني ما قال الاقدمون وهو (الحال) ، بالرغم من ان الصيغة للماضي كما قيل هذه المادة اختصت في اغلب اللغات بشخص معين عند الربط ، اما في اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة الاسبانية فلا تختص بشخص دون آخر . في العربية والاسبانية الامر واضح ، وفي الفارسية هكذا : استم ، استى ، است ، استيم ، استيد ، استند . ولكن في الافرنسية والالمانية والانجليزية فليس لها هذا التصرف المطلق فهي قد اختصت باشخاص دون غيرهم واعتيض عنها في هذا بروابط من افعال اخرى نرجو أن نوفق في دراستها (4) .

اذن فقد كانت في العربية رابطة للزمن الحالي ولكنها اندثرت ولم ماثلة الا في النفي ...

وهنا يسأل : لم اندثرت في الايجاب وبقيت ماثلة في النفي ؟

والجواب على هذا السؤال في منتهى البساطة ، فان اللغة العربية لغة تخاطب ، ولم تدون الا حديثا وحديثا جدا ، دونت حينما كانت في مرحلة متأخرة من نموها واستكمالها . وكانت هذه الرابطة قد استغنى عنها موجبة في التخاطب لانها ليست فيه بذات أهمية ولكنها لها أهمية عظيمة في النفي ، لهذا لم يستغن عنها: وهذا بالضبط ما يحصل الآن عندما تخاطب بعض متكلمي هذه اللغات التي ما زالت محتفظة بروابطها ، فانك اذا ما حادثك غير المثقف منهم بالخصوص فانه يستغني عنها في الايجاب ولا يستغني عنها في النفي ، ذلك لان الجملة في ايجابها قوية . اما في نفيها فانها تكون ضعيفة ولهذا فاننا نجد بعض اللغات تضطر في تقويتها الى افعال مساعدة للافعال الرئيسية ...

هذا ما يتصل بليس ، اما :

لات :

فهي مركبة من « لا » العربية و « ايت » السريانية ، تؤدي بالضبط ما تؤديه ليس ، وقد لمح النحويون فيها هذا ، فجعلوها من المشبهات بليس ، الا انها ليس لها من الحرية ما لليس في تصرفها ، مع جميع أسمائها ، او فواعلها ، على قول من جعل خبرها حالا ، كابن جني في الخصائص والكوفيين بل ان عمل لات قاصر على الحين ونحوه ، كما قال ابن مالك ، فلها في العمل شرطان ، كون معموليها اسمي زمان ، وان احدهما محذوف ، نحو ولات حين مناص ، بالنصب والرفع في الحين ، وقد سمع عملها في غير أسماء الزمان ، كقوله :

لهفي عليك للهفة من خائف
يبغي جوارك حين لات مجير

وقد اختلف النحاة في أصلها ، كما اختلفوا في ليس ، فهل هي فعل ماض ، كلمة واحدة ، أم ان

---

3) انظر المعاجم العربية الكبرى ، كما وردت العبارة في بعض كتب الادب ، كالبيان والتبيين ، حينما يتعرض لاستعمال المناطق ، وكالعقد الفريد ، وهو ياتي بالامثال ، فيجعل هذه من أمثال العامة .

4) وهذه الرابطة نفسها موجودة في السنسكريتية واليونانية كما نص على ذلك علماء اللغات .

اصلها ليس بكسر الياء ، فقلبت الياء ألفا وأبدلت السين تاء ، أو أنها مؤلفة من لا وتاء التأنيث ، كما في ثمت ، وهذا اجتهاد منهم . ويقول الاخفش : انهم شبهوها بليس واضمروا فيها اسم الفاعل (يقصد « كائن » أو « مستقر » مرفوعا على انه اسمها) لان الاضمار كما قال سيبويه لا يتحمله الا الافعال ...

ولم يلاحظ فيها ما لوحظ في ليس من انها خالفت تصرف الافعال .

وأما ليت فالمعروف فيها انها حرف تمن وبعض العرب يجريها مجرى الافعال، وهي كليس غريبة في بابها الا أنها تتصل بلات وهي صيغة واضحة في الافعال، الذي تخرج به من هذا ان هناك صلة قرابة بين ليس وليت ولات ، الصلة بين ليس ولات ادركها النحويون سواء في الاشتقاق أو في العمل ، ولكن الصلة بين ليت ولات هي التي ما زالت في طي الغموض والذي نرجحه ان ليت ما هي الا لا النافية للجنس زائدة عليها « ايت » السريانية السابقة :

فعل بهما ما فعل بلا ايس فكانت تدل على كون مطلق ثم صارت تدل على التمني في اللغة العربية ، وهنا سؤال وجيه : وهو كيف صارت ليت تدل على التمني بعد ان كانت رابطة منفية ؟

والجواب ان النحويين يعرفون ليت بقولهم حرف تمن يتعلق بالمستحيل غالبا او يقولون في تعريف التمني هو طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عسر ... اذن فالمتمني على كل حال مفقود والمتمني يائس لانه يطلب مستحيلا او ضعيف الامل لانه يطلب عسيرا .. واذا درسنا العقلية العربية الاولى المشهورة بالبت وعدم التشبث بالواهي من الآمال – لان حياة الصحراء لم تكن تسمح لهم بذلك – فلا نستغرب ان يستعمل العربي اولا هذه الرابطة التي كانت تدل على كون مطلق منفي مكان التمني ، خصوصا اذا كان قد استعمل هذه الرابطة في مرحلة مبكرة من حياته العقلية ، لان التمني بمعناه الدقيق لا يدرك الا في مرحلة متاخرة من نمو الفكر الانساني فبالاحرى ان يعبر عنه – في هذه المرحلة – تعبيرا دقيقا كما لا يخفى ، وعلى هذا فالعربي كان يستعمل اولا هذه الرابطة التي كانت تدل على كون مطلق منفي وربما كان طلبه بها المستحيل او العسير طلبا ضمنيا ، ادرك من قرائن الاحوال في التخاطب ، ولكنه اخيرا صار صريحا لكثرة الاستعمال في باب التمني ...

ولا نسأل لم اختصت هذه الرابطة بالتمني دون غيرها ، فهذا شأن لا طاقة به ولا لغيرنا به طاقة . وكل ما يمكن ان يقال : انهم استعملوها لكونهم ربما لاحظوا فيها رقة تناسب التمني ، كما نجد ذلك في بعض اللغات ، أو لان الصيغة اختصت بالتمني عفوا – كما يبدو لنا – وهذا ليس بغريب على من يمارس دراسة اللغات ويقارن فيما بينها ، فالفارسية والتركية مثلا كلتاهما استعارت من العربية الفاظا البستها حلة غير التي كانت تتحلى بها في العربية : وكذلك يقال في كثير من المعربات التي دخلت اللغة العربية من لغات مختلفة، فانها قد اتخذت دلالات خاصة بها ، في الغالب ما تكون لها علاقة بالدلالات الاولى . ومن هذه « ايت » السريانية ، وهكذا غير هذه اللغات ، وهذه الاسبانية استعملت (Ojala) للتمني وقد تحولت عن معناها الاصلي العربي « ان شاء الله » الى معناها الراهن .

ولو أن العلاقة واضحة بين كليهما . ولاتصال التمني بالنفي اتصالا وثيقا نجد أن الفرس – لاختلاف ما بينهم وبين العرب في العقلية ونظام الحياة بحكم البيئة الطبيعية – يستعملون عندما يجيبون كلمة خير في مطلق الاجابة بالنفي لانهم – وهم الذين لهم من بين الافعال صيغة خاصة يسمونها « التمنائي » – ارادوا بذلك اول ما ارادوا انه سيكون خير فيما بعد ، اما الان فلما يحدث ما تسأل عنه . وبعضهم يرى أن كلمة خير فارسية الاصل ، ولكن نرجح انها عربية الاصل والمداول ، فكان هذا المدلول ملحوظا عندهم اولا كما يحصل الان ، حينما يتلطف المجيب ينفي المرغوب فيه . ولكن فيما بعد ، صار هؤلاء الفرس يستعملون كلمة « خير » في مطلق الاجابة بالنفي – كما سبق – حتى لو كان المسؤول عنه غير مرغوب فيه ، ومما يستأنس فيه في كون « ليت » أصلها ما قلنا ، اننا نجدهم حينما يتكلمون على اتصال « ما » بالحروف النواسخ وابطالها لعمل تلك الحروف – حيث انها تدخل حتى على الافعال – يستثنون من ذلك « ليت » ، فان « ما » الداخلة عليها لا تجعلها تدخل على الافعال ، بل يظل اختصاصها بالاسماء ، كما كانت من ذي قبل، كما أن « ما » هذه ، تكون داخلة عليها ، ولا تبطل عملها في المبتدأ التي هي مختصة به اختصاص « ليس » تماما . وان كانت ليس تمكنت

أو كادت من الفعلية ، حتى سمع عندهم استعمالهـــا تامة ، في نحو قول الشاعر :

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهـــم
أن ليس وصل اذا انحلت عرى الذنب

وقول النابغة :

اذا ذهب العتاب فليـــس حـــب
ويبقى الحب ما ذهب العتاب (5)

والمهم ان التمني والنفي شديدا الاتصال وثيقا القرابة ، والعربي استعمل في تمنيه هذه الرابطة حيث لم تكن لديه كلمة يتمنى بها لان حياته الاولى في الصحراء القاسية لم تكن فيها فسحة لهذا التمني . فبالاحـرى ان تكون لصاحبها قدرة على التعبير عنه تعبيرا واضحا.

تطوان : محمد بن تاويت

5 - واستعمال هذه الرابطة فعلا تاما تجده حتى في اللاتينية ، نحو قولها : Densest أي الله موجود كائـــن .



من أعلام الأدب

الوأواء الدمشقي

للأستاذ أحمد الجندي

اسم غريب لشاعر عجيب ، رزق من سليقة الشاعر ما يجعل شعره قريبا من القلب مانوسا لدى القارىء ، ولعل من اقوى الدلائل على صدق طبعه ، وشاعريته القطرية انه كان عاملا ينادي على البطيخ فى طدار البطيخ فى دمشق ، ولكنه كان يجد فى نفسه ميلا للنغم الشعري ، وكان يحس اعجابا بالابيات الشعرية الجميلة الموفقة ، وشعر الى جانب هذا ، ان لديه قريحة وزانة ، وان نفسه تطاوعه على قول الشعر فأخذ يجرب سليقته حتى اسلست وراح يحاول القريض حتى لان عصيه وانقاد اليه اللفظ فأخذ ينظم القصائد حتى عرف بشعره ، ونسي الناس انه كان مناديا على البطيخ فقيرا ، وحفظ التاريخ للشاعر ديوانا فيه الكثير من الشعر والشعور ، ولعل اصدق ما قيل فيه هو قول الامام الثعالبي صاحب اليتيمة « وما زال يشعر حتى جاد شعره ، وسار كلامه ، ووقع فيه ما يروق ويشوق ويفوق حتى يعلو العيوق » ومع ان عبارة الثعالبي « مصابة » بالسجع المتكلف ، فان ذلك لا يقلل من قيمة رأيه فى الشاعر ، وهو يدل على كل حال على ان الوأواء قد اصبح شاعرا مرموقا بعد ان جرب نظم الشعر فنجح وتفوق فيه على الكثيرين من اقرانه .

ولد الوأواء : واسمه الصحيح : محمد بن احمد الغساني الدمشقي ، عام 995 للميلاد و 285 للهجرة على وجه التقريب ، وكلمة « الغساني » تدل دلالة مؤكدة على ان الرجل عربي صميم ، وقد اعتاد القدماء على الاشارة الى أصل الرجال من الادباء وغيرهم الكثرة ما التبست أصول هؤلاء فلم يعرف العربي فيهم من ينتسب الى امة غير العرب فارسية كانت أو تركية او ديلمية ، ،او تركمانية .. الخ .

وشاعرنا دمشقي ايضا كما يدل على ذلك اسمه المفصل ، وقد اكد المؤرخون ذلك فلم يتركوا مجالا للشك فى مسقط رأسه ، واعني بهذا انه سوري لحما ودما .

اما تسميته بالوأواء فلم يجد المؤرخون سببها ولا منشأها ، بل قالوا : انه سمي بالوأواء لمناداته على الفواكه ، وعندي ان المناداة لا تعني الوأواء ، بل لا بد من وجود شيء من التلعثم عند صاحبنا اثناء مناداته حتى الصقت به هذه الصفة الصوتية وهي مشتقة من وأواة الثعلب .

والشيء الثابت لدينا ايضا ان الرجل لم يكن يجد من وقته متسعا للقراءة والحفظ لانه عامل يعمل ليكسب عيشه فلا يستطيع التفرغ للمطالعة الا فى اوقات فراغه وهذه الاوقات عنده لا بد ان يملأها بالطعام او النوم لتعبه اثناء النهار ، ومن هنا قد يبدو الاستغراب فى كيفية توصل هذا العامل الفقير الى احراز الثقافة الشعرية حتى توصل الى نظم الشعر والتفوق فيه على اقرانه ، الا ان ذلك يدل على قريحة وقادة ، وفطرة مرهفة ، وحس رقيق .

وقد ساعد الشاعر على النجاح فى صناعة الشعر التشجيع الذي لقيه من جهتين ، أولاهما وجود ممدوحه الاول الشريف العقيقي الذي حباه بخيره

واغدق عليه نعمه ، وكان العقيقي هذا شخصا بارزا في حياة الواواء لعلمه وكرمه ، ونسبه العلوي الشريف ، فقد عطف على الشاعر في مطلع حياته وشجعه وكان المنطلق لمعرفة الناس به واشتهاره ، ويكفي ان تدرك من عظم شخصية العقيقي انه كان صديقا لسيف الدولة الشخصية الكبرى التي عاش شاعرنا في ظلها فيما بعد وان العقيقي حين مات مشت البلد وراءه حتى الوالي التركي يكجور .

وثاني الجهتين اللتين اثرتا في شاعرية الشاعر وجود سيف الدولة ومجلسه الذي كان غاصا بالشخصيات الادبية التي حفظ التاريخ اسماءها كلها، من مثل المتنبي وابي فراس ، وكشاجم وابن نباتة والسلامي والسري الرفاء والنامي ، من الشعراء وغيرهم من العلماء والنحاة والفقهاء ، هذه البيئة هي التي خلقت الجو الادبي الذى استطاع الشاعر ان يجد فيه ضالته ، وان يجد مجال القول ذا سعة ، فكشفت عبقريته ، وتمت ملكته حتى عد بين البارزين في عصر سيف الدولة .

على ان الواواء قد لقي عنتا وظلما ووجد غبنا في هذا العصر الذي كثر شعراؤه وتعدد ادباؤه فقد كانت هناك عادة سيئة بين النساخ وهي عادة سرقة الشعر من واحد من الشعراء وعزوه الى شاعر آخر بقصد النكاية او المزاح او غير ذلك من الدوافع الغريبة التي اثرت في قيمة ما نسب الى هؤلاء الشعراء من شعر ، وجعل الدارس المنقب في هذه الايام يلقي من الحرج كثيرا في سبيل نشدان الحقيقة والعثور على الشعر الصحيح لكل شاعر . فلقد زيف السري الرفاء شعر كشاجم بأن الحق به من شعر الخالديين ما ليس منه ، كما عمل الخالديان ما عمله السري في الدواوين الاخرى، وهكذا حمل على الواواء ما ليس من شعره فنسب اليه بعض شعر غيره من مثل « ابي الفرج بن هندو » وكشاجم والصنوبري وابي فراس وابن المعتز ، وخاصة ما نسب اليه من شعر يزيد بن معاوية الخليفة الاموي الثاني ، ولكن شعر يزيد هذا مشكوك فيه كله وان الحكايات التي رويت عن حياته معرضة للارتياب لان يزيد شخصية شاذة في تاريخنا العربي ، لا بل هو شخصية اسطورية تحملت الكثير من القصص والروايات والاساطير .

ولا بد من التعرض في هذا البحث لقصيدة مشهورة نسبت الى يزيد ، ونسبت في آن واحد الى الواواء ، والغريب في هذا الامر ، انك تجد من ينسبها الى غير هذين ايضا ، حتى لقد جاء في مخطوطة ديوان الواواء المحفوظة في برلين ان هذه القطعة نسبت الى سبعين شاعرا فهي اشبه من هذه الناحية بالقصيدة الشهيرة .

صاح في العاشقين يا لكنانة
رشأ في الجفون منه كنانة

أو هي تشبه قصيدة اليتيمة التي مطلعها :

هل بالطلول لسائل رد
ام هل لها بتكلم عهد

ومن الغريب في هذه القصائد الثلاث أن يدعيها سبعون شاعرا، ولا ادري لم اختار مؤرخو الادب هذا الرقم « السبعين » بعينه .

على ان الدالية المعزوة للواواء ثم المنسوبة ليزيد قد شفعت بقصة تدل على استهتار هذا الخليفة المتهم عند الاكثرية الكاثرة من المسلمين والعرب لاقدامه على قتل الحسين بن علي سبط النبي (ص) فقد قيل ان يزيد أحب عمته فتغزل بها في هذه الابيات ، وشناعة التهمة وفظاعة القصة تدل بل تؤكد انها قصة مكذوبة وتهمة ملفقة ، ولا ندعي هذا التلفيق او الكذب دفاعا عن يزيد ، ولكنا ندافع عن الحقيقة التي ينبغي ان تستند الى شيء من المنطق التاريخي ، ذلك ان كل القصص التي سطرت حول شخصية يزيد كان يسعى مسطروها الى الاغراق في مخالفتها للعرف والعادة ليصوروا هذه الشخصية تصويرا يوحي بالاجرام والبعد عن سنن الدين والخلق العربي ، بما يتناسب من بعض النواحي مع فظاعة جرم هذا الخليفة الذي اقدم أو أوعز بقتل أنبل وأشرف شخص عند العرب والاسلام، واعني الحسين بن علي، ويبدو انه قد وجد من شك بنسبة هذه القصيدة والقصة ليزيد وأراد ان يصرف هذا الخبر الى شخصية أخرى ، فصرفه الى الواواء ثم انصرف الخبر بطبيعة الحال الى اشخاص آخرين بلغوا حد الكثرة .

بعد هذا يحق للقارىء ان يستمتع بهذه القصيدة الرائعة التي مطلعها :

نالت على يدها ما لم تنله يدي
نقشا على معلم أوهت به جلدي

كأنه طرق نمل في أناملها
او روضة رصعتها السحب بالبرد

أنسية لو بدت للشمس ما طلعت
من بعد رؤيتها يوما على احد

فالوصف رغم ما فيه من كلفة أملتها روح العصر، وصف موفق جميل، ثم يأتي البيت المشهور الذي عد من معجزات البلاغة والصناعة اللفظية في زمنه وهو:

وامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

وتختتم القصيدة بهذا البيت الذي ذهب مثلا، والذي يحفظه الكثيرون دون ان يعرفوا قائله وهو:

هم يحسدوني على موتي فوا آسفي
حتى على الموت لا اخلو من الحسد

ويلاحظ القارىء ان الالفاظ في هذه الابيات التي اخترتها من القصيدة الطويلة غير متماسكة وان الديباجة في هذا الشعر تحتاج الى بعض الصقل وشيء من التهذيب.

شاعرنا اذن، شاعر شعبي ان صحت هذه التسمية فهو عامل، تعلم على نفسه، فلم يحضر ندوات العلم ولم يتمكن من متابعة الدروس عند اساتذة مختصين، لذلك خرجت لغته مضطربة، والفاظه مهلهلة وصنعته ظاهرة متكلفة في الكثير من شعره، ثم اقرأ هذه الابيات في مديحه لسيف الدولة:

امغني الهوى غالتك ايدي النوائب
فأصبحت مغنى للصبا والجنائب

اذا ابصرتك العين جادت بمذهب
على مذهب في الخد بين المذاهب

اثاف كنقط الثاء في طرس دمنة
ونؤى كدور النون من خط كاتب

فهذه « المذاهب » الثلاثة في البيت الثاني غير مقبولة على الاذن، وهذا التشبيه بين الحجار الثلاثة يطبخ عليها وبين حرف الثاء، تشبيه ثقيل عامي جدا.

وهذا لا يمنع من ان يكون عند الوأواء شعر جيد، وذلك حين يخلص من طبيعة التكلف او من « مرض العصر » كما يجب ان يسمى، واقرأ هذين البيتين في وصف السكارى لترى متعة طيبة وشعرا جميلا:

تجافت عيون الشرب فيه عن الكرى
فمن بين نشوان وآخر ما انتشى

وقد شربوا حتى كان رؤوسهم
من السكر في اعناقها سنة الكرى

ذلك هو الواء واء، الشاعر السوري الدمشقي الذي عاش في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي وكان في شعره لونا من الوان الفن في ذلك العصر (1)

دمشق ـ احمد الجندي

---

(1) رجعنا في هذا البحث الى قاموس الاعلام للزركلي والى معجم المؤلفين لعمر كحالة، والى ديوان الشاعر من تحقيق الدكتور سامي الدهان.

نظرات في القيم

للأستاذ عبد العلي الوزاني

بدا ظهور القيم فى حياة الانسان النفسية ، منذ تشكل الاجتماع البشري القديم ، وخرج الانسان من حالة الفوضى والاضطراب ، الى حالة التماسك والاستقرار ، بعد اكتشاف وسائل تكوين الاسرة ، ونقل تجاوب الجيل السابق الى الجيل اللاحق ، متاثرا فى ذلك بشتى عوامل الفشل وعوامل النجاح التى تعرض لها فى هذه المرحلة من تاريخه . وقد كان الاستقرار ضروريا لظهور القيم ، لان هذه بطبيعتها مستقرة ثابتة ، متوقفة بذلك على انظمة اجتماعية ثابتة مستقرة ، تقوم عليها ، وتتخذ منها سبيلها الى البقاء . وهذا علة ما نراه من اهتزاز القيم السائدة ايام اشتداد الازمات، وتقلب الاحداث، واضطراب نظام الحياة ، من جراء ثورة تشب ، او فتنة تظهر، حتى اذا عاد الى الحياة هدوؤها النسبي، ونظامها المالوف ، عادت للقيم صفة الاستقرار مرة اخرى . ففي اثناء الحربين العالميتين وبعدهما ، أصاب قيم الانسان تبدل كبير ، ما زلنا نعيش ءاثاره الى اليوم ، وسوف تبقى هذه الآثار موجودة متطورة لتؤثر على الاجيال الآتية .

ظهور القيم اذن ارتبط فى تاريخ حياة الانسان بظهور الاعراف والتقاليد الاجتماعية ، للسبب المذكور ، ومن ثم كانت اجتماعية فى طبيعتها ، تتكون تحت تأثير الاوضاع والتقاليد الاجتماعية الثابتة ، وتتغير بتغيرها، وتتطور بتطورها، وتتشعب بتشعبها وتفاوتها صعدا وانحدارا ، بين طبقات المجتمع وفئاته المختلفة . كما انها ظاهرة نفسية ، تجسم عددا من المعاني الراسخة فى نفسية الفرد والجماعة، تحت تأثير شتى المؤثرات التى سأشرحها فى بعض فقرات هذا الحديث .

ولقد كان ظهور القيم فى حياة الانسان النفسية والاجتماعية مرتبطا بمرحلة هامة من تاريخه ، توصل خلالها الى العثور على سند معنوي قوي راسخ ، يكون أساس سلوكه وتصرفاته ، ويغنيه عن اعمال الفكر فى كثير مما يأتي وما يدع ، اذ أن القيم المهيمنة عليه ، اصبحت بالنسبة اليه طبيعة ثانية ، تلهمه وتوجهه ، وتجعله وفيا لها بكيفية غريزية ءالية . وبذلك صار الانسان يركن الى قواعد اخلاقية لا يحيد عنها ، فى الزواج ، والصداقة ، والحرب ، والسلم ، والتنقل ، وتربية الاولاد ، والحصول على الطعام ، وتبادل المصالح والمنافع، واقامة الافراح والمهرجانات، واكرام ارواح الموتى ، وتقييم الجرائم ، وما الى ذلك . وكلما تطاولت العهود عليها – اي تلك القيم – ازدادت رسوخا وتمكنا وتغلغلا فى النفوس والعقول، حتى ليصبح تغييرها من اشد الامور صعوبة ، وهذا سر ما يلاقيه المصلحون الاجتماعيون ، والانبياء المرسلون ، والثائرون السياسيون من مصاعب بالغة الخطورة ، عندما يتصدون لتلك القيم ، قصد اقتلاعها من نفوس الافراد والجماعات ، واحلال قيم اخرى محلها .

ورسوخ القيم بهذه الصورة ، له مضاره ، ومنافعه التى لا تخفى على الباحث . فمن منافعها كونها تساعد على وجود نوع من التماسك داخل الجماعة . بمعنى انها تقيم بينها قدرا مشتركا من المبادىء القارة ، ينشأ عنه حسن تفاهم ، وغير قليل من التجاوب ، ووجود (رأي عام) تصدر عنه احكام متفقة ان لم تكن واحدة ، امام الكثير من الاحداث والوقائع والقضايا . وقد يكون هذا الراي العام غير واعي ، ولا ارادي ، الا انه على كل حال ، يمثل اشتراك الجماعة كلها فى الايمان بعدد من القيم والمبادىء الخلقية . كما ان من منافعها كونها تضع الاساس الضروري الذى تقيم عليه الجماعة حضارتها ، وتركز عليه صروحها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفنية والادبية ، وتهب الجماعة شخصيتها المستقلة بين المجتمعات البشرية، وتكون بمثابة معبر ممتد عبر العصور والاجيال ، بواسطته تتمكن كل جماعة من نقل تراثها من جيل الى جيل ، ومن عصر الى عصر . ومن تلك المنافع كون القيم السائدة تكون بمرور الزمن رصيدا ضخما ، تستمد منه الاجيال روح آدابها وفنونها ، الامر الذى تنشأ عنه روابط روحية تجعل الخلف يحافظ على وفائه للسلف .

ومن مضارها كونها تحول احيانا بين الجماعة وبين التطور ، اذ تمنعها من الاستجابة لدعوات التجديد ، وتحملها على التمسك بالقديم ، مهما كان فيه من المساويء والنقائص ، وتعمي وتصم عن التنبه اليها ، وبذلك لا تساعد على النقد الذاتي الهادف . هذا علاوة على كونها كثيرا ما تضغط على شخصيات الافراد ومواهبهم ، وتجنح الى صياغتهم على نمط واحد ، وهذا من شأنه ان يؤدي الى كبت العبقريات الفردية ، واقبار المواهب الخاصة ، وجعل الفرد دائما خاضعا للجماعة ، حتى اذا خالفها حورب وسقطت منزلته ، واعتبر عاقا لقومه ، خائنا لهم . ويحدث هذا غالبا اذا كانت الجماعة بعيدة عن سعة الافق ، غير ذات حظ وافر من الثقافة ، ضعيفة فى وعيها الاجتماعي والسياسي ، او كانت المبادىء والقيم التى تتمسك بها جامدة بطبيعتها ، غير قابلة للتطور .

والقيم على ما فيها من مضار الى جانب منافعها ، ضرورية لكل جماعة ، بحيث لا يعقل ان توجد جماعة بدون قيم، لانها اساس التراكم الحضاري الذى تحققه فى كثير من نواحي حياتها ، وأساس علاقة كل فرد فيها بالدولة الحاكمة ، وعمدة نسيجها الاجتماعي نفسه ، والذى يشمل الاسرة والحقل والسوق والمصنع ، والازياء والمآكل والمواسم وغيرها من نواحي حياة الجماعة ، ولا تكاد توجد قيمة من القيم تخلو من وجوه الضرر ووجوه النفع معا . وانما القيم فى اغلبها تنطوي على الناحيتين معا . خذ لذلك مثلا هذه القيمة الانسانية : النجدة التى تبذل للمظلوم. فهي ذات نفع ، لكونها تثبت فضيلة العدل ، وتهزم رذيلة الظلم ، ولكنها فى نفس الوقت تجلب لمن يبذلها كثيرا من المتاعب ، وقد تكلفه غوالي التضحيات .

هذا وتتأثر القيم فى نشأتها بعوامل كثيرة ، وهي عامل الدين ، وعامل التراث ، وعامل الاقتصاد ، وعامل البيئة الطبيعية ، وعامل العصر ، وعامل السياسة كلها تتضافر على تكوين القيم وصياغتها وفرضها على جماعة من الناس حقبا طويلة من التاريخ .

فالدين هو اكبر عامل فى تكوين القيم ، ذلك ان المعتقد الديني اثر فى حياة الانسانية منذ فجر تاريخها ، ووضع لها قواعد وقوانين تتقيد بها فى جميع مجالات الحياة ، ورافقها فى مختلف مراحل تطورها ، ولم تستطع الاستغناء عنه حتى فى أيامنا هذه التى انتشرت فيها الافكار الملحدة المعادية للدين واذا قلت ان الدين اثر فى حياة الانسانية فى فجر تاريخها ، فانا هنا اطلق كلمة (الدين) لاريد بها جميع المعتقدات الدينية التى ءامنت بها البشرية عبر تاريخها ، وبقطع النظر عن ارتباطها بالالوهية او عدمه . لقد وجد الانسان فى الدين ملاذه عند الشدائد ، وملجاه الروحي عندما يتعرض لغضب الطبيعة من حوله ، وسنده الذى يشد ازره ، ويقوي عزمه ، ويهبه السلام والطمانينة ، فتشبث به ، وركن اليه ، وجعله الحكم الاول فى شؤونه كبيرها وصغيرها ، ومن ثم كان للدين سلطان على انظمة حياته ، ومناحي سلوكه ، كان دولة قبل وجود الدولة ، وشريعة قبل وضع القانون ، نظم العلاقة بين الزوج وزوجته ، والاب وولده ، والاخ واخيه ، والجيل الحاضر بالجيل السابق ، والفقراء بذوي الغناء واليسار ، والقوي بالضعيف ، والحاكم بالمحكوم ، وترك ءاثاره القوية المفعول على الفنون البدائية ، والعلوم الفطرية ، وعلى الحركات التاريخية ، وكان علة حروب شنت ، وثورات قامت ، وبلدان فتحت ، ودول حطمت ، ولا توجد ناحية فى حياة الانسان ، لم تتأثر بالعامل

الديني ، لانه هو الصائغ الاول للقيم العاملة في حياة الناس .

ويأتي بعد العامل الديني ، العامل الاقتصادي ، ذلك ان نوع النشاط الاقتصادي الذى تزاوله الجماعة للحصول على لقمة العيش ، له دخل كبير فى تكوين عدد من القيم التى تومن بها ، فجماعة تعيش على الصيد ، واخرى على الفلاحة ، وثالثة على التجارة، ورابعة على الصناعة ، وخامسة على السلب والنهب والمغامرات . وقيم كل واحدة منها تختلف عن قيم الاخريات ، تبعا للنشاط الاقتصادي الذى تزاوله . فنلاحظ ــ مثلا ــ ان المغامرين المعتمدين على السلب والنهب ، تشيع فيهم قيم مثل هذه : الغاية تبرر الوسيلة ، الايمان بمبدأ القوة وحدها ، تفضيل العاجل على الآجل ، عدم التقيد باي خلق انساني او دين ، على حين ان المعتمدين على حياة الفلاحة تشيع فيهم قيم اخرى مثل : احترام من هو اكبر سنا ، الخضوع المطلق للمشيئة الالهية ، التعلق الشديد بالارض ، الدفاع عن الاسرة والعشيرة حتى الموت ، تقديس ما تنتجه الارض من أزكى الثمرات واكبرها نفعا ، شيوع الروح الجماعية نظرا لاعتماد الفلاحة على التعاون .

وعامل البيئة الطبيعية هو الآخر ، ذو اثر فعال فى تكوين القيم ، فسكان الصحراء لهم قيم تختلف عن كل قيم سكان الجبال ، عن قيم سكان المناطق الساحلية ، كل من هذه القيم تختلف عن الاخرى فى أشياء، وتلتقي معها فى أشياء. وما قلناه عن هذه العوامل نقوله عن عامل العصر . فلكل عصر قيمه السائدة ، حسب ما فيه من اوضاع حضارية ، مادية ومعنوية ، فعصر تسوده القيم الدينية ، وءاخر تسوده القيم الفلسفية ، وثالث تسوده القيم العلمية ، ورابع تسوده القيم الادبية والفنية ، وخامس تسوده القيم المادية ، مع وجود قدر من التداخل بين مختلف هذه القيم . واذا كنا قد قلنا ان لكل عصر قيمه السائدة فيه، فلا يعني ذلك ان القيم الاخرى لاتعرف سبيلها الى هذا العصر ، اذ العبرة هاهنا بالقيم الغالبة على غيرها ، لما تهيأ لها من اسباب البروز والتمكن والظهور. والا فان القيم كلها تتجاوز ، ويحتك بعضها ببعض فى كل عصر . فعصور الايمان لا تخلو من القيم الملحدة ، وعصور المادة لا تخلو من القيم الروحية ، وعصور التقدم العلمي، لا تخلو من القيم الادبية والفنية وباقي القيم الاخرى .

اما التراث المنقول عبر الاجيال والعصور ، فلا شك انه يحمل فى طياته تجارب كل جيل ، والمباديء والمعتقدات والعادات التى استولت على تفكيره ، وهذه تنطوي على مجموعة من القيم القوية المفعول فى نفوس وعقول اولئك الذين يقع اليهم التراث ، فيتأثرون به ، ويصدرون عنه فى كثير من قيمهم ومثلهم العليا فى الحياة .

وهناك عدد من المراحل تسلكها القيم ، قبل تبلورها فى شكلها النهائي وقالبها الثابت ، وهي على ذلك ظاهرة معقدة اشد التعقيد ، يتكون نسيجها النفسي والاجتماعي من خيوط بالغة الدقة، شديدة الغموض ، فكيف تنشأ قيمة من القيم ؟ انها دون شك ، كانت فى اول امرها تجربة بسيطة من تجارب الحياة ، او حلما بسيطا من الاحلام ، ولكنها مع مرور الزمن ، واختلاف احداث الحياة عليها تحولت الى قيمة، وذلك بوجود الظروف المواتية التى تساعد على اعطاء التجربة او الحلم صفة القداسة ، وتجعل لها اصولا ثابتة فى نفسية الفرد والجماعة . خذ لذلك مثلا هذه القيمة وهي الصدق . انها كانت فى اول امرها تجربة من بين العديد من تجارب الحياة ، اذ جرب الناس الاضرار الناتجة عن الاقوال التى يرسلها بعض الناس ، يريدون بها الخداع والتضليل ، فسموها كذبا ، حيث برهنت الاحداث والوقائع على ضررها البالغ ، الامر الذى نقلها فى نفوس الناس الى مرتبة المسلمات مع ما يصحبها من ضرر بالغ، بينما لمسوا ما فى مطابقة اقوال اخرى للواقع من منفعة وحفاظ على العرف السائد ، فسموها صدقا ، واصبح ذلك عندهم من المسلمات ايضا . ثم ان مرور الزمن ، وتجدد ضرر الاولى ومنفعة الثانية ، على توالي العصور والاجيال والاحداث ، زادها رسوخا واهلية للبقاء ــ اي قيمة الصدق ــ على الصفة التى استقرت عليها ، ومن ثم صارت امرا محتوما مقبولا بالبداهة بمفهومه الذى اكتسبه عبر العصور ، وجاء خلاصة تجارب الانسانية فى ازمنة وامكنة مختلفة . وبناء على هذا فالقيم فى عمقها البعيد ، ليست الا تلك المعاني الانسانية التى وقف الانسان عندها ، ليتخذها محور اهتماماته وتطلعاته وشرائعه وقوانينه وحضاراته ، اذ رأى فيها لباب ما انتهى اليه الجهد البشري ، وخلاصة ما تمخضت عنه نفوس الناس من معاني خالدة صالحة للبقاء .

والقيم في تكونها وتشكلها لدى الفرد تخضع لمؤثرات ارادية واخرى غير ارادية ، فالاولى يقصد بها مؤثرات التربية المدرسية والتوجيه الاسروي ، والقيادة الوطنية ، والسلطة الدينية . اما الثانية فيقصد بها التأثير الاجتماعي بما يحمله من تقاليد واعراف ثابتة ، اكسبها تقادم العهد صلاحية للبقاء . ومن ثم فالجماعة تحافظ عليها وتشغل بها افرادها بطريق غير مباشر ، كما يراد بها المناخ الثقافي العام ، الذي يعيش الافراد في ظلاله ، فيؤثر في تقييمهم للاشياء وحكمهم عليها ، ووضعها مواضعها من الحياة والمجتمع . على ان هناك القيم التي لا تخضع لسنة النشوء والارتقاء هذه التي اشرنا اليها ، وانما تكون من اول أمرها جاهزة متكاملة . تلك هي القيم الدينية التي جاء بها الانبياء والمرسلون، وتضمنتها الكتب السماوية . الا اننا يجب الا ننسى في هذا الصدد ، ان القيم الدينية جاءت مطابقة للفطرة البشرية ، وملبية لحاجياتها . فكل القيم العالية التي استطاعت البشرية الوصول اليها بعد تجارب طويلة جاءت الديانات السماوية لمناصرتها وتثبيتها واقامة سياج حولها من القداسة ، قصد حمايتها ، وذلك كالصدق والوفاء والمحبة والحرية والمساواة وما هو من هذا القبيل .

على ان القيم لا تبقى دائما على حالة واحدة ، ولا تلازم وضعا معينا على توالي الازمنة ، وتعدد الامكنة . وانما هي متطورة متبدلة بتبدل الاوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية. فما من اثر يحدث في حياة الناس العامة، الا كان له اثره البالغ على القيم التي يومن بها هؤلاء الناس . فمثلا عندما كان الانسان يعيش في حدود الوحدة الاجتماعية الاولى المبكرة في حياته وهي الاسرة ، كانت قيمه اسروية ، ترمي الى هدف المحافظة على نظام الاسرة، وصيانة اعرافها وتقاليدها. وبعد ما انتقل الانسان الى وحدة القبيلة ، اصبحت القيم الاسروية تعيش جنبا الى جنب ، مع القيم القبلية . ولما عرف الدولة المنظمة صارت قيمه مرتبطة بالنظام الجديد ، متمشية مع قوانينه ومبادئه التي يرتكز عليها ، بحيث صار الفرد لا يفكر في حدود الاسرة والقبيلة فحسب ، وانما صار يفكر في حدود الدولة ايضا . فهو عندما يضع مشروعا ، او يدعو الى فكرة ، لا بد ان يضع في اعتباره كونه ينتمي الى دولة لها قوانينها واعرافها ،أي أنه صار له وجدان سياسي ، يساير الوضع القانوني الذي يعيش في ظل حمايته . وبعد ان انتقل الانسان الى مرحلة الوحدات القومية المتمايزة ، كان قد عرف عددا من القيم القومية التي وجدت سبيلها الى نفوس الناس وعقولهم ، واصبحت عندهم عقيدة مسلمة ، ولما اعلن عن قيام القومية بصفة رسمية ، كان ميلادها ناشئا عن تلك القيم ، وباعثا عليها في وقت واحد . وهكذا نجد ان التطورات المختلفة التي تحدث في حياة الناس السياسية والاجتماعية وغيرها ، تؤثر على القيم ، وتمحو منها ما تمحو ، وتثبت منها ما تثبت. ولا يمكن للقيم ان تتبدل ، دون ان يقع اصطدام بين القيم القديمة ، والقيم الجديدة ، نظرا لكون اغلبية الناس تميل الى الاستقرار النفسي والاجتماعي ، وتتجنب القلق ، ونظرا لكون القيم القديمة اعطاها تطاول العهد صفة الاشياء المقدسة ، واحاطها بجو من الهيبة والوقار . ولذلك لا يكون من السهل استئصالها بالمرة ، بل ان اقتلاعها بصفة نهائية امر يكاد يكون مستحيلا ، فالقيم تحتك وتتداخل في جميع العصور ، كما اشرت الى ذلك منذ قليل .

وتطور الحياة الانسانية هو في الحقيقة تطور في القيم ، اذا نظرنا الى اصوله البعيدة ، فما من دولة تسقط ، الا ويسقط معها عدد من القيم ، وما من دولة تقوم ، الا وتقوم على أساس قيم جديدة يراد لها أن تسود . وما من حرب تشن ، الا كان من ورائها قيم تدفع اليها وتبررها وتعمل تحت شعارها . وما من سلام يعقد ، الا ويرمز الى قيم تكون لحمته وسداه . والفرق بين حضارة واخرى هو في أصله فرق بين قيمة واخرى . ولو كانت هناك قيمة واحدة او قيم واحدة في حضارة الانسان، لما كان هناك داعي الى تعدد الحضارات . بيد ان هناك نوعا من القيم الدائمة الخالدة ، التي لا ينالها قانون التغير ، بل هي تبقى على الرغم من تقلب الاحداث ، وان اختلفت المقاييس التي تستخدم كمعيار لها ، او اختلفت مفاهيمها الاجتماعية والفلسفية والادبية من عصر لآخر . وذلك كالصدق ، والوفاء ، ونصرة الحق ، والثبات على المبدأ فهذه كلها قيم راسخة على تطاول العهود ، وليست موقتة بزمن معين ، او محصورة في جيل من الاجيال او حضارة دون حضارة ، بينما توجد القيم التي تختفي لتحل محلها قيم اخرى جديدة ، مثل : عبادة الموتى ، وتقديس بعض الحيوانات ، وتشريف البقاء الديني ، والكف عن اكل لحوم الحيوان ، واعتبار الاصابة بالجنون دليلا على غضب الله بالنسبة

للشخص المصاب، وما الى ذلك . وبفضل تلك القيم الدائمة الخالدة ، كان التواصل بين الاجيال ، وبواسطتها تعاطفت الشعوب المتعاصرة ، واخذ بعضها بيد البعض الآخر ، وتلقى قضايا العدالة والحرية التأييد المعنوي والمادي من طرف الكثير من شعوب الارض .

وتختلف القيم في خصائصها وشياتها ، فمنها القيمة المؤقتة ، والقيمة الخالدة ، والقيمة الايجابية، والقيمة السلبية ، والقيمة البالغة اسمى مراتب السمو الانساني ، والقيمة التي لا تعدو المجال المحدود العادي . الا ان الصفة الجامعة لكل القيم الاخلاقية في حياة الانسان ونفسه ، هي الجمال . وقد كان ذلك الشخص الاول الذى اطلق عليها صفة الجمال مصيبا كل الاصابة ، واضعا اصبعه على ابرز ما فيها من سمات عامة مشتركة . ذلك ان الجمال كلمة تطلق ، ويراد بها كل معاني الحق والخير والمروءة والعدل والتضحية وغيرها مما يدخل في ضمنها ، الى جانب ما يرتبط به من صور محسوسة فى هذا العالم . وقد كانت جميلة لكونها تثير فى الانسان اسمى مشاعره ، وتستدعي اشرف منازعه ، وتسمو به الى أرقى مستوياته ، عندما يستشعر ما فيها من سمو فى الهدف ، ونبل فى الوسيلة . . وكانت جميلة لكونها مصدر الهام لرجال الادب والفن، يستمدون منها كثيرا من عناصر انتاجهم الفني ، ويستلهمونها معانيهم السامية ، ومثلهم العليا ، ويتخذون منها محاور لخلق الكثير من ابطالهم متى كانوا قصصيين وروائيين . هذا علاوة على كونها تجعل الحياة الانسانية ذات هدف نبيل ، تستحق ان تعاش من أجله .

أما الخصيصة الجمالية التى فى تلك القيم ، فهي كونها انتخابا طبيعيا لعدد من المعاني الكبيرة ، من بين ما لا يحصى من مفاهيم الحياة الانسانية ومدركاتها ، وانسجاما وتوافقا بين هذه المعاني المنتخبة ، وبين الغرض من وجود الانسان على هذه الارض ، وهو التعمير والانشاء ، وتحقيق الهدف الذى من اجله استخلف الله الانسان في الارض . وهي لا تعمر ولا يتحقق فيها هذا الهدف بالظلم والكذب والخيانة والشر والانانية المفرطة ، وانما باضداد هذه الصفات الذميمة الفاسدة ، كما انها — أي تلك القيم — وسط يقيم نوعا من التعادل بين عدد من النقائص والصفات المقابلة لها على الطرف الآخر . كالعدل الذى هو وسط بين الاستبداد والفوضى ، والتضحية التى هي وسط بين الاثرة والتهور الذى يصل الى حد الانتحار ، والصدق الذى هو وسط بين الكذب الصراح ، والقاء الكلام على عواهنه من غير ميزان ولا اعتدال . وهلم جرا . . ولو انك بحثت لوجدت هذه كلها صفات جمالية ، لا تتوفر لشيء مادي او معنوي الا كان جميلا ، على أي وجه من وجوه الجمال . ففيها الانتخاب ، والانسجام ، والتعادل . الجمال انتخاب ، لكونه يحتوي مجموعة من الخصائص والسمات التى لا يكثر شيوعها بين مواد هذا الكون ، والا لما كانت كافية لعد الشيء جميلا . وهو انسجام ، لانه لا تنافر بين العناصر التى يتكون منها ، ولولا ذلك لما ارتاحت اليه النفس ، ووجدت فيه انسها وراحتها . وهو تعادل ، لكونه يحقق الاعتدال الذى يحافظ للفضيلة والشية الجميلة على جوهرها النقي ، فلا يشوبها زيف او تطرف .

ولا يتبادرن الى الذهن ان صفة الجمال فى القيم تجعلها غير ذات ضرورة فى هذه الحياة ، بحجة أن المنفعة مطلب يتقدم على مطلب الجمال . فالجمال لا يقل ضرورة عن المنفعة ، والامر راجع اولا واخيرا الى طبائع النفوس واحوالها . فكم من انسان يضحي بالشيء النافع ، من أجل الشيء الجميل . والعكس صحيح ايضا . خذ لذلك مثلا الطالب الفقير ، حين يشتري ديوانا من الشعر ، والحال انه فى امس الحاجة الى الحذاء او المعطف او الطعام الجيد ، وقد يكون هذا الديوان ليس مفروضا عليه ضمن برنامج دراسته، وخذ ايضا مئات التحف النادرة التى يتبارى الكثيرون من الناس فى اقتنائها ، وقد يفضلونها على بعض لاشياء ذات المنفعة العملية المحققة . هذا علاوة على كون الاكثرية من الناس تفضل المنفعة الجميلة ، على المنفعة غير الجميلة طالما كانت المنفعة لا تقف من الجمال على طرفي نقيض . فهما قد يجتمعان فى الشيء الواحد ، اذ يكون نافعا جميلا فى وقت واحد . فهم فى الغالب يريدون المنزل الجميل، والسيارة الجميلة ، والزوجة الجميلة ، والفرش الجميل ، والمصباح الجميل ، وهكذا دواليك . وما ذلك الا لان نفس الانسان من طبائعها انها تشعر بحاجتها الشديدة الى المنفعة والجمال ، ولا يمكنها الاستغناء بأحدهما عن الآخر فى اغلب الاحوال .

وما قلناه بالنسبة للامور المادية ، يمكن قوله بالنسبة للامور المعنوية ، فالحق والصدق والحرية والعدالة ، كلها تجمع بين المنفعة والجمال لدى اكثرية

الناس . ومن الصعب ان يفصل المرء بين المنفعة والجمال في هذه القيم ، لانهما ملتحمان ، مندمج احدهما في الآخر كل الاندماج . فالحق نافع وجميل، والصدق نافع وجميل والحرية نافعة وجميلة، والعدالة نافعة وجميلة . والناس لا يتعشقون هذه القيم لانها نافعة فقط ، ولا لانها جميلة فقط ، وانما يتعشقونها لكونها نافعة وجميلة في ءان واحد .

والجمال في هذا الصدد نسبي ، والمنفعة نسبية ايضا ، فقد يكون الشيء جميلا في عصر ، رديئا في عصر ءاخر ، نافعا في جيل ، ولكنه غير ذي نفع في جيل ثاني . لان الامر راجع في أساسه الى الطابع الحضاري لكل عصر وكل جيل ، والذوق الشائع في مرحلة تاريخية معينة ، ومقاييس المنفعة المعمول بها لدى قوم معينين . فالبيت الطيني الذي يسكنه اغلبية اهالي البوادي العربية في الوقت الراهن ، يختلف في جماله ومنفعته عن بيوت سكان المدن ، الذين يحيون حياة لها حظها من التعقيد الحضاري ، تتنافى والبساطة التي يالفها سكان البادية . فذلك البيت البدوي يستجيب في جماله الخاص لذائقة جمالية تختلف نوعا ومستوى عن الذائقة المتحضرة التي يستجيب لها بيت المدينة . ويصدق هذا على جميع الاشياء التي يختلف الناس في الانتفاع بها والاستمتاع بما عسى ان يكون لها من جمال .

وقد عمات القيم الجميلة في نفس الانسان ، وتدخلت في صلته بالاشياء ، قبل ان يكتشفها في نفسه ومجتمعه ، ويضع لها اسماءها وعناوينها ويذهب يتعمق في مفاهيمها ومقاصدها ، الامر الذي يدل على انها حاجة اكيدة من حاجات النفس الانسانية في صلتها بالعالم الذي يكتنفها وبعد ان تمكن الانسان من وضع اسمائها واسماء شياتها والوانها ، استطاع ان يستولدها ويخصب مفاهيمها ، ويمهد لها في النفوس طريقا معبدا ، ويهيىء لها من الاجواء النفسية ما يسمح لها بان تتفرع الى عدة فروع واشكال . ذلك ان من خصائص اللغة ونعمها على الانسان انها تعطيه القدرة على استخراج شتى المعاني من مظاهر الاشياء والوانها وعناصرها المختلفة . خذ لذلك مثلا كلمة (حياة) فلولا اللغة لما كان في وسعنا ان نفهمها بهذا المعنى الواسع الشامل الذي تعنيه عندنا . فهي حياة الانسان ، وحياة النبات ، وحياة الحيوان ، وحياة الجماد ، حياة الفرد وحياة الجماعة ، حياة العقل وحياة القلب ، حياة المادة وحياة الروح ، حياة الزندقة وحياة الايمان ، وما شئت من هذه المعاني الخصبة التي تدل عليها هذه الكلمة الصغيرة في المبنى الكبيرة في المعنى ، هذا بالنسبة الى كلمة واحدة ، فكيف يكون الامر لو اننا وقفنا عند ءالاف الكلمات التي نستعملها اثناء الحديث ، ونقرأها في الصحف والمجلات والكتب ؟ وما كان لكلمة ان يكون لها هذا الثراء العريض في عقولنا ونفوسنا لولا اللغة الفنية الواسعة التي اعطت لكل حالة او جزئية لفظا يجعلها تتميز عن غيرها من الحالات والجزئيات .

وتلك القيم الجميلة هي التي توحي الينا بان نضع كثيرا من الاشياء في مواضعها التي تتفق ومواضعها من انفسنا ، بحسب القيم التي ترمز اليها عندنا . ومن ثم كانت هذه الاشياء عندنا لا تتفاضل باحجامها وأشكالها ومقدار ما تشغله من الفراغ ، بقدر ما تتفاضل من حيث القيم التي تتصل بها في نفوسنا ، الامر الذي تتحقق فيه ذاتية الانسان في صلته بالحياة والطبيعة فالعصفور يصغر الفيل حتى لا نجد وجها للمقارنة بينهما ، ولكنه قد يفضل الفيل عندنا متى كان يرمز الى قيمة جميلة نفتقدها في الفيل فلا نجدها . والزهرة لا تقارن بالدوحة العظيمة حجما وهيكلا ، ولكنها اذا ارتبطت عندنا بقيمة جميلة لا ترتبط بها الدوحة كانت أفضل منها .

وهذا له اثره الكبير في تفسير الانسان للظواهر التي تحيط به ، وفلسفتها واستخلاص مغازيها واسرارها ، كما أن له اثره على تحرر الانسان نسبيا من قيود المادة الثقيلة ، متى اوتي من خصب النفس وغناها الرائع ، ما يستطيع معه التفتح على جواهر الاشياء ، بحيث لا يتخذ مقاييسه التي يقيس بها الاشياء من ثقلها المادي ، وانما يستمدها من المعاني التي يضعها لها ، او وضعتها لها الاجيال ، فانطبعت نفسه بها ، وانفعل بها انفعالا قويا جعلها وكانها من تجاربه الخاصة .

وباسم القيم الجميلة استرخص ابطال ارواحهم فقدموها قربانا على معبد القيمة التي تعشقوها ، وكان ديدنهم في الحياة ان يسيروا وراءها ويجعلوها هدفهم السامي في هذه الحياة . وباسمها ترك موسرون اغنياء تقاليد طبقتهم العريقة، ليسيروا وراء نساء من الرعاع ، وباسمها هبت الشعوب لتطاول الجبابرة والطغاة ، متطلعة الى غد مشرق جميل ، تلوح تباشيره في الافق البعيد . ولكن باسمها ايضا ديست حقوق المستضعفين ، وانتهكت حرمات

الوادعين ، وتسلط الطغاة على رقاب الشعوب ، وذلك عندما تستغل الشعارات ، وتستخدم القيم في وقت الحاجة اليها قصد تحقيق مصلحة من المصالح . وقد دأب الناس خاصتهم وعامتهم على تغييرمدلولات الالفاظ ومسخها وتشويههاحسب مصالحهم التي يستخدمونها من اجلها . فتطلق عندهم كلمة حرية ويراد بها العبودية ، وكلمة سلام ويراد بها الابادة والتقتيل ، وكلمة عدل ، ويراد بها الظلم ، وكلمة مساواة، ويراد بها اعطاء بعض الناس امتيازات لا يتمتع بها أبناء مجتمعهم، وهكذا دواليك . مسخ وتشويه وتزوير . ويساعدهم على ذلك كون الاكثرية من البشر تجوز عليهم الحيل ، وينخدعون بظواهر الكلام عن بواطنه ، ويتأثرون بأساليب الدعاية التي تعتمد في عصرنا هذا على وسائل علمية ذات اثر فعال على الجماهير . وكم تعرف السياسة في وقتنا هذا وعرفت من قبل ، من مراوغات واساليب التضليل التي تنبهم معها حقائق الامور ، وتميع مدلولات الالفاظ ، حتى ليصبح احيانا من الصعب التفرقة بين ما هو حق ، وما هو باطل ، وذلك بالمهارة في استخدام القيم ، والذكاء في الجور على مدلولات الالفاظ المسخ والتشويه والتزييف .

وكم تحتاج الشعوب المظلومة من جهود وتضحيات ، من اجل اعطاء الالفاظ معناها الصحيح، وارجاع القيم الى مكانتها العالية ، وما كفاح الشعوب من اجل التحرر ، وانتفاضاتها من اجل الدفاع عن حق مسلوب ، الا محاولات في هذا السبيل . ذلك ان الطغاة والمستعمرين يعطون تصرفاتهم صفة المشروعية دائما ، فيسمون ظلمهم عدلا ، واستبدادهم ديمقراطية ، وتنكيلهم بالناس رحمة ، وكبرياءهم وغطرستهم تواضعا وقس على ذلك . وارجاع المدلول الصحيح لكل هذه الالفاظ ، عمل كبير ، يحتاج الى بذل الدم ، واسترخاص الحياة .

ولكن بالرغم من ذلك فان معاني القيم الصادقة الصحيحة باقية خالدة مهما نالها من مسخ وتشويه ، فهي اذا اختفت حينا ظهرت حينا آخر ، والمفكرون وقادة الرأي في كل امة كفيلون بتجليتها وتعميم الوعي بها بين الناس ، متى كانوا امناء على الرسالة المقدسة المنوطة بهم . وبفضل يقظة الشعوب وانتشار الثقافة فيها بكيفية مطردة ، امكن للناس اذا رجعوا الى انفسهم أن يفرقوا بين ما هو صحيح أصيل ، وما هو دخيل زائف ، في مدلولات الالفاظ ومعاني القيم .

هذه القيم الجميلة التي عاشت عليها الانسانية احقابا طويلة من تاريخها ترتفع اليوم صيحات ضدها، تدعو الى نبذها والكفر بها ، دون ان تحل محلها قيما جديدة صالحة للبقاء ، تضمن انسجام الفرد مع مجتمعه ، وانسجام حاضر الانسان مع ماضيه ومستقبله ، وانما احلت محلها او هي حاولت ، قيما زائفة تقوم على اساس اطلاق العنان لشتى انواع الشذوذ والانحراف التي يتصف بها الكثيرون من الافراد ، وتعرض تراث الانسان وحضارته المتوارثة الى اهتزاز عنيف ، قد ينسف جميع القيم التي تنطوي عليها ، وتشيع في انسان العصر روح التشاؤم والكفر بسائر انواع السند المعنوي ، التي تشد عضد الانسان عند الشدائد ، وتطلق العنان للغرائز والنزوات ، دون ما مراعاة لاعراف الجماعة ومقدساتها وقيمها ومثلها العليا . ولكن هل تستطيع القيم الهدامة ان تبقى ؟ انها تعيش الآن بالفعل ، وتسيطر على شباب العالم التواق الى التحرر من كل القيود ، الا انها سوف لا تستطيع الاستمرار ، ذلك ان الزمن كفيل بأن يشعر الناس بتفاهتها وعدم جدواها وبكونها لم تستطع ان تكفل للانسان تلك الراحة النفسية التي كانت تكفلها له قيمه العريقة ، وانما اغرقته في ظلمات من اليأس والحيرة ، وابتعدت به عن مقومات الحضارة الروحية العالية ، وأوشكت ان تحيله الى حيوان يعيش بالغرائز ولها ، قبل أن يعيش بأي شيء آخر . وهكذا كل موضة او بدعة جديدة في الفكر او الاجتماع أو غيرهما يكون لها بريق الجدة في اول الامر، ولكن مع مرور الزمن يتكشف ما فيها من زيف، فيهجرها الناس ليعودوا الى قواعدهم التي اثبتت تجارب السنين صلاحيتها ، والى ما يتفق والفطرة السليمة النقية .

والامر الذي لا شك فيه ، ان من اهم البواعث التي تدفع بالشباب الى التنكر للقيم ، اعتقادهم الخاطيء انه لا يمكن الجمع بين قيم الماضي، وبين الحياة العلمية الحقة . فالانسان المتشبع بالروح العلمية في نظرهم ، هو ذلك الذي تكون كل قيمه علمية خالصة لا اثر للدافع العاطفي فيها ، وعندهم أن القيم نوعان : قيم اخلاقية تقوم على اساس الوجدان والنفس ، وقيم علمية تقوم على اساس العقل والفكر ، ولا سبيل الى المزج بينهما بأية صورة من الصور ، وهذا خطأ كبير .

وان حياة الشعوب تشبه الى حد ما حياة الافراد . فالفرد قد تستبد به احيانا نزوة تجاوز الذات الجماعية ، والخروج عن الدائرة التى طالما عاش فيها ، ليتفتح وينطلق هنا وهناك ، ملتمسا تغيير المناخ ، والخروج من الحجرة المغلقة الى الهواء الطلق . وبذلك تصدر عنه تصرفات شاذة بالنسبة لمألوف حياته ، ولكنه لا يلبث ان يحن الى عشه الهادىء ، وحياته المألوفة ، بعد ان يكون قد اشبع شهوته الى الانطلاق والتحرر والزيغ عن الطريق الواضح المأمون . وكذلك الشعوب . انها تمر اليوم بهذه التجربة التى يمر بها الفرد أحيانا ، فهي الآن منطلقة تحطم القيود وتتنكر للقواعد، بيدانها عندماتشبع رغبتها ستعود حتما ، اما بدافع من خيبة الامل ، واما بدافع من الملل ، واما بدافع من البصر بالاخطار الكامنة فى الطريق الذى هي ماضية فيه . على ان هذه الشعوب اذا كان فيها اليوم شر كثير ، فان فيها خيرا كثيرا كذلك . وبقدر ما يوجد فيها دعاة التخريب وهدم المعتقدات والقيم الروحية الرفيعة ، يوجد رد فعل مضاد ، بفضل من فيها من دعاة هذه القيم والمعتقدات .

اما بعد ، فأود أن انتقل الآن الى الحديث عن صراع القيم . فألاحظ انه كما يتصارع الناس فى الحياة الاجتماعية ، ويتدافعون بالمناكب ، يزحم بعضهم بعضا من اجل التفوق والامتياز ، وتسلق سلم الحياة الطويل الى مدى غير محدود، وكما يخلف هذا الصراع بينهم عددا من الضحايا ، ويسفر عن غالب ومغلوب ، ومتخلف ومتقدم ، كذلك تتصارع القيم والمبادىء والمذاهب صراعها الابدي الشاق الطويل ، ليهزم بعضها بعضا ، فى دورات متلاحقة ، تستمر على مر السنين والاحقاب. والمنهزم منها قد ينبعث من جديد ، ليشق طريقه فى حلبة الصراع ، ذلك لان القيم والافكار والمذاهب لا تموت نهائيا ، بل هي اذا ماتت هنا قد تعيش هناك ، واذا اختفت فى عصر ، قد تظهر فى عصر ءاخر . والصراع المادي بين الناس ان هو فى الحقيقة الا صدى لذلك الصراع فى القيم واثر من آثاره، يصدر الناس عنه دون وعي غالبا ، مأخوذين بدوامة الحياة التى لا ترحم ، وقلما تمنحهم مهلة كافية للتأمل والتفكير ، فيما يصدر عنهم من تصرفات وشتى اساليب السلوك ، قصد ردها الى بواعثها الداخلية وعواملها الخارجية . وهذا الصراع فى القيم لا يهدأ ولا يتوقف على مر العصور والاجيال، الا انه يكون اكثر حدة فى بعض فترات التاريخ الحرجة .ولو قال احد بتوقف هذا الصراع احيانا، لكان قد قال ضمنيا بتوقف الصراع بين الحضارات والفلسفات والمذاهب الفكرية والاجتماعية والسياسية، وهو ما لا يتفق وحقائق الواقع . فحتى فى تلك العهود التى يتحصن فيها فكر الامة ضد عوامل البلبلة والاضطراب ، يوجد صراع بين القيم والافكار، الا انه فى هذه الحالة قد يعمل فى العقل الباطن ، ويتخلى عن الحدة التى يتصف بها فى عهود اخرى تتوفر فيها اسباب الاصطدام العنيف بين القيم والافكار والمذاهب الفكرية .

وهو صراع يرجع فى اسبابه الى عدة عوامل ، منها ذلك القدر من الاختلاف الطبيعي الذى يكون عادة بين الناس فى التفكير ووسائلهم فى تقييم الاشياء والاحداث ، تبعا لما تلقوه من ثقافة ، وما عرفوه من تربية . ومنها التعصب الفكري الذى يغلب على الناس ، عندما ينحازون لنظرية او عقيدة سياسية او اجتماعية أو اقتصادية ، بحيث يرون الحق كل الحق الى جانبهم ، ويعادون الطرف الآخر على طول الخط . ومنها تقابل الحضارات المادية والفكرية فى المجال الانساني العام ، مع ما يعنيه ذلك من تنوع الفلسفات والعقائد والقيم والنزعات ، وتغذيها بواسطة ثمرات العقل والروح بشتى الوسائل والطرق . ومنها كون الموروث الثقافي والروحي يعيش فى وجدان كل امة ، مهما كانت الاشواط التى قطعتها فى مجال الفكر والمادة ، الامر الذى يحدث نوعا من التصادم بين قيم الماضي وقيم الحاضر ، فى عقل الامة ونفسها . ومنها الانقلابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التى تقلب حياة الامة راسا على عقب ، وتعمل جاهدة من اجل التعفية على القيم القديمة ، لتضع موضعها قيما جديدة فى جميع مجالات الحياة ، فيقع الاصطدام بين القيم الموروثة التى تاخذ فى الاهتزاز ، والقيم الجديدة التى تحاول الاستقرار والثبات . ومنها غزو امة لامة اخرى ارقى منها او اقل حضارة ، فيسفر ذلك عن قيام صراع قيم الغالب مع قيم المغلوب . ومنها ذلك التفاوت الكبير الذى يكون فى المجتمعات المتخلفة بين الطبقة المثقفة الموجدة بين اضيق الحدود ، وبين جماهير الشعب التى ترسف فى قيود الامية، وتعيش على خرافات واوهام ، تستمد منها قيمها ومثلها العليا ، متشبثة بها لا تبغي بها بديلا . فهنا تصطدم قيم اولئك مع قيم هؤلاء ، بذلك القدر الذى يوجد بين ذهنيتين مختلفتين متناقضتين. ومنها تباين

الاوضاع الاقتصاديه داخل المجتمع الواحد ، او بين مجتمعات متعددة ، حيث ان الوضع الاقتصادي له دخل كبير في صياغة عدد من القيم المهيمنة على حياة الآحاد والجماعات .

وهذا الصراع يخضع لعدة مباديء واعتبارات منها :

1) ان صراع القيم لا يقع بمعزل عن مجالات الحياة المختلفة ، مادية كانت او معنوية ، اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية . فجميعها تكون قد بلغت مرحلة من التطور ، ادت الى عدة نتائج طبيعية بالنسبة لما سبقها من مقدمات ، ومنها هذه الظاهرة التى نصطلح على تسميتها بصراع القيم . اذ لا يمكن للقيم ان تتصارع ، الا اذا كان قد تقدم صراعها ما يمهد له ويجعل حدوثه امرا ضروريا ، من كل ما يؤثر فى حياة الامة ماديا ومعنويا .

2) ان صراع القيم امر يكاد يكون طبيعيا دائما ، لما سبق شرحه من ان الناس فى كل زمان ومكان مختلفون اشد الاختلاف فى انماط تفكيرهم وفي وجداناتهم ونزعاتهم ، فمنهم من تغلب عليه النزعة المادية ، ومن تغلب عليه النزعة الروحية ، من يأخذ بمبدا القوة والعنف ومنازلة الايام ومناهضة الناس ، ومن يومن بمبدا المسالمة وغض الطرف عن الهفوات ومقابلة الاساءة بالاحسان ، من يقبل على الحياة فى نهم الى ملذاتها ومفاتنها يعب منها عبا ويتهافت عليها تهافتا ، فلا يزيده العب والتهافت الا شدة نهم ، ومن يزور عنها ويرى فيها عبئا ثقيلا وهما مقيما مقعدا ، فهو يتبلغ منها بما يقيم الاود ويمسك الرمق ، متخففا من الاعباء المادية الجسيمة ، التي تنوء تحتها كواهل طلاب الدنيا وعشاقها الكثيرين . وقس على ذلك من شئت من نماذج البشر التى لا تقع تحت حصر . وقد قلت ان صراع القيم (يكاد) يكون امرا طبيعيا ، لان هناك الصراع المفتعل الذى تختلقه فئة ضالة خارجة على الجماعة ، لان لها مصالح تود تحقيقها عن طريق اعلان الحرب على القيم الجماعية الصالحة ، فهي تخالف لتعرف ، متخذة من هذه المخالفة سلما تصعده الى قمة المجتمع ، حتى اذا قبضت على زمام الامور متى تهيأت لها الاسباب ، كان اول ما تفعله ان تتنكر لجميع القيم التى نادت بها ، وجعلتها ذريعة للوصول الى اهدافها . وهذا الصراع الزائف المفتعل لا تكون له اية نتيجة ايجابية ، وليس من شانه اخصاب فكر الامة ، وفتح آفاق الخصومة الفكرية الهادفة امامها ، لانه لا يصدر فى بعض اطرافه عن نوايا حسنة ، ولا يخدم اهدافا نبيله ، وانما هي فتنة يصاحبها ما يصاحب جميع الفتن المادية والفكرية من تضليل وزيغ عن الطريق السوي ، واشاعة الحيرة والبلبلة بين صفوف الامة .

3) قادة الفكر فى الامة هم الذين يتولون بلورة هذا الصراع وابراز معالمه وتقييمه ونقده وتوجيهه ، بعد ان تكون الاكثرية الساحقة من افراد المجتمع ، مثقفين وغير مثقفين ، خاضعة بدون وعي بصراع القيم ، يعمل عمله فى نفوسها وعقولها ، ويوجهها الى اتخاذ عدد من المواقف ، ويملي عليها طائفة من ردود الافعال ، ولكنها غالبا ما لا تستطيع الربط بين ما يصدر عنها من تصرفات ، وبين بواعثها النفسية والاجتماعية ، الى ان يجيء قادة الفكر فيميطوا اللثام عن ذلك ، ويوضحوا طبيعة المواقف المختلفة التى تنطلق منها الاطراف المتنازعة فيتجلى الصراع على الصعيد الفكري بكل ابعاده . وقد جرت عادة السواد الاعظم من الناس ، انه يعاني الازمات النفسية ، ويستجيب تلقائيا لجميع المؤثرات العاملة فى حياته ، ويقوم بردود الافعال المختلفة ازاء ما يصادفه من احداث ووقائع ، قبل ان يتمكن من التماس اسماء وصفات لمختلف الحالات النفسية التى يعانيها ، وقبل ان يردها الى مصادرها ويحدد طبيعتها ويعثر على وسائل الخروج منها او تخفيف وطأتها . وقد تمضي عليه ازمنة ليست بالقصيرة ، قبل ان يخرج من حالة اللا شعور الى حالة الشعور والوعي والادراك والتصرف الارادي .

4) كل صراع بين القيم ليس من صنع الحاضر وحده ، وانما هو من صنع اجيال وعصور . فجذوره ضاربة فى اعماق التاريخ ، تاريخ الامة الفكري والعقائدي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي . وكما قلنا من قبل ان ظاهرة هذا الصراع تتصل بجميع نواحي حياة الامة ، وتتمدد فى حيز المكان ، فكذلك نقول هنا انها تتمدد فى حيز الزمان ، وتحكي مراحل ماضية مخلفة آثارها التى لا يمكن ان تزول نهائيا على تطاول السنين . والصراع لا يظهر الا اذا سبقته مراحل من التهيؤ والتخمر والاستعداد ، وهي مراحل قد تستغرق ازمنة طويلة ليس من السهل الرجوع اليها ، قصد البحث عن بذور الصراع وجذوره العميقة .

ولقد كان صراع القيم منذ اختلف الناس فى هذه الارض ، وذهبوا مذاهب مختلفة ناشئة عن اختلاف المصالح وشؤون المعاش، الا ان عصرا لم يبلغ فيه هذا الصراع ما بلغه فى عصرنا هذا. ذلك أن المجتمعات البشرية قديما كانت تعيش متباعدة نسبيا ، ويصعب اتصال بعضها ببعض ، اذا لم يكن بينها جوار بحكم الموقع الجغرافي ، ولو انها عاشت فى احقاب من تاريخها تحت ظلال الامبراطوريات الكبرى التى عرفها تاريخ الانسانية ، كالامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الاسلامية ، اذ تعيش عدة شعوب تحت راية دولة واحدة ، مما يساعدها على الاتصال ، وتبادل المنافع وثمرات الحضارة . اما فى عصرنا هذا فان اتصال المجتمعات والشعوب قد خطا خطوات جبارة ، بفضل وسائل النقل السريعة ، ووسائل الاعلام المتنوعة الدقيقة ، فازدادت القيم والمذاهب احتكاكا وتفاعلا ، واصبح المذهب الفكري يدعو اليه فيلسوف او مفكر فى ناحية ما من هذا العالم الواسع ، ينتقل فى سرعة فائقة الى مختلف انحاء المعمور . ولقد كان من نتائج هذا العصر العنيف فى عصرنا هذا بين الافكار والقيم ، ان نفسية انسان العصر تعقدت وتحالفت عليها الازمات ، بقدر ما فقدت طمانينتها وراحتها واستقرارها، متأثرة فى ذلك بعوامل اخرى . فراي يهدم رايا ، وفكرة تقوض فكرة ، ومذهب يقاوم مذهبا ، وفلسفة تناقض فلسفة ، وما اكثر ما يتسع له عصرنا من الافكار والمذاهب والفلسفات ، وما اكثر وسائل انتقالها بين الآحاد والجماعات ، وما ايسر سبل وصولها الى القراء على اختلاف مستوياتهم ، اذ يلقونها فى الصحف والمجلات ، ويسمعون احاديث عنها فى الاذاعة ، ويشاهدون صورا عنها فى السينما ، بعد ان يكونوا قد احتكوا بشيء عنها فى حياتهم المدرسية . كما كان من نتائجه ـ أي صراع القيم ـ ان قامت عدة ثورات مسلحة لاعطاء نوع من القيم مقام الزعامة ، ومظهر السيادة ، القائمين على سلطة الدولة وحماية القانون . وقد كان شيء من هذا فى القديم . فما ثورات الخوارج والزبيريين والشيعة فى التاريخ الاسلامي فى العصر الوسيط الا من هذا القبيل . ومن تلك النتائج ايضا قيام المعسكرات والتكتلات الدولية والمنظمات العالمية والاقليمية ، والمعاهدات والاحلاف التى مزقت العالم نظرا للبعض منها ، وساعدت على توحيده بالنظر للبعض الآخر .

وهناك عدة عوامل تغلب قيمة على اخرى ، وتهبها قوة السلطان على غيرها من القيم ولو لفترة او فترات محدودة ، من هذه العوامل ان يتاح للفريق المتزعم لقيمة من القيم ، استخدام القوة لهزم الفرقاء الآخرين فيتولى الحكم ، ويسن من النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ما يكفل للقيمة التى يتشيع لها السيادة والسلطان . ويعمد الى تغيير برامج المدرسة ، ومواد الكتب ، وتكوين الاستاذ ، قصد تخريج جيل جديد يحمل فى عقله وروحه أسس القيمة التى يراد له ان ينشأ عليها . حدث هذا مرارا فى التاريخ . فالعبيديون اذ كتب لهم عن طريق القوة ان يخضعوا لنفوذهم مناطق من البلاد العربية ، اخذوا يوجهون الدراسات العلمية الى الوجهة التى تتفق واغراض التشيع ، وقد فعل نفس الشيء الامويون والعباسيون ،. والاتراك العثمانيون ، والاستعماريون والغزاة الفاتحون ، كما فعلت ذلك الماركسية عندما صارت لها دولة تحكم وتشرع القوانين . ومن تلك العوامل ظهور ديانة جديدة تصادف فى الناس فراغا روحيا ومشاكل وأزمات عويصة يجدون فى هذه الديانة حلالها فيقبلون عليها ءاخذين عنها قيمها ومثلها ، كما حدث بالنسبة للمسيحية واليهودية والاسلام . ومنها حدوث بعض الكوارث الكونية التى تقلب المقاييس راسا على عقب ، وتعصف بكثير من القيم القديمة ، كالحربين العالميتين ، وكذلك ظهور اختراع او فتح علمي مدهش ، يجعل العلماء ورجال الفكر يعيدون النظر فى كثير من نظرياتهم السابقة ، ويغيرون ـ والناس معهم ـ نظرتهم الى كثير من الاشياء ، وذلك كاكتشاف قانون الجاذبية ، أو نزول انسان على سطح القمر ، أو ما هو من هذا القبيل .

على ان كل قيم جديدة تلقي عادة مقاومة من طرف الجماهير ، بدافع من ميلها شبه الغريزي الى المحافظة على قيمها الموروثة التى الفتها واستكانت اليها، وهذه المقاومة قد تظهر فى شكل ايجابي كالثورة الدموية الهادفة الى عدم التغيير ، وقد تظهر فى شكل سلبي كمقاطعة كل ما يمت الى القيم الجديدة بصلة ، والمبالغة فى التشبث بالقيم القديمة كأسلوب فى رد الفعل ، وذلك حسب نفسية الجماعة ، والظروف التى تحيط بها ، وما تهيأ لها من وسائل . وهكذا نجد ـ مثلا ـ ان الجماعة القرشية عز عليها ان تنبذ قيمها الموروثة لما ظهر الاسلام ، فحملت السيف وقاومت حتى انهارت ،

وهذا ما وقع بالفعل بالنسبة للمسيحية ، بل قل بالنسبة لجميع الرسل واصحاب الدعوات الاصلاحية الهادفة الى تغيير الاوضاع ، من داخل الانسان وخارجه على السواء ، حتى يتهيا لكل دعوة جديدة ان تثبت وتستقر . ونجد جماعة اخرى لا تستخدم هذا الاسلوب في المقاومة ، وانما تستخدم اسلوبا ءاخر ، هو المقاومة السلبية ، وخير مثال على ذلك ، العصيان المدني الذى قامت به الامة الهندية بزعامة غاندي ضد قيم المستعمر وحضارته ، قصد طرده وتحرير الارض من جبروته .

وغير خاف ان عصرنا هذا يعرف الآن غلبة القيمة المادية على القيم الروحية ، وذلك راجع الى عوامل من السهل وضع الاصابع عليها . منها هذا التقدم الباهر الذى احرزته العلوم التجريبية اليوم ، الامر الذى اكسب المادة المقام الاول، على حساب الاخلاقيات والروحيات . ومنها - كنتيجة لذلك - سيطرة السرعة على سائر مجالات الحياة ، والسرعة تقضي بتغليب جانب المنفعة ، واتيانها من اقرب الطرق وادناها الى تحقيق الغرض المطلوب ، على حين أن الروحيات تقتضي الاناة في تذوق الحياة ، والتضحية بالعاجل في سبيل الآجال ، ومنها النمو الطبيعي المطرد لحضارة الانسان ، فالحضارة تسير دائما من البساطة الى التعقيد ، وهي عندما تتعقد تطفو فيها القيم المادية على السطوح ، فيبهر سناها النفوس ، ويكسب ما عداها من القيم الاخرى. قارن بين حياة المدن وحياة البوادي ، وبين الاوساط الغنية والاوساط الفقيرة ، لتتضح لك هذه المسألة. على انه لا ينبغي الظن بأن حياة البساطة تخلو من القيم المادية ، وان حياة التعقيد تخلو من القيم الروحية ، فالقضية هنا قضية تغليب لا اقل ولا اكثر . ومن هذه العوامل كون الدول العالمة التى تتمثل فيها مزايا العصر البارزة في العلم والتكنولوجيا هي صاحبة السيطرة على شعوب العصر ، بكل معاني السيطرة وابعادها ، فلا غرو اذا كانت قيمها ومبادئها هي التى تسود عالم اليوم ، وتؤثر في تحركاته ، وتوجهه حسب ارادتها نحو ما تريده له من هدف وغاية . الامر الذى يفرض على الطرف الآخر المعادي لتيار العصر الجارف هذا ، أن يستخدم نفس السلاح ، اي القوة العلمية التى هي اقوى سلطة في عالمنا المعاصر .

العلم التجريبي الحديث انتج الآلة، والآلة انتجت المهارة، والمهارة انتجت القيمة المادية . ومهارة مجموعة من البشر في نوع من الخبرة الصناعية مكنتها من السيطرة على مجال او اكثر من مجالات الحياة ، وكلما ازدادت مهارتها في انواع اخرى من تلك الخبرة ، ازدادت سيطرتها على مجالات من الحياة اخرى . هذا علاوة على كونها تعطي النموذج للانسان الناجح الذي يصبح القدرة لاغلبية الناس . وهكذا نجد ان التقدم العلمي لعب دورا كبيرا في سيادة القيمة المادية على عالم اليوم .

على ان قيم العصر المادية تحمل في طياتها عوامل فشلها المرتقب، اذ هي باعدت بين الانسان واشواقه ومطالبه الروحية ، وارهقت اعصابه تحت ضغوطها الكثيرة ، وانزلته من عليائه ليتساوى مع بهيمة الانعام في مطالب الجسد ، وكادت ان تلغى شخصيته الانسانية لتضع الآلة موضعها ، وتحيل الحياة الانسانية مجموعة من الارقام والمعادلات . وبهذا لا بد ان يأتي زمن ينتقم الانسان فيه لنفسه من سلطان المادة ، ويصحح علاقته بنفسه وبالقوى الغيبية وبالحياة من حوله . ومصداق ذلك هذه الصرخات الحادة التى ترتفع اليوم من هنا وهناك ، منددة بسلطان المادة ، وداعية الى الرجوع الى الحياة الروحية التى اوشكت ان تختنق تحت وطأة المادة الثقيلة . واذا بدأ الانسان يثأر لنفسه من تسلط القيمة المادية عليه ، فان فصلا جديدا من فصول الصراع بين القيم سيبدأ من جديد . وحينئذ لن يكون الصراع سهلا ولا هينا ، وسوف يحتاج الى زمن طويل ، قبل أن يتمكن الانسان من اقامة تعادل بين الروح والمادة . ذلك ان القيمة المادية مسلحة بأقوى الاسلحة وابعدها اثرا في حياة الانسان ونفسه ، والغالب على الظن ان الامر يتوقف على عملية جراحية يهتز لها كيان الانسان اهتزازا عنيفا يزلزل الارض تحت قدميه ، بغيره لا يمكن للانسان تغيير اتجاه سيره . ولكن ما اخشاه هو ان تكون هذه العملية الجراحية من الخطورة بحيث تبيد الانسان ابادة تكاد تكون نهائية ، لتبدأ قصة اخرى من قصص الخلق في هذا الكوكب .

فاس - عبد العلي الوزاني

الشخص والحضارة المعاصرة...

نحو حضارة أساسها العمل

للأستاذ محمد عزيز الحبابي

يتثقف الانسان لانه يفكر ، وهو يفكر لانه يعمل، او « انه يفكر لان له يدا » ، كما قال (انا كساغور) . وبما انه لا يمكن الكائن البشري ان يعيش دون ان يتحرك وينظم حركاته ويجعلها هادفة (وهذا هو «الشغل») كان ضروريا ان يرتبط «العمل» ارتباطا جذريا بحاجياتنا الحيوية . نتج عن ذلك ان كل واحد منا يشارك في اثراء مصادر طاقة التقدم : انا اعيش، اذن، انا اشتغل ، وبالتالي اتقدم ، وفي نفس الوقت اعمل على تقدم بيئتي .

رغم ان جسدي ليس الا مصدرا لبعض الدوافع، فهو ، بكليته ، يكون حقلا للتحريض يمكنني من ان ابرز ما لحياتي من قيمة وان اقيسها بقيم اخرى » ولكن جسدي يظل المصدر الاساسي للدوافع ، والكاشف عن طبقة جوهرية من القيم : القيم الحياتية » ، كما يقول (بول ريكور (1)) . فحاجياتنا هي التي تحددنا . يقبل (ريكور) ان تكون الحاجة ، في معناها الدقيق ، مرتبطة بنشاط الارضاء الغذائي او الجنسي انها اساس الشهية ، والشهية افتقار ملحاح ، انها منبع لتحريضات وانفعالات لا تحصى.

ان العمل ، في واقعه ، ليس الا جهاز العلاقات البشرية ، اي الانجذاب والتناثر . فالكائن البشري مدفوع ، عضويا ، الى تملك الاشياء او الكائنات التى يحاول ، عن طريق العمل ، ان يغيرها او يسوغها . انها تكمل وجوده (كالغذاء، والسوائل، والجنس الآخر). فالانسان من اجل المحافظة على كيانه ، يجهد نفسه للسيطرة على جميع الاشياء والكائنات التى هي من فصيلته ، ويتجنب كل ما يهدد وجوده . لذلك ، بما ان العمل مباطن لحياتنا ، فالحياة تحوك نسج صيرورتها بمجهود مستمر علها تتكيف مع العالم الجغرافي والبشري الذي يكتنفها . **وما الثقافة الا تاريخ لهذا المجهود الحيوي من أجل التكيف المتوارث اللا منقطع الذى نحياه كأفراد ، وكمعاشر ، وكأجيال، وكطبقات مجتمعية .**

ان حصيلة اسهامات افراد بيئة ما في التقدم يختلف عن حصيلة بيئة اخرى ، حسب الايقاع الذى يسير عليه تطورها (سرعة وبطأ) ، وحسب التواتر ونوعية الاشغال التى يقوم بها اولائك الافراد ، مع مراعاة كيفية تنظيم هذه الاشغال ، وتوزيعها ، والادوات المستعملة لتحقيقها . كل هذه عوامل مستقلة ، كامل الاستقلال ، عن العرق ولون البشرة .. يكفي ، مثلا ، ان يكتشف مجتمع منجما معدنيا ، ليغير هذا الاكتشاف كل شيء في حياة البيئة : اساليب الحياة ، والايقاع الذى تسير عليه الاعمال ، كما يتغير كيف وكم هذه الاعمال .

(1) P. Ricœur, **Philosophie de la volonté**, p. 82 (Paris, Aubier, 1948)

القضية اذن قضية « حظ » و «فرص» ، الى حد ما ، لا دخل للعنصر فيها ، وطبعا انها قضية وسائل نظرية وتطبيقية تكسب الخبرة والتجارب التى تخول القبض على ضفائر الفرصة والركوب على ظهر الحظ ، للسفر البعيد نحو التقدم .

* * *

ان مهمة حضارة العمل هي ، قبل كل شيء ، ان تعم وسائل الاكتشافات وتبيح لجميع الناس ، بالتساوي ، ان يستثمروا امكانياتهم كيما يحقق كل واحد ذاته على اكمل وجه ، فيفسح له المجال ، ويجني اكبر الارباح ، ماديا ومعنويا ، من التقدم الحالي . وتحقيق كل هذا لن يتيسر الا عندما تصبح الثقافة فى متناول الجميع ، لانه ، كما قال الفيلسوف الانجليزي ، (طوماس مور) : « من الشروط الاساسية لتحقيق السعادة العامة ، توفير ساعات للفراغ ، ليستطيع كل فرد ان يفكر وان يهذب نفسه ويزينها بنور المعرفة » .

ورغبة فى هذه «السعادة العامة» ، نادى (طوماس مور) ، فى تاليفه الخالد « الايثوبيا » بوضع دستور يهدف الى الصالح المجتمعي ، فى ميدان الصناعة والثقافة ، وفى الميدان الروحي ، لمجموع الناس ولصالح الطبقة الكادحة ، بصفة خاصة . بمقتضى هذا التشريع ، سيشتغل الجميع ، ولكن باعتدال . ويقترح (مور) ان يقسم اليوم كما يلي : عشر ساعات للراحة والتثقيف الذاتي ، ثمان ساعات للنوم ، وست ساعات فحسب للعمل .

* * *

لا نعتقد ان هذه الاهداف ممتنعة التحقيق ، او خيالية لانها صدرت عن مؤلف الايثوبيا . حقا ، ان الاوضاع قد تغيرت كثيرا عما كانت عليه فى عهد (توماس مور) ، ولكن المشكل الموضوع دائما ، هو : كيف يمكن ان تستغل الطاقات الحضارية ، فى نموها الحالي ، واستقبالا ؟.. فاما ان توجه لفائدة النوع الانساني او ضده ، مع الاقتناع بامكانية توجيه مجرى التاريخ .

منذ تاليف « الايثوبيا » ، سنة 1516 ، قامت الثورة الصناعية الكبرى حاملة فى موكبها كل انواع المخترعات ، متدرجة من القاطرات والطائرات النفاثة ، الى علوم الفضاء والانسان الآلي . فهل سنبقى ، كما قال (لايبنيتز) آليين فى ثلاثة ارباع أعمالنا ، لاننا نظل سلبيين ، تاركين المجال للآلة تكيفنا حسب هواها ؟

قد طغت الآلات على حياتنا واخضعتنا لمشيئتها، لذا نتساءل فيما اذا كان الجزء الصميمي من شخصيتنا ، المكون الحق لذواتنا سيتحول ، فى نهاية الامر ،ليصبح بدوره آليا .

ومشكل ثان مرتبط بالتقدم : ما السبيل الى ازاحة الحدود المنيفة التى تضعها اقليات محظوظة فى وجه اكثريات اصيبت باستلاب مرير ؟ متى تصبح الحضارة ملكا للمجموع الانساني ، فلا يبقى ممتازون يستغلون مكتسبات الانسانية ، رامين باخوان لهم فى احضان الحرمان ؟

* * *

ليس معنى هذا اننا ندعو الى مقاومة (ابرو ميثيوس) (2) ووضع الاكبال على رجليه ليقف عن السير الزاحف بالعلوم الى الامام . كل ما نريد هو ان نتذكر ان العلم والصناعة والتقدم تشبه اللسان، كما مثله الحكيم (ايزوب) ، انها أداة للخير وللشر معا . فالقضية قضية الاستعمال وتوجيه . ذلك ان اساس المشكل هو البلبلة ، اذ انحرفنا عن المرمى ، وان كنا جميعا نعرف ما هي الاهداف التى يجب ان نسخر العلم لخدمتها ، فليس الخطر آتيا من الآلة ، بل من ضعف ، وفردانية ، وقسوة الانسان الذى يستغلها .

* * *

ان الشخصانية ، **اذا ارادت الانسجام مع نفسها** ومع الواقع ، انقادت لا الى التشاؤم ، بل الى ايمان وطيد متفائل فى قدرة لانسان ، ما دمنا نؤمن بأن الانسانية تتوفر على امكانيات كفيلة بدرء الخطر ، وانها ستتوصل الى استغلال تقدم الآلة لصالحها . ويكفي لتحقيق هذه الاستفادة ، وهذا التجاوز ، ان نقوم بتطبيق التربية بمعناها الواسع ، وان نؤنسن التقنيات ، وذلك بانسنة علاقاتنا فيما بيننا ومع العالم ، بفضل الاتجاه نحو حضارة اساسها العمل.

الجزائر : محمد عزيز الحبابي

(2) انظر الحديث السابق (دعوة الحق ، شعبان 1389) ص 85

أدب القصة في سوريا

للأستاذ عدنان الداعوق

يقول الكاتب والناقد الامريكي المعروف (راى . ب . وست) :

« ان مولد اى عمل فني لا يختلف عن مولد الانسان بأمر واحد هام .. اذ انهما يولدان فى كامل النضج والعنفوان ، وكلاهما يشق طريقه من تلقاء نفسه الى العالم ليتبوأ المكانة اللائقة التي يستحقها » .

* * *

وعلى هذا المبدا ، مبدأ مولد العمل الفني .. او مولد الانسان الفنان سناخذ فى البحث عن تاريخ ومولد القصة السورية :

لن ندخل ، منذ البداية ، فى متاهات البحث التاريخي او الفلسفي لمولد القصة السورية ، اذ ان مولدها على السطح وليس عميق الجذور .. وتاريخها كشكل من اشكال الفنون الادبية ، تاريخ قصير .

فالقصة كما ائتلفت وعرفت به اليوم ، لم تكن معروفة بالامس ..

لكن القصة بوجه عام ، وكفن قائم بذاته ، وكعالم مثير وعجيب وغامض احيانا .. استهويا الكاتب السوري ، واثارا فى نفسه مختلف المشاعر واقصى الحماس ، فراح يضرب فى بطون الكتب ، ويبحث فيما يستورد من ثقافات متعددة الاتجاه واللون عن هذا الفن ..

وتساءل الكاتب السوري ، منذ ان خيم عليه ظل العمثانيين الثقيل :

— ما هي القصة ... ؟

هل القصة هي ذلك اللون الاستهلاكي الذي كان محببا عند الناس بغية التفكه والتسلية .. ؟ ام ان القصة احدى الظواهر الادبية فى العالم ، وعلى الكاتب السوري ان يجد التقليد دون دراية بمذهب او اصول؟

ام ان القصة — كمفهوم عام وبدائي — هي سرد حوادث التاريخ والادب والفكاهة .. ؟

الحقيقة ان القصة السورية — فيما مضى — كانت كل هذا فى وقت واحد .. فهي املاء الصحف والمجلات والسلاسل بما كانت تحتاجه السوق ، وبما يعود على الناس بالتسلية والتفكه والرياضة النفسية ، مع تطرق لحوادث الناس ، وتاريخهم ، واعمالهم ..

ونظرة واحدة لاسماء بعض الصحف التي كانت تصدر فى دمشق او حمص وحماة وحلب واللاذقية ، تنبيء عن مضامين ما كان ينشر فى هذه الصحف من قصص واحداث :

(حط بالخرج — ضاعت الطاسة — جراب الكردي — ظهرك بالك — اسمع وسطح — انخلي يا هلاله — المكنسة — ما صنع الحداد — الخ ...)

والحقيقة الاخرى تلزمنا بالاعتراف : بان هذا اللون الطاغي من الصحافة والادب الهزلي الفكه ، انما

كان وليد العصر واسلوب الاوان .. فالبيئة السورية – كانت يومئذ – بيئة مهددة بالثورات وبالتدخل الاجنبي .. وبالانتفاضات الداخلية ، فشجعت كلها هذا اللون الصحفي والادبي كرد فعل للصراع النفسي والتمزق الذي كان يشعر به الفرد السوري من جراء الحكم العثماني على البلاد .

غير ان الراي العام ، بمرور الزمن والتفاعل العلمي والثقافي ، راح يطالب بما هو اجدى واعم فائدة ، ولكن الجعبة خالية والنفس مندفعة .. فلم يكن امام الادباء السوريين الاوائل سوى باب (الترجمة) .. باب واسع عريض اطلوا منه على العالم مباشرة ، واشرفوا من خلاله على ثقافات الامم وفنونها في القصة على وجه الخصوص .

فاذا كان عام 1886 صدرت في دمشق اول نشرة ادبية قصصية روائية ، لصاحبيها (سليم وحنا عنحوري) .

وكانت بداية حال الادباء السوريين في الترجمة ككل بداية .. لا تخلو من ركاكة في الاسلوب وتعرض المترجم لرايه الخاص فيما يترجم في غالب الاحيان .. كما لم تخل هذه الترجمات من كثير من التعابير العامية المفرطة ، الى لجوء جزئي حينا وكلي احيانا الى ترجمة النص نظما وشعرا وزجلا .

وظهرت في اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بعض القصص الطويلة المؤلفة والموضوعة ، وكان أول المهتمين بها (فرنسيس مراش) الذي اصدر قصته (غابة الحق) عام 1862 ، في حين طبع قصته الاخرى (در الصدف في غرائب الصدف) عام 1872 في بيروت .

كذلك نشر (نعمان القساطلي) قصة (مرشد وفتنه) و (الفتاة الامينة وامها) و (انيس وانيسة) في مجلة (الجنان) التي كانت تصدر في بيروت خلال الاعوام 1880 – 1881 – 1882 .

ويمكننا – على هذا – ان نسمي مرحلة (فرنسيس مراش ، ونعمان القساطلي) بالمرحلة الاولى لادب القصة في سورية .

في حين تميزت المرحلة الثانية – بداية مع مطلع القرن العشرين – تحمل خصائص وسمات تطور القصة الاولى في سورية، وكان ذلك على يدي (شكري العسلي) الذي كتب لاول مرة (القصة القصيرة) ، في عام 1913 ، وكانت بعنوان (نتائج الاهمال) ، بالاضافة الى روايته (فجائع البائسين) التي صدرت عام 1907 في مجلة (المقتبس) السورية .

اما (ميخائيل صقال) فقد نشر في عام 1907 قصة (لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر) .

اما على مجال الترجمة ، فقد طالع الناس عددا كبيرا من الترجمات لقصص وروايات عالمية قام بترجمتها نخبة من الادباء امثال (رزق الله حسون – ومحمد كرد علي) وغيرهما .

القصة السورية في فترة ما بين الحربين :

ان بزوغ فجر القصة في سورية في فترة ما بين الحربين يرجع الى ثلاثة امور :

اولا : الصحافة ، فقد تنوعت الصحافة وتعددت بحيث اخذت تغري الادباء بالنشر .

ثانيا: الاحتكاك الثقافي، حيث ان سورية انجبت عددا كبيرا من الشباب المتطلع الى الثقافة العالمية ، اما نتيجة حتمية للتطور ، واما بعيد بعثات الدراسة ، هذا اضافة الى اتصال سورية مباشرة بالثقافة الفرنسية بعد الانتداب الفرنسي لسورية .

ثالثا : هو ان سورية كانت على صلة وثيقة جدا بالدول العربية الاخرى وخاصة مصر التي قطعت اشواطا بعيدة في التجديد الادبي وكافة فنون الكتابة الاخرى .. وبرزت في مصر في تلك الآونة ثمرات القصة الناضجة التي وقفت على قدميها ثابتة عند (الدكتور محمد حسين هيكل) في قصة (زينب) عام 1914 ، وفي اعمال (محمد تيمور، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم) وغيرهم ...

ولا شك ان هؤلاء الرواد من الادباء والقصصيين المصريين واللبنانيين ايضا امثال (سليم البستاني ، وفرح انطوان ، ونقولا حداد ، ويعقوب صروف ، وجبران خليل جبران) وغيرهم .. قد اثاروا بشكل مباشر وغير مباشر احيانا في انبثاق القصة في سورية وباقي الاقطار الاخرى .

لكننا عندما نريد الوقوف امام القصة القصيرة السورية على مجال التكامل والنضج الفني الاولي ، لا بد لنا من ان نعترف بفضل الرواد السوريين الاوائل امثال (علي خلقي) صاحب المجموعة القصصية المسماة (ربيع وخريف) الصادرة عام 1931 ، و (محمد النجار) صاحب (في قصور دمشق) و (نسيب الاختيار) الذي نشر أول قصصه عام 1930 ، وكانت

بعنوان (عودة المسيح) و فؤاد الشايب صاحب المجموعة القصصية الوحيدة (تاريخ جرج) التي صدرت عن دار المكشوف ببيروت عام 1944 .

اما على مجال الرواية ، فقد برز (معروف الارناؤوط) كأول كاتب للرواية ، فأصدر مجموعة من رواياته التاريخية الشهيرة مثل (سيد قريش 1929) في ثلاثة أجزاء ، و (عمر بن الخطاب 1936) في جزئين، و (طارق بن زياد 1941)، و (فاطمة الباتول 1942) كذلك برز أسم (الدكتور شكيب الجابري) الذي اصدر على التوالي أربع روايات ادبية هي : (نهم 1937) — (قدر يلهو 1939) — (قوس قزح 1946) — (وداعا يا آفاميا 1961) .

لم يكن امر كتابة القصة القصيرة السورية بالامر السهل أو اليسير ، ذلك انه فن مستحدث وجديد والدخول الى عالم القصة القصيرة كالدخول في المتاهة الغامضة، لذلك فقد تردد العديد من الكتاب السوريين تجاه القصة القصيرة ، حتى ان فؤاد الشايب كتب يقول في مقدمة مجموعته (تاريخ جرج) :

« لا أود ان ازج نفسي في انشاء أدب — القصة القصيرة — مدشنا عهد النشر بالنوع القصير النفس، الصغير الحجم ، خوفا من ان يجري ذلك على عادة ، لا اجد بالتالي منها مفلتا ، فاذعن لها صاغرا » .

هذا وتعتبر مجموعة (تاريخ جرج) المجموعة القصصية المتكاملة الاولى في ادب القصة السورية ، وقصص المجموعة كتبت ما بين عام 1930 — 1940 ، مثل (الشرق شرق — احلام يولاند — قبل المدفع — جنازة الآلة — وغيرها ..)

وتمتاز هذه القصص بالمعالجة الاجتماعية في ظل ملامح انسانية عامة ، وذلك في اسلوب رشيق ورصين، وعبارة قوية ولغة سليمة .. ولقد اثرت ثقافة (الشايب) العالية في انتاجه القصصي ولونت عالمه الفني بألوان مسرة جذابة .

* * *

تلك كانت اللمحة الخاطفة التي درسنا فيها تشكل أدب القصة في سورية ، وقد انتهينا بفترة ما بين الحربين .

على انه ظهر كذلك في هذه الفترة عدد آخر من كتاب القصة ، لمعت اسماؤهم واحتلت الصدارة ، منهم : خليل الهنداوي — ومظفر سلطان — وحسيب كيالي — وغيرهم ...) حتى اذا كان عام 1950 نجد ان القصة في سورية قد اخذت تحتل المكانة اللائقة بها بفضل مجموعة كبيرة من الكتاب السوريين — القدماء الذين استمروا في الانتاج والعطاء وجيل الشباب المتفتح على الثقافة الحديثة — .

ولو استعرضنا — على سبيل التذكر — اسماء الكتاب الذين برزوا خلال فترة 1950 — 1960 لوجدناهم يفوقون في العدد كثيرا من الاقطار العربية والاوروبية أحيانا ، فهناك مثلا :

(ياسين دركزلي ، سعيد كامل كوسا ، منور فوال ، خير الدين الايوبي ، ميلاد نجمة صميم الشريف ، احمد الفغري ، ليان ديراني ، صلاح دهني، شوقي بغدادي ، مواهب كيالي ، عفيف بهنسي ، غازي الخالدي ، خالد الشريفي ، فاتح المدروي ، علي بدور، عبد الرحمن البيك ، اديب كلاس ، انطون حمصي ، يسره البزره ، محمد حيدر ، محمد الراشد ، هالة ميداني ، هيام نويلاتي ، ليلى اليافي ، أميرة الحسني، عماد تكريتي ، هشام نحاس ، احمد مراد ، وغيرهم .)

بالاضافة الى مجموعة أخرى من كتاب القصة التي ما تزال تنتج وفي عطاء متفاوت فيما بينهم أمثال :

(الدكتور عبد السلام العجيلي ، وداد سكاكيني، الفة الادلبي ، سلمى الحفار الكزبري ، فاضل السباعي، مراد السباعي ، حسيب كيالي ، حنا مينه ، غادة السمان ، كوليت خوري ، قمر كيلاني ، رينه عبودي، جان الكسان ، اسكندر لوقا ، ياسين رفاعية ، زكريا تامر ، عدنان الداعوق ، وغيرهم ...)

والسؤال الان هو :

— اين اختفت تلك الاسماء العديدة من كتاب القصة السورية ... ؟

في الاجابة على هذا السؤال ، يمكننا ان نبحث الامر من وجهتين من النظر :

اولا : ظهور طبقة الادباء استهوتهم القصة واغرتهم ، فجربوا حظهم في مجالها فلم يفلحوا ، وككل تجربة فجة غير ناضجة سقطوا واختفت اسماؤهم .
ثانيا : هو تشكل روابط وجمعيات أدبية ذات صبغة سياسية ، شجعت عددا كبيرا من الادباء على كتابة القصة ، وذلك بفضل صحف ومجلات كان يحررها من ينتمي الى هذه الروابط والجمعيات .. وما ان تنحل هذه الروابط والجمعيات الادبية ذات

الصبغة السياسية ، حتى تسقط هوية هؤلاء الكتاب القصصيين ، كما حدث فى (رابطة الكتاب العرب التي ضمت اليها فى يوم من الايام أكثر من اربعين قصاصا سوريا ! فعندما انحلت الرابطة ، انفرط عقد هؤلاء ، وبالتالي أعرضوا عن كتابة القصة ، وكثير منهم من لم يكتب قصة واحدة منذ ذلك اليوم .

وهناك سبب ثالث لا يقل اهمية عن السببين السابقين ، وهو أن عددا كبيرا من كتاب القصة أغرتهم المناصب ، وصرفتهم الوظيفة ، ووجدوا فى الاذاعة او الصحافة او التلفزيون مجالا اكثر اغراء من مجال القصة ماديا ومعنويا .

* * *

ونحن اذا أردنا تصنيف كتاب القصة فى سورية، لا نجد غير مذهبين أدبيين ينتمي اليهما الادباء المتنجون :

1 ـ المذهب الواقعي :

ويضم (الدكتور عبد السلام العجيلي ، حسيب كيالي ، الفة الادلبي ، قمر كيلاني ، وداد سكاكيني ، فاضل السباعي ، مراد السباعي ، وغيرهم ...)

2 ـ المذهب التحليلي :

ويتفرع عن هذا المذهب : (المذهب الوجودي ، والرمزي ، وادب اللامعقول) .

وتضم هذه المذاهب (اسكندر لوقا ، جان الكسان كوليت خوري ، وليد اخلاصي ، زكريا تامر ، عادل ابو شنب ، غادة السمان ، وعدنان الداعوق ، وغيرهم) .

نستطيع هنا ، وقد قسمنا كتاب القصة الى هذين المذهبين الادبيين ، ان نتناول بالبحث بعض كتاب القصة المرموقين :

1 ـ الدكتور عبد السلام العجيلي :

لا أزال أذكر مرة كنت أتحدث فيها عن أدب القصة عند العجيلي ان قلت :

(اذا كان للشعر امير ، فللقصة اميرها وهو الدكتور عبد السلام العجيلي) .

ولم يكن قولي هذا ناتجا عن حكم سريع أو انفعالي أو ذاتي ، حتى اخلع على العجيلي هذا اللقب، لكنني فى تتبعي الدائم والمستمر لعطاء هذا الاديب الكبير ، اجده خير كاتب للقصة على مختلف وجوهها ومذاهبها أيضا .

ولقد أعجبنا بالعجيلي بدءا من قصته القصيرة ـ الى قصته الطويلة ـ الى الرواية .

وخطا عبد السلام العجيلي فى درب القصة خطواته الاولى عام1948 عندما نشر مجموعته القصصية (بنت الساحرة) ، وكان درب القصة ما يزال بكرا لان من مشى فيه تخلى وتقاعس ، فجاء (العجيلي) بثقافته العالية العلمية (كطبيب) والفنية (كشاعر واديب) ، ووضع أول أسس النهضة القصصية فى سورية .. وعرفت القصة على يديه ـ لاول مرة ـ التحليل العلمي الدقيق ، والترابط الذهني مع واقع الحياة ، والسرد الحسي الانتقادي ، والاتجاه القومي ، والتعاطف مع المحلية دون اسفاف ، والالتصاق بالشعب والريف والبادية والمدينة وعواصم العالم أجمع .

وما أظن أن تلخيصا ما لما كتب (العجيلي) الا اساءة لقصصه فى موضوعاتها ونكهتها وقيمتها الفنية والادبية .

وقدم (العجيلي) للمكتبة العربية حتى الان :

(بنت الساحرة 1948 ، ساعة الملازم ، 1951 ، قناديل اشبيلية 1956 ، الحب والنفس 1959 ، الخائن 1960 ، الخيل والنساء 1965 ، باسمة بين الدموع ـ وهي رواية طويلة ـ 1958 ، رصيف العذراء السوداء ـ وهي قصة طويلة ـ 1960) .

بالاضافة الى كتب اخرى عن السفر والرحلات (حكايات من الرحلات 1954 ، دعوة الى السفر 1963، المقامات 1963 ، أحاديث العشيات 1965 ، اشياء شخصية 1968) .

كما للعجيلي ايضا ديوان شعر بعنوان (الليالي والنجوم) الصادر عام 1951 .

ومما لا شك فيه اطلاقا ان (العجيلي) هو الكاتب القصصي الاول فى سورية الذي جمع بين الكم والكيف دون باقي الكتاب الاخرين .

2 ـ حسيـب كيـالي :

وجه آخر من وجوه القصة في سورية ، وابن بار للواقع السوري .. ويمتاز (حسيب كيالي) باسلوب خاص قد تميزه على غيره من الكتاب الاخرين ، اذ هو يعرف كيف يستعير اشخاص وملامح النـاس الذين تلمحهم في الشوارع والحارات ، ويجعلهم ينطقـون كلاما هو خليط بين الفصحى العريقة والعامية المفرطة .. واشخاصه يتحركون على السطح (كما يقول الاستاذ صلاح الدهني) ، دون ان تلمح لهم رصيدا نفسيـا يربطهم بالجذور والاعماق .

و (حسيب كيالي) يراقب الناس جيدا ، ولكن من الخارج ، وهو قلما يتوقف عندهم ليدخل الى صميم حياتهـــم .

كذلك فان طابع السخرية اللاذعة تبدو غاية في الوضوح عنده ، يضاف الى هذا انه يجيد الشتائم في قصصه الى حد عجيب ، وغالبا ما تكون من نوع بذيء .. فهل هي واقعية أم نقل عما يجـري في الشـارع والحارة والخمارة والحقل وغيرها من الاماكن ... ؟

3 ـ الفـة الادلبـي :

اذا اردت ان تقرأ عن الحكايات القديمة ، والناس الذين كانوا يعيشون في دمشق العتيقة منذ عشرات السنين ، وعن التقاليد والعادات الدمشقية القديمة ، وعن التصوير الفني المزخرف لبيوت دمشق المندثرة ، وعن حكايات النساء أيام زمان .. عن الطلاق والزواج والحب عند المرأة الشامية في سالف العصر والاوان ... لابد لك من أن تقرأ (الفة الادلبي) .

ان الفن القصصي والابداع التكنيكي للقصـة مفقودان عند (لفة الادلبي) كذلك الامـر بالنسبـة (للحادثـة) ـ كأول أداة من ادوات فـن القصـة الكلاسيكية ـ فتكاد تكون اغلب قصصها بلا حادثة بلا زمان ولا مكان ، لكنها تعوض عن ذلـك بالزخرفـة والنمنمة وتأنق اللفظ والتهالك على اللغة دون جدوى .

و (الفة الادلبي) رغم ما قدمـت من (قصص شامية 1954 ، وداعا يا دمشق 1963 ، المنوليا في دمشق ، وقصص اخرى 1964) تظل بعيدة كل البعد عن مفهوم القصة الحديثة السورية كما انها تظل في آخر صف (المذهب الواقعي) ، وتعتبر امتدادا للقصة السورية ما قبل فترة ما بين الحربين .

4 ـ فاضـل السباعـي :

تميز هذا الكاتب بانتاجه الغزير ، فقد صدر له (الشوق واللقاء 1958 ، ضيف من الشرق 1959 ، مواطن أمام القضاء 1959 ، الليلة الاخيـرة 1961 ، نجوم لا تحصى 1963 ، ثريا 1963 ، ثم ازهر الحزن 1963 ، الظمأ والينبوع 1964 ، حياة جديدة 1964 ، رياح كانون 1968) .

فان كانت (الفة الادلبي) ابنة البيئة وقصاصة الناس وراوية حكاياتهم ، فان (فاضل السـباعي) ابن البيئة ولصيق المجتمع ، ولكن اي مجتمع واية بيئة .؟

المجتمع الحلبي والبيئة الحلبية .. ويقف كل من (فاضل السباعي ـ والفة الادلبي) على طرفي مجتمع ، احدهما في الشمال ، وثانيهما في الجنوب .. اذ لابد لكل ما للمجتمع الحلبي من عادات وتقاليد وموروثات بالية قديمة من قصاص يكتب عنه ، وقد جاء فاضل السباعي ليسد هذا الفراغ ، وقصصه وروراياته كلها تمتاز بالافتعال ، افتعال (الحدث) الذي يـسبب بالتالي افتعال المعالجة ، ولغته غاية في الافتعال ايضا ، والسمة الواضحة التي يمكنك ان تسم بها اعمال هذا الكاتب : السطحية الرائعة ، والبساطة المتناهية ، والبعد عـن افكار الناس ، وعلى الرغم من التصاقه بحوادث الناس .

* * *

ليس هؤلاء وحدهم هم كتـاب القصـة الذين ينتمون الى المذهب (الواقعي) في ادب القصة السورية .. بل هناك عدد آخر ، منهم من انقطع عن الانتـاج والكتابة نهائيا ومنهم ما يزال يكتب واتمـا بشكـل مقـل وعـادي .

المذهـب التحليلـي :

ان الظاهرة الاولى لكتاب هذا المذهب ، انهـم آمنوا بوجوب تطوير فن القصة تمشيا مع تطور الفكر في الوطن العربي وفي العالم .. ولا شك ان مرد هـذا التطور يعود بالدرجة الاولى لتمازج الثقافة العربيـة بالثقافة الغربية ، ومن هؤلاء :

1 ـ اسكنـدر لوقـا :

الذي أصدر سبع مجموعات قصصية هي (حب في كنيسة 1952 ، في ليلة قمـراء 1953 ، العامـل

المجهول 1954 ، انصاف مخلوقات 1955 ، نافذة على الحياة 1958 ، راس سمكة 1960 ، النفق والارقـــام 1964) .

و (اسكندر لوقا) كاتب مجتهد ، استطاع فيما قدم من قصص ان يدرس المجتمــع ويدرس الناس ، وينزل الى الطبقة الفقيرة ، ويغوص في اعماقها ويكتب عنها .. يكتب عن : الشحادين ، الفقــراء الخـدم ، الغسـالات ، وحفاري القبور ، وسائقي السيارات ...

هؤلاء هم ابطال (اسكندر لوقا) على الغالـــب ، ولكنه لا يكتفي بأن يسـرد لنا حياتهـم من اطارهـــا الخارجي ، بل هو يغوص عميقا ليكشف خبايا النفوس، ويتحرى ما وراء الذات البشرية ، لكنه مع ذلك يرهق نفسه في البحث عن (الحادثة) في قصته ، وهو واقع تحت تأثيرها ــ على عكس كافة كتاب هذا المذهب ــ ، ولهذا يمكننا ان نعتبر (اسكندر لوقا) منتميـــا الى المذهب الواقعي المتطور ..

2 ــ عدنــــان الداعـــوق :

من العسـير على احد ان يكتب عن نفسه ، عن موقفه ، عن تطوره ، عن فنه ، والكتابة عن الـذات لا تخلو من عقدة (الانا) ، لذلك اكتفي ــ وقد صنفني النقاد مع الكتاب التحليليين ــ ان انقل بعض اقـوال النقاد في فني القصصي .

لقد صدر لي حتى الان (ذات الخـــال 1958 ، وحدة الحب (وهي رواية طويلة) 1959 ، ستشرق الشمس زرقاء 1961 ، السمكة والبحار الزرق 1964، مدينة العبيد (وهي قصة طويلة مترجمة للاسبانية نشرت في مدريد 1967) ابطال وامجاد 1968، أزهار البرتقال 1969 ، واشتركت مع عدد من الكتاب السوريـــن والعرب في (15 قصة سورية 1957 ، 12 قصة من حلب 1964 ، من روائع القصص العربي الحديث (وهو بالاسبانية نشر في مدريـــد 1967) ــ نظير زيتـــون الانسان 1968 .)

كتب الناقد الاستاذ (عدنان بن ذريل) عني في كتابه الضخم (ادب القصة في سورية) يقول :

(لقد بدأ عدنان الداعوق في قصص ــذات الخالــ بالتحليل العادي، اي مجرد التقرير النفسي، والوصف للحالات الشعورية لابطاله ، في معرض سرد عادي ــكما عند كافة التحليليين الواقعيين عندنا ــ ، يبتديء من المجتمع والتجارب والحياة) .

وفي هذا قال الناقد والاديب العصري المعروف الاستاذ (ماهر نسيم) في دراسته المنشورة في مجموعتي (ستشرق الشمس زرقاء) :

(وعدنان الداعوق، متفرج يعرف كيف يتفرج على الناس ، ومصور يعرف كيف يرسم صورهـــم ويقدمهم للناس ، ومتأمل يعرف كيف يختزن الوقائع والاحداث والصور في ذاكرته، وهو انسان يعرف كيف ينفعل مع الناس ويتجاوب معهم ، وهو فنان يعـرف حسن التقاط الصور الحية المتدفقة ، وهـو ممثـــل يعرف كيف يتقمص شخصيات ابطاله كما لو كان قد جمع كل هذه الشخصيات معا ، ولكن دون ان يفقـــد ذاتـــــه) .

غير ان (الدكتور محمد مندور ــ رحمه الله) قال ملخصا كل هذه الاقوال في عبارة واحدة :

(ان في قصص عدنان الداعوق نعومة الشعـر ، وليس فيها شراسة القصص) .

غير ان (الدكتور عبد السلام العجيلي) يدل في كل هذه الآراء ، بعد ان أصدرت مجموعتي القصصية (السمكة والبحار الزرق) ، ذلك انني بدأت (كلاسيكيا) ثم تطورت الى كتابة (القصة الحديثة) ، وتساءل في دراسته المطولة المنشورة في مقدمة هذه المجموعـــة (أهي ارادة من الكاتب شاء فيها ان يكون من انصـــار اللون الجديد ، الشاب ، المتفتح ، من الوان القصة ، أم هو التطور الذي ساقته اليه ظروف عصرنا الادبية.؟)

وقبل ان اجيب على تساؤل الدكتور عبد السلام العجيلي قال الاستاذ عدنان بن ذريل في دراسته لتطور فني القصصي :

(سرعان ما افترقت قصة اليوم عن قصة الامس عند الداعوق ، بحيث انك تحس الى المطلق ، المطلق الذي يقارب الحس الوجودي للجذور ، ولكن بشاعرية رهيفة تظل تنتقي الاجواء والاساليب ، بحيث صبغت قصصه الاخيرة بمسحـــة من منطـق العبـث وفـــن اللامعقـــول) .

وان كانت لي كلمة ، فلا اقول سوى : ان القصة اليوم في نظري ــ جو ــ قبل ان تكون ــ حادثة ــ وهي ــ احساس ــ قبل ان تكون ــ تصويرا ــ .

3 ــ عادل أبو شنـــب :

اصـدر (عالم ولكنه صغيـــر 1956 ، زهـــرة استوائية في القطب 1961 ، الثوار مروا ببيتنا 1962).

وعلى الرغم من ان عادل ابو شنب من كتاب القصة القلائل الذين اهتموا (بالمتولوج الداخلي) و (فكرة التداعي) في القصة ، الا انه وللاسف الشديد انتهى ككاتب قصة منذ عام 1963 ، فقد جذبته اضواء اكثر اغراء وفتنة من عالم القصة الرحب .

واسلوب عادل ابو شنب يكاد يكون اسلوبا فريدا بين جيل الشباب ، ولكن اناقتـه في اختيار اللفظة والبحث عنها ، غالبا ما تأتي في غير سياقها .. ولو استمر هذا الكاتب في عالم القصة لكان شيئا مهما حقا .

* * *

لقد استخدم الادباء التحليليون ابرز ما استخدموه في قصصهم (الرمز) ، وجاء الرمز في القصة الحديثة تعبيرا فكريا معينا ، او تفسيرا لمنطلق من المنطلقات الحسية او الوجدانية او الفلسفية او السياسية ... حتى غدا (الرمز) عند بعض القصاصين المحور الاول والاخير ، ونجد هذا واضحا عند :

غادة السمان : في مجموعتها (لا بحر في بيروت) و (عيناك قدري) واعنف ما يكون الرمز عندهـا في مجموعتها الاخيرة (ليل الغرباء) ، وكان الرمز عند غادة السمان في البداية ملجأ وجدانيا وحسيا اصيلا .. لكنه تمرد عندها وانطلق ، وراحت هي تلحق به بعد ان كانت تستخدمه ، وهنا شردت افكارها وضاع منها اكثر ما تريد أن تعبر عنه في قصصها الاخيـرة ... كذلك الامر عند :

زكريـا تامـر :

اصدر (صهيل الجواد الابيض 1960 ، ربيع في الرماد 1963) .

وليـد اخلاصـي :

الذي اصدر (قصص 1963 ، العالم من قبل ومن بعد 1965 ، شتاء البحر اليابس 1965 ، احضـان السيدة الجميلة 1969) .

والظاهرة الغالبة عند هؤلاء استخدامهم (الرمز) كلوحات نفسية ، هي اغلب ما تكون الى البحـث عن (التكوين) .. والعودة الى اى شيء .. انطلاقا من لا شـيء .

والذي يبدو لنا واضحا ان اغلب جيل الشباب من كتاب القصة ينتمون الى المذهب التحليلي ، ولعل ابرزهـم :

(كوليت خوري ، جان الكسـان ، جورجيت حنوش ، رينيه عبودي ، هاني الراهب ، جورج سالم ، اديب النحوي ، وليد مدفعي ، صدقي اسماعيـل ، ممدوح السكاف ، عبد الله الشيتي ، عبـد العزيـز هلال ... وغيرهم)

* * *

والان ، بعد ان طفنا في عالم القصة السورية منذ نشأتها حتى الان ، هذا الطواف السريع ، لا بد لنا ان نذكر ان القصة التي كانت في عالم المجهول ، برزت على ايدي روادها الاوائل ، وجاء جيل الشباب من بعد ، ليبني في صرح القصة الشامـخ .. حتى اذا كانـت اوائل الخمسينات ، وجدنا عدد كتاب القصة في سورية يبلغون عددا هائلا ، ظل في تدرج نحو الاقل حتى اصبح عددهم اليوم في قلة ترهب وتخيف من اندثار هذا الفن العظيم اذا ظل في اقلال او هرب الى عوالم اخـرى ، كعالم الصحافة والاذاعة والتلفزيون ...

ومهما يكن من امر ، فلا اجمل عودتي الى بداية حديثي ، في قول الكاتب والناقد الامريكـي المعروف (راى . ب . وست) :

(انمولد اى عمل فني .. لا يختلف عن مولـد الانسـان) .

حمص ـ سورية : عدنان الداعوق



آثار ابن مالك

« 2 »

تأخذ اثرين خالدين لابن مالك ، احدهما في الشعر ، وثانيهما في النثر . فندرسهما نموذجا حيا على علم الرجل ومذهبه في النحو ، وطريقته في جمعه وتصنيفه وتدوينه ، لنستكمل بذلك فكرتنا حول علم الرجل ومذهبه في النحو العربي . هذان الاثران اللذان سنتولاهما بالملاحظة والتعقيب على التوالي هما : أرجوزته النحوية المشهورة «بالالفية»، وكتابه النثري المسمى « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » ، ويدعى احيانا بالتسهيل فقط .

أ ـ الالفيـــة

تعريفهـــا :

الالفية ارجوزة في النحو من الف بيت وبيتين ، نظمها ابن مالك عندما كان بحماه للشيخ شرف الدين البارزي الحموي ، ولم تكن الالفية اول اثر في النحو يكتبه ابن مالك في الشعر فلقد نظم قبلها ارجوزة « الكافية » ، واطال فيها ، ثم بدا له وهو في حماه ان يلخصها في الف بيت ففعل ذلك

(*) أشير في الجزء الاول من هذا البحث المنشور في العدد الثاني من مجلة دعوة الحق الغراء « رمضان ـ شوال 1381 » الى أنه من جملة الآثار العظيمة لابن مالك التي لا زالت مخطوطة : الكافية الشافية في النحو « ارجوزة في ثلاثة ءالاف بيت » . وكان الاعتماد في ذلك على ما هو وارد في قاموس الاعلام للعلامة الزركلي . ولدى اطلاع والدي حفظه الله على ذلك لفت نظري الى ان المؤلف المذكور هو من جملة الآثار المطبوعة المعروفة لابن مالك التي تحتوي عليها مكتبته الخاصة كان قد اقتناه من مكة المكرمة سنة خمسين وثلاثمائة والف هجرية 1350 .

فالاثر المذكور هو اذا من جملة آثار ابن مالك المطبوعة تحت هذا العنوان « متن الكافية الشافية في علم العربية » سنة اثنين وثلاثمائة والف هجرية (الموافق 1914) على نفقة شركة الاسلام ، في مطبعة الهلال بالفجالة مصر . وتقع هذه المنظومة في نحو من سبعة واربعين ومائة صفحة من الحجم المتوسط ويشير المؤلف في نهايتها الى انها تحتوي على الفين وسبعمائة ونيف وخمسين بيتا .

ودعاها « الخلاصة » وهو اسم ءاخر تعرف به الالفية ، فابن مالك حينماكتب ارجوزته هذه كان قد تمرس باسلوب النظم في النحو وبرع فيه ، فجاءت خلاصته هذه نموذجا مقبولا للشعر التعليمي ، ذاع صيتها وتقفها العلماء والطلاب يحفظونها ، ويشرحونها ، ويعلقون عليها ، ويعربون ابياتها ، ويفهمون مشكلها ، ويتخذونها حجة في القواعد النحوية التي استخلصها ابن مالك من كتب المتقدمين والمتاخرين من خيرة النحاة العرب .

كان عمل ابن مالك في الالفية عملا تعليميا تبسيطيا للنحو بين ايدي الطلاب والعلماء منهم على السواء ، فكان اقبالهم عليها عظيما في المشرق وفي المغرب لما امتازت به من تبويب لفصول النحو وتنظيم لابوابه ، وتلخيص لاحكامه في ابيات منظومة مرتبة ، سهلة الحفظ والفهم ، على ان ابن مالك في عمله هذا لم يكن اول من فتح باب الشعر التعليمي في النحو خاصة ، وانما سبقه الى ذلك علماء من قبل عصره ومن جيله سلكوا بالنحو هذا السبيل ، غير ان (الفياتهم) لم يكتب لها هذا الخلود وهذا الانتشار والاشتهار الذي كتب لالفية ابن مالك ، بل لقد كان عمل (الالفيات) شائعا في ذلك العصر : فالمصنف في مقدمة الفيته يذكر ذلك متواضعا : ولا ينكر فضل السبق على اصحابه كعادة العلماء حيث يقول :

« وتقتضي رضى بغير سخط
فائقة الفية ابن معط

وهو بسبق حائز تفضيلا
مستوجب ثنائي الجميلا »

وابن معط هذا من اصل مغربي رحل الى دمشق وتوفي بالقاهرة في اوائل القرن السابع الهجري (628 هـ) فهو من المعاصرين لابن مالك الا انه متقدم عليه .

اقسامها :

تقع الالفية في واحد وسبعين بابا تحت بعض هذه الابواب فصول صغيرة تتصل بها من قريب او بعيد ، اولها : باب الكلام وما يتألف منه ، وآخرها باب الادغام .

وللالفية مقدمة من سبعة ابيات يقول فيها بعد الحمد والصلاة :

واستعين الله في الفية
مقاصد النحو بها محوية

تقرب الاقصى بلفظ موجز
وتبسط البذل بوعد منجز

الا انه لا يذكر في هذه المقدمة انه لخص الفيته هذه من ارجوزة اخرى له تسمى بالكافية ، على ان الذى اطلع بالكافية يكاد يجد ترتيب ابواب الفيته هذه واحدا في الارجوزتين معا ، الا ان احكاما مطولة واختلافات للنحاة استغنى عنها هنا في هذه الخلاصة ، والذي يقرا الالفية يجد أن ابن مالك قد تبع في ترتيب ابوابها طريقة سهلة فاتبع كل باب بما يعتقد انه اقرب ابحاث النحو اليه ، حتى أتى على ءاخرها . ولا بأس هاهنا من ذكر بعض هذه الابواب على التوالي لتتضح طريقة الرجل في ترتيب ابحاثه النحوية التي اتبعها هاهنا في النظم كما اتبعها هناك في كتاب التسهيل في النثر : فهو يتكلم عن المعرب والمبني في الباب الثاني ويتبعه بالنكرة والمعرفة ثم العلم، واسم الموصول والمعرف باداةالتعريف، والابتداء، وعندما يبحث في تعدي الفعل ولزومه يتبعه بابواب التنازع في العمل والمنصوبات ـ المفعول المطلق ـ المفعول له (أي لاجله) ـ المفعول فيه ـ المفعول معه ـ الاستثناء ـ الحال والتمييز . فاذا تحدث عن النداء اتبعه بأبواب الاستغاثة الندبة ، الترخيم ، الاختصاص ، التحذير والاغراء . ويختم الفيته بباب التصريف وبعض الابواب المتعلقة به ويلاحظ أن هذا الترتيب هو المتبع في دراساتنا النحوية الى أيامنا هذه . وابن مالك نفسه متبع فيه لا مبتدع ولا مبتكر، انما كان له فضل حسن الاتباع وحسن الاختيار .

اسلوب ابن مالك فيها :

اذا تحدثنا عن اسلوب ابن مالك في الفيته هذه فانما نتحدث عن طريقة تقريره للقواعد النحوية ، واننا بذلك نحتاج الى امثلة وشواهد من الفيته تكون لنا في الوقت نفسه مقتطفات تعرفنا على اسلوب الرجل وطريقته في تقعيد قواعد النحو . فحديثنا عن اسلوبه في هذه الالفية انما هو مقتطفات من الفيته بالدرجة الاولى ، وملاحظات حول اسلوب الرجل وطريقته . ان اسلوبه في الالفية واضح في أغلب الاحيان ، سليم من الاخطاء اللغوية ، الا انه قد يغمض في بعض الاحيان عندما يريد أن يحمل النظم من القواعد اكثر مما يطبق .

وغالبا ما يصادفه التوفيق فى صوغ القاعدة صياغة محكمة :

ومعرب الاسماء ما قد سلما
من شبه الحرف كارض وسما

وفعل امر ومضي بنيا
واعربوا مضارعا ان عريا

من نون توكيد مباشر ومن
نون اناث كيرعن من فتن

فهو يبدا القاعدة فى شطر من بيت ليتممها فى شطر بيت ءاخر ، فاذا فرغ من القاعدة اكمل النظم بمثال موضح للقاعدة كما فى البيت الثالث هاهنا .

ويحرص فى بعض الابيات حين ينظمها على ان يثبت سعة اطلاعه على القواعد النحوية وعلى شواهدها :

وقبل يا النفس مع الفعل التزم
نون وقاية وليسي قد نظم

مشيرا بذلك الى قول الشاعر :

عددت قومي كعديد الطيس
اذ ذهب القوم الكرام ليسي

وقد يعتقد ابن مالك بنظرية خلافا لجماعة من النحويين ، فلا يساعده النظم على نسبة النظرية الى اصحابها واثبات مخالفته لهم فيها فيكتفي بايراد الحكم مطلقا :

ورفعوا مبتدا بالابتدا
كذاك رفع خبر بالمبتدا

فهو ها هنا قد خالف الكوفيين الذين يجعلون المبتدا والخبر مترافعين ، بل قرر الراي الذى يفضله هو ، ومضى دونما اشارة الى راي مخالفيه .

ونلاحظ تاثره ببعض الاساليب الفقهية حينما يقرر بعض قواعد كلية فى اسلوب فقهي مشرق كما فى قوله :

ولا يجوز الابتدا بالنكرة
ما لم تفد كعند زيد نمرة

وقوله :

والاصل فى الاخبار ان تؤخرا
وجوزوا التقديم اذ لا ضررا

فالطابع الفقهي واضح في قوله « لا يجوز ، وجوزوا ، وفى ما لم »

وهو عندما ينظم القاعدة يكون مستحضرا لها ولشواهدها فى ذهنه ولما قد يجري حولها من مناقشات :

وبعد، لولا، غالبا حذف الخبر
حتم ، وفى نص يمين، ذا استقر

احترز بقوله غالبا من ان تأتيه بشواهد من مثل قوله عليه السلام « لولا قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة » فالخبر هاهنا لم يحذف ، وقد كان ابن مالك حينما قرر القاعدة ولم يتركها على اطلاقها ، يعني جيدا ما يقول ، بل لعله كان يشير بذلك الى هذا الحديث وامثاله من الشواهد التى لم يحذف فيها الخبر بعد لولا .

ونجد له بعض ابيات بلغت حد الروعة فى النظم والاختصار والوضوح والابانة ، قال يتحدث عن ان ، المخففة :

وخففت ان فقل العمل
وتلزم اللام اذا ما تهمل

اشارة الى اللام الفارقة التى تميز ان المخففة من ان النافية عندما تهمل ان المخففة ، ويستغني عن اسمها وخبرها . . واغلب قواعده يقررها مبسطة، موجها الخطاب لقارئه بفعل الامر احيانا او بالمضارع المبني للمجهول او الماضي كان يقول : انصب بكذا ــ اجزم بكذا ــ يحذف ــ ورفعوا . .

بعض وبين وابتديء فى الامكنة
عن وقد تاتي لبدء الازمنة

وزيد فى نفي وشبهه فجر
نكرة كما لباغ من مفر

فقد اورد اكثر معاني حرف الجر (من) فى بيت واحد غاية فى البساطة والايجاز .

واستمع اليه يحدثك عن معاني اللام من احرف الجر ايضا :

واللام للملك وشبهه وفي
تعدية ايضا وتعليل خفي

وانظر اليه كم حشر من المعاني للباء فى بيت واحد فقط :

بالياء استعن، عد، وعوض، الصق،
ومثل مع ومن وعن بها انطق

ان ابن مالك كما رأينا عالم جماعة ليس له في القواعد الا فضل الالمام بالاقوال المختلفة في القاعدة الواحدة ذلك الالمام الذي كون لديه ملكة ترجيح الاقوال بعضها على بعض وقوة التوفيق بينها ان وجد الى ذلك سبيلا ، ولكنه لا يتقيد براي أو مذهب ، فاستمع اليه يقرر هذين القاعدتين في عذوبة ولين :

– ونعتوا بمصدر كثيرا
فالتزموا الافراد والتذكيرا

– ترخيما احذف آخر المنادى
كياسعا فيمن دعا سعادا

فان كان هنالك من غموض في بعض قواعده ، فانما سببه الافراط في الايجاز والاختصار، وطبيعة النظم التي يقيدها الوزن ، وتحكمها القافية.

وما اكثر ما نجد حروف العطف في ارجوزته هذه ، وان كانت كثرتها غير مذمومة في الاسلوب العربي ، فهو لا يستغني عن هذه الواو حتى عندما ياتي على نهاية الفيته قال :

وما بجمعه عنيت قد كمل
نظما على جل المهمات اشتمل

قيمتها :

لقد ذاع صيت الالفية شرقا وغربا عند علماء هذه الامة وطلابها ، والى عهد غير بعيد كان الطلاب يحفظونها ، ويتعلمون شرحها ، وقد اعتنى بها العلماء العرب فتولوها بالشرح المستفيض ، والتعليق والاعراب ، والتلخيص ، والاختصار ، وتحويلها الى نثر .. وقد كثرت شروح الالفية بالشواهد الكثيرة من القرءان الكريم ومن الحديث ومن اشعار العرب ، فمن هذه الشروح شرح المرادي ومنها ايضا شرح العلامة ابن عقيل الذي يستشهد عليها بكلام العرب ومنها شرح العلامة المكودي الفاسي من علماء القرن التاسع، وقد استوفى في شرحه المغنى والاعراب ، وهذه الشروح كلها طويلة مستفيضة غنية بالشواهد غنى مفرطا في الطول والاستفاضة . على ان احسن هذه الشروح ، واخصرها واقربها الى الشرح العلمي ذلك المنسوب لابن المؤلف بدر الدين والمعروف بشرح ابن الناظم .

وزاد اهتمام الناس بالالفية في العصر الحاضر عندما اقبل عليها المستشرقون يترجمونها الى لغات حية معاصرة ، بل ان من هؤلاء المستشرقين من كان يحفظ الالفية كلها حفظا ، وقد ترجمت بأجمعها الى اللغة الفرنسية واللغة الايطالية .

تلك هي الالفية في ماضيها وفي حاضرها ديوانا من دواوين النحو العربي استطاعت ان تجمع شارده ، وتقربه الى الحفظ والافهام .

ب – تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد

تعريفه :

هذا الكتاب في النحو الفه ابن مالك في دمشق بعد ان تم نضجه واطلاعه على ءاراء مختلف المذاهب النحوية في المشرق وفي المغرب ، ولعله ءاخر كتاب الفه ، اذ انه تولاه بالشرح الى ما يقرب من نصفه ، ثم عاجلته المنية ولم يتمه بالشرح والتعليق .. ويقال ان هذا الكتاب تلخيص لكتاب آخر له بعنوان «الفوائد» وقد اتيح لهذا الكتاب ان يطبع مرتين اولاهما بالمطبعة الميرية بمكة سنة تسع عشرة وثلاثمائة والف 1319 والثانية بفاس بعد هذا التاريخ بأربع سنوات ، والطبعتان قديمتان لم يراع في نشرهما التحقيق العلمي ولا الفهارس حتى ولا الفواصل .

اقسامه :

كتاب التسهيل قريب من ثمانية وسبعين بابا في النحو ، وفي التعريف ، أولها « باب شرح الكلام، وما يتعلق به» وءاخرها «باب الهجاء» ، ويكاد المؤلف يتبع فيه الترتيب نفسه الذي مضى عليه في الفيته ، الا انه ها هنا قد اضاف بعض الابواب لاهميتها ، ولان الكتاب مؤلف في النثر ، فهو يستطيع ان يتسع فيه ما يشاء .. ويكاد يكون تحت كل باب فصل او أكثر من فصل يتحدث فيه المؤلف عن فروع ذلك الباب، واذن فلا حاجة بنا الى اعادة ما قلناه في تقسيم الالفية لان منهج الرجل في الكتابين يكاد يكون واحدا من حيث الترتيب والتبويب والتنظيم ، الا ان الفارق الوحيد بين المؤلفين ان احدهما كتب نظما والآخر كتب نثرا .. وهنالك فارق ءاخر فكري يتعلق ببعض آراء ابن مالك في النحو كان يراها في الالفية ، فاذا هو يرى

غيرها، ويخالف نفسه في مؤلفه الجديد ، وان كان ذلك يدل على شيء ، فهو ان الرجل باحث في النحو ومعلم فيه ، يبحث عن القاعدة وشواهدها ودلائلها ، ثم لا يتردد في قبول القاعدة متى توفرت لديه شروط قبولها .

اسلوبــه فيـــه :

لقد كان ابن مالك بحق في هذا الكتاب معلما في النحو ، فمع انه الفه في النثر فلقد كان يراعي فيه الجزالة مع الايجاز ، ليسهل حفظه على الذين يريدون ان يحفظوه ، لذلك كانت صفحات الكتاب لا تتجاوز المائة مع انه عالج فيه سائر قضايا النحو العربي .. لقد كان يقعد القواعد ويقررها واثقا منها غير متردد فيها ، ولا محتاج الى دليل يورده عليها (الا في النادر) لان الادلة كانت تتراءى له او تجري على لسانه وهو يؤلف هذه القواعد وينظمها ، كانت شواهده وادلته حاضرة امام عينيه من القرءان او من الحديث او من اشعار العرب ، فلا يدونها لئلا يطيل .

وابن مالك هنا في التسهيل كما هو في الالفية جماعة واع لا يتقيد بمدرسة او بمذهب ، فقد كان يعلن ذلك صراحة في عبارات من امثال قوله « خلافا لمن زعم ذلك » « خلافا للكوفيين » ووفاقا للفراء او سيبويه الى غير ذلك من التعابير المفيدة اعتزازه بنفسه وثقته بسعة استيعابه وجمعه ، وحري بمن كان واسع الاستيعاب والاطلاع الى هذا الحد ان يفخر ويعتز ويثق بنفسه .

ولقد كانت التعابير الفقهية مسيطرة على كتابه هذا ، لانه كان يتوخى فيه الايجاز والتلخيص فكان المعنى احيانا يدق ويغمض ويخفى حتى لكأنك تقرأ طلاسم او رموزا ، ومن اراد امثلة على ذلك فليقرأ « باب الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر الداخل عليهما كان » فسيجد احكاما قصيرة متبوعة بتعليلات كثيرة متتالية متلاحقة متداخلة يضيع معها الانسان .

وقد كان ابن مالك يحاول في كل باب ان يضبط تعاريفه ويدققها حتى يخرج من التعريف كل ما ليس من المعرف ، ومن هنا كانت التعاريف التى يسوقها في بعض الاحيان صعبة ومعقدة ، على ان التوفيق كان يحالفه في بعضها الآخر .

واحب هنا ان اسوق بعض امثلة من التسهيل تؤيد هذه الملاحظات ، وتبين عن بعض الظواهر الاسلوبية التى تميز بها كتاب التسهيل ، فاستمع اليه يقرر قاعدة جمع المذكر السالم ، في ثقة تامة : فصل ، يجمع بالالف والتاء قياسا ذو تاء التأنيث مطلقا ، وعلم المؤنث مطلقا ، وصفة المذكر الذى لا يعقل ومصغره ، واسم الجنس المؤنث بالالف ان لم يكن فعلى فعلان او فعلاء افعل ، غير منقولين الى الاسمية حقيقة او حكما ، وما سوى ذلك مقصور على السماع » .

ثم نلمح اثر التعابير الفقهية في مثل قوله : « فصل الموصول والصلة كجزئي اسم ، فلهما ما لهما من ترتيب ،ومنع فصل بأجنبي الا ما شذ ، فلا يتبع الموصول ، ولا يخبر عنه ، ولا يستثنى منه قبل تمام الصلة او تقدير تمامها . »

هذا ونلاحظ ندرة الشواهد في الكتاب ، الا اذا قرر قاعدة فيها شبهه ، فيورد الشاهد مختصرا كما في قوله يتحدث عن (ان) المخففة : « ولا يليها غالبا من الافعال الا ماض ناسخ للابتداء ، ويقاس على نحو « ان قتلت لمسلما » خلافا للكوفيين وللاخفش ولا تعمل عندهم ، ولا تؤكد بل تفيد النفي ، واللام الايجاب » .

واستمع اليه وهو يجتهد في صوغ تعريف جامع مانع للمفعول معه : « وهو الاسم التالي واوا تجعله بنفسها في المعنى كمجرور مع ، وفي اللفظ كمنصوب معدى بالهمزة ، وانتصابه بما عمل في السابق من فعل او عامل عمله، لا بمضمر بعد الواو خلافا للزجاج ، ولا بها خلافا للجرجاني ، ولا بالخلاف خلافا للكوفيين ، وقد تقع هذه الواو قبل ما لا يصلح عطفه خلافا لابن جني ، ولا يتقدم المفعول معه على عامل المصاحب باتفاق ، ولا عليه خلافا لابن جني .. » فهو لا هم له الا ان يثبت باعه ومخالفته لابن جني ولغير ابن جني، ثم لا عليه بعد ذلك ان ركز العبارة وحسن الاسلوب ام لا ؟..

وعندما تحدث عن اللام من احرف الجر ذكر بعض شواهد عليه مما يجعلنا نحار كيف نعلل ذكر هذه الشواهد هاهنا من دون سائر الكتاب قال : « وتزاد (أي اللام) مع مفعول ذي الواحد قياسا في نحو قوله « للرؤيا تعبرون » و « ان ربك فعال لما

يريد » وسماعا في نحو قوله : « ردف لكم » فكأنه ساوره في هذه القاعدة شك ، فهو يثبت لها شواهدها او كأني به انفرد فيها برأي .

ولا ينسى ان ينبه على ملازمة (وحده) للاضافة، فيجعله : « لازم النصب والتذكير وايلاء ضمير : فجعله منصوبا على الاضافة ، وقد كان سيبويه ينصبه على الحال .

ولا يكتفي بتقرير القاعدة بل يدحض ما خالفها زيادة في الاعتزاز بعامه : « برفع المضارع لتعريه من الناصب والجازم لا لوقوعه موقع الاسم خلافا للبصريين » .

واذا ذكر الحكم في مناسبة وجاءته مناسبة اخرى لا يأنف من تقريره واعادته كما فعل في قاعدة اجتماع شرط وقسم (اذ الجواب للمتقدم) ، فنجد لها ذكرا في باب القسم وعند الكلام على ادوات الشرط الجازمة .

هذا واخطاؤه في اللغة قليلة منها ادخاله لا النافية بين قد والفعل المضارع مع انه هو نفسه يقرر هذه القاعدة في الصفحة 66 من كتابه بقوله « ولا ينفصل من احدهما بغير قسم » فاذا هو يفصل بينهما بلا النافية مرات ثلاثة في الصفحات 61 ، 64 ، 80 اذ يقول فيها على التوالي : « وقد لا يصرف » « وقد لا يجزم بها » « وقد لا يستغني » وهي اخطاء بسيطة ما كنا لنواخذه بها لولا انه اشار الى القاعدة نفسها في موضعها من كتابه ، اذ كان اولى به الا يخرج عنها » .

قيمته :

لم يقل اهتمام العلماء بكتاب التسهيل عن اهتمامهم بالالفية ، الا ان الالفية كانت نظما وفي متناول الطلاب ، وقد حاول ابن مالك ان يجعل كتابه مبسطا سهل الحفظ الا انه اطال فيه وافاض في ذكر الخلافات في المسالة الواحدة مما جعل فائدة الكتاب محصورة في المتخصصين والعلماء المهتمين بذلك ، وقد شرحه المؤلف نفسه فلم يتمه فأكمله ابنه بدر الدين ثم شرحه العلامة اثير الدين محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الاندلسي ، وقد علمنا انه كان من المنكرين على صاحبنا طريقته في الاستشهاد بالحديث الشريف ..

ان قيمة هذا الكتاب واهميته ترجعان الى استيعابه اكثر ءاراء النحاة منسوبة الى اصحابها بدقة وعلى وجه التفصيل .. ومن ثم فالكتاب يطلعنا على طريقة ابن مالك الخاصة ومذهبه في النحو هذه الطريقة الفريدة وذلك المذهب الذي اعتمد على اطلاع واسع وعلم وافر ، ولم يتقيد بمذهب من مذاهب البصرة او الكوفة ، ولا بنظرية للمتقدمين او المحدثين .

* * *

ذلك ابن مالك معلما في النحو ، وتلك طريقته ، وذلك مذهبه بين النحاة : فكر نقي ، ونبوغ فريد ، وعبقرية عربية خالدة ، نمت بذورها في المغرب ، واينعت ثمراتها في المشرق .

الرباط ـ عبد الله الكامل الكتاني

مذكرات حديثية

للأستاذ حسن السائح

هذا فصل من كتاب (فى الطريق) الذي يصف قصة حياة دراسية ومعالم توجيهية ، فهو ليس بسرد قصصي على نهج كتاب الايام لطه حسين ، او زهرة العمر لتوفيق الحكيم ، او حياتي لاحمد امين ، وليس ترجمة ذاتية على غرار ما كتب كثير من الكتاب، وانما هو تخطي للحياة المألوفة الى اختيارات ودوافعها والظروف التي املتها ، وسأنقل منه فصلا عن الدراسة الحديثية حيث يلقي نظرة على اسلوب دراسة الحديث المتبعة فى بلادنا ، ومحاولة البحث عن أسلوب جديد اكثر فعالية للاستفادة من هذا النبع المعين ..

ولقد كانت دراسة الحديث بالقرويين عندما كنت طالبا بها لا تتجاوز حفظ بعض الاحاديث كالاربعين النووية فى الابتدائي ، ثم دراسة البيقونية فى مصطلح الحديث ، وكتاب مفتاح السنة ، والفية السيوطي بالنسبة للثانوي . اما العالي فلم تكن حصة الحديث فيه قوية بالاضافة الى ضياعها فى غمرة المواد الفقهية واللغوية والاصولية مع نقص فى تنسيق أساليب التعليم التي تختلف بين الاستاذ والآخر ولكن ذلك كله لم يمنعني أن أترس الوقت لدراسة علوم اللغة والآلة وحفظ شيء غير قليل من الاحاديث واسانيدها مؤملا أن اصبح فى يوم من الايام ، فى عداد المحدثين ، وسواء كان ذلك عن دافع غريزي تلقائي ، او كان عن تهيؤ واستعداد فلم يكن مطمحي الا ان أكون من المحدثين ، ولذلك كان علي أن اعمل جاهدا لاحصل على الحديث عن طريق الرواية وطريق الدراية ، فاعتمد على الفن ورجاله ، وعلى مصادره وكتبه ، اما شيوخه فقد اتيح لي ان اتصل بمحدثين كبيرين وحافظين مشهورين ، كانت صلتي باولهما قوية متصلة ، فكنت ادارسه الحديث وعلومه فى الكلية والمنزل ، وكان يمنحني من علمه بسخاء ، واما الثاني فقد كان مكان اقامته بعيدا عني ، ولذلك كانت صلتي به قليلة وغير منتظمة ، فكنت أدون ما يعن لي من مشاكل وقضايا تتصل بعلم الحديث وابحاثه فأساله عنها ، عندما كان يتاح لي الاتصال به وكما أعتمدت على شيوخ الحديث أعتمدت على كتب هذا الفن العظيم ، وما أكثرها ، ومن حسن الحظ اني حصلت على خزانة حديثية مهمة ، وسعيت جهدي ان اجعل من كتب الحديث ادواتي وعتادي ، غير اني شعرت وانا ادرس هذا الفن بحاجة ماسة الى البحث عن طريقة جديدة لم يألفها المحدثون والمفسرون من قبل ، وقد بسطت هذا المنهاج فيما بعد فى كتاب (الاسلام دعوة خالدة) الذي نشرت فصولا منه فى كثير من المجلات ولم يتح لي بعد ان انشره كاملا . وكان علي لاحقق هذا المنهج الجديد ان ادرس اللغة وآدابها ، وعلوم الاجتماع والفلسفة والاخلاق لاستطيع دراسة البيئة الحديثية واثر دعوة الحديث الشريف والقرءان الكريم فى المجتمعات ومختلف الآراء . وهذا ما صرفني عن التخصص فى الحديث وعلومه الى مباحث اخرى ، ومع ذلك فقد بقيت صلتي قوية بكتب الحديث لان خزانته كانت هي عتادي ونبعي الذي انهل منه كما قلت .

وعلم الحديث يعتمد على الحفظ والضبط ، والفهم والاستنتاج ، ومما زاده قوة ان العناية به كانت بحفظه عن طريق الرواية والاخذ عن الشيوخ فكان اول من جمع الاحاديث الربيع بن صبيح ، وسعيد بن ابي عروبه ، ثم جاء الامام مالك فصنف الموطا بالمدينة ، كما صنف الاحاديث عبد الملك بن جريج بمكة ، وعبد الرحمن الاوزاعي بالشام ، وسفيان الثوري بالكوفة ، وحماد بن سلمة بالبصرة . . وهؤلاء هم عمدة التصنيف الذي جمعوا الاحاديث كمادة خام ، حتى جاء كثير من المتخصصين من بعدهم ورتبوا الاحاديث ، كل حسب اتجاهاته، فمنهم من رتبها على المسانيد كالامام احمدبن حنبل، واسحاق بن راهويه ، وابي بكر بن شيبة ، واحمد بن منيع ، والحسين بن سفيان ، ومنهم من رتبها حسب العلل بأن يجمع فى كل متن طرقه واختلاف الرواة فيه حتى يتضح الارسال والوقف فى المرفوع ، ومنهم من رتبه على الابواب الفقهية وعلى راس هؤلاء الشيخان وغيرهما ، ومنهم من لم يتقيد بذلك كباقي كتب السنة (1) . . .

على ان اول من صنف فى الصحيح هو الامام البخاري وتبعه مؤلفو الصحاح ، وبعد ذلك ظهرت فكرة المنتخبات الحديثية كالمؤلفين الذين اقتصروا على الاحاديث المتعلقة بالترغيب والترهيب ، وكالذين حذفوا الاسناد ، واقتصروا على المتن فقط كالبغوي واللؤلؤي ، وتجاوز المحدثون هذه الموضوعات الى الاصطلاحات الحديثية او الكلمات التقنية الحديثية كما نقول اليوم ، والف فى ذلك القاضي الرامهرمزي والنيسابوري والحافظ البغدادي والقاضي عياض واوجب المحدثون فى قراءة الحديث الاعتناء بضبطه وشكله ، بل كان المحدثون يلزمون المبتدىء بشكل الحديث والسند كما نصنع اليوم فى دروس الآداب حيث تخصص ساعات لشكل القطعة ، مع الاعتماد على النسخ المشهورة بالضبط كنسخة اليونيني بالنسبة لكتاب البخاري ، ولا بد من مقابلة النسخ مع بعضها للتحقق . وللمحدثين اصطلاحات بيداجوجية فى الشكل كالتصحيح الذي يشار اليه بكتابة (صح) أي صح رواية ومعنى ، وكذلك (التضبيب) أو (التمريض) وهو خط أوله كراس الصاد اذا كان ثابتا نقلا فاسدا لفظا أو معنى ، وهو المعبر عنه فى التصحيح الجديد بـ (كذا) . وكذلك يستعمل حرف (الحاء) للتحويل من اسناد الى آخر ، ثم لا بد ان يتصل السند وذلك

ان يكتب فى اول الحديث الموالي (وبه قال) حدثنا للدلالة على اسناده الى صاحبه فى كل حديث .

وطريقة اخذ الحديث وما يعبر عنه بالتحمل هي السماع والاجازة بالمناولة ، والاجازة لمعين ، والكتابة ، والاعلام ، والوصية ، والوجادة ؛ وقد حظوت باجازة المناولة لمعين ، وهي اعلى طرق الاجازة ، ولذلك اروى البخاري بعد دراسة المتن وتصحيحه بروايات متعددة ولعل الرواية التي اعتز بها هي الرواية عن الشيخ ابى شعيب الدكالي ورواية اخرى عن العلامة القادري .

والرواية بالاسناد أهم ما يقوي الثقافة الدينية كما فيها من ضبط وتحقق ، بل ان الرواية من خصائص الثقافة الاسلامية ، ولهذا فقد قال عبد الله بن المبارك (الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء) وقال ايضا (بيننا وبين القوم القوائم) يعني الاسناد ، وفى كتاب توجيه النظر الى اصول الاثر لطاهر بن صالح ابن احمد الجزائري الدمشقي دراسة مركزة عن الرواية واصولها وطرقها ونقدها ، وهذا الكتاب من أهم ما يجب على طلب الحديث الاهتمام بدراسته والاعتماد عليه ، فهو حجة وطالما تناوله المحدثون بطريقة الرواية .

على ان اهم الكتب الحديثية التي يعتمدها المتخصص هي الكتب الخمسة وهي : كتاب البخاري ومسلم وابى داود والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه تصبح الكتب الحديثية ستة، وشروحها المشهورة كابن حجر والقسطلاني والعيني ، وسانقل من مصادر كتب الحديث طريقة تقسيم كتب الخزانة الحديثية حيث جمعت الكثير من هذه الكتب للاستفادة فيما اقصده لتحقيق الحديث وضبطه والكشف عن جوانبه الفقهية والاجتماعية والتشريعية ، ومن حسن الحظ ان المحدثين اهتموا كذلك بالخزانة الحديثية وتركوا لنا تفاصيل عنها وعن طريقة الاستفادة منها ، وقد ترك المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (الرسالة المستطرفة) فى هذا الموضوع وتختلف الكتب الحديثية حسب الموضوعات؛ حيث سأروي عنهم تفاصيلها ، فقد تكون هذه الكتب فى دراسة شيوخ الحديث من الحفاظ المشهورين المكثرين كأحاديث سليمان بن مهران لابى بكر الاسماعيلي ، واحاديث الفضل بن عياض التميمي للنسائي ، واحاديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري لابى عبد الله محمد ابن يحيى بن عبد الله بن خالد بن

---

1) راجع نيل الاماني لعبد الهادي الابياري

فارس النيسابوري المتوفى سنة سبع وخمسين ومائتين وتسمى ايضا (بالزهريات) جمع فيها حديث ابن شهاب وكان من اعلم الناس بحديثه (2) . وتوجد كتب من رواة بعض أئمة الحديث او غرائب حديثهم ككتاب تراجم رواة مالك للخطيب البغدادي ذكر فيه من روى عن مالك الامام فبلغ بهم الفا الا سبعة وزاد عليه غيره كثيرا، والتمهيد (3) لما في الموطأ من المعاني والاسانيد لابي عمر بن عبد البر ، فانه ترجم فيه لرواة مالك في الموطأ على حروف المعجم مع الكلام على متونها واخراج الاحاديث المتعلقة بها باسانيده ، ومن المشهور عند المحدثين ما قاله فيه ابن حزم (لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف احسن منه) وكذلك كتاب غرائب مالك في الاحاديث الغرائب التي ليس في الموطأ للدار قطني .. ومنها كتب في تواريخ الرجال واحوالهم كتاريخ البخاري الكبير الذي جمع فيه اسامي من روى عنه الحديث من زمن الصحابة الى زمانه فبلغ عددهم نحو من اربعين الفا ، وينقل المحدثون ما قاله السيوطي عنه من انه لم يسبق اليه ، ومن الف بعده في التاريخ او الاسماء والكنى فعيال عليه .

اما كتب المعاجم ، اي التي تذكر الاحاديث على ترتيب الصحابة او الشيوخ او البلدان أو غير ذلك ، فغالبا ما تكون مرتبة على حروف المعجم ، كمعجم الطبراني الكبير المؤلف في اسماء الصحابة الذي قال فيه ابن دحية هو اكبر معاجم الدنيا، والمحدثون ، اذا اطلقوا (المعجم) فهم يعنونه ، اما الاوسط فقد الفه في اسماء شيوخه وهو قريب من الفي رجل ومنها كتب الطبقات وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ واحوالهم ورواياتهم طبقة بعد طبقة الى زمن المؤلف كالاصابة ، وهو كتاب مشهور ومنها كتب المشيخات (4) ، وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف واخذ عنهم او الذين اتصل بهم واجازوه بمروياتهم كمشيخة الحافظ ابى يعلى الخليلي ومن بين الكتب الحديثية ذات التخصص (كتب الامالي) وكتب الامالي يراد بها ما كان يلقيه المحدث على طلابه من محاضرات فهي جمع املاء فقد كان المحدثون في القديم يخصصون يوما في الاسبوع لالقائها في المسجد الاعظم في الغالب ويملي المحدث الاحاديث فتلتقط عنه بطريقة خاصة ، وهي (كما يقولون) ان يكتب المستملي في اول الاملاء هذا مجلس املاه شيخنا بجامع كذا يوم كذا من كذا ثم يورد بعد ذلك المملي باسانيد الاحاديث والاثر فيفسر الغريب ويعلق على ذلك بالاستطراد والسرد للمتعلقات كما جاءت تفاصيل ذلك في كتب الحديث (5) . ومن كتب الحديث ذات التخصص كتب العوالي ، ككتاب العوالي للاعمش ، ومنها كتب الاطراف التي يقتصر فيها على طرف الحديث الدال على قضيته مع جمع لاسانيده ، اما بطريقة التقيد او بطريق الحصر او الاستيعاب ، ومنها كتب الزوائد كزوائد سنن ابن ماجة على كتب الحافظ الخمسة للشهاب المسمى مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ، ومنها فوائد المنتقى لزوائد البيهقي في سننه الكبرى على الكتب الست كما جاء ذلك في كتب الحديث (6) .

ومن كتب التخصص كتب الجمع في بعض الكتب الحديثية كالجمع بين الصحيحين للصاغاني المسمى بمشارق انوار النبوية في صحاح الاخبار المصطفوية ومن كتب التخصص كتب احاديث الافراد ، وهي اما عن فرد مطلق اي ما انفرد به كل احد من الثقاة بحيث لم يرو تلك الاحاديث احد غيره واما عن الفرد النسبي اي لم يروه الا اهل بلدة كعلماء البصرة مثلا او تفرد به رواية عن راو آخر معروف مثله ، وقد يكون مرويا من وجوه اخرى كما ذكر ذلك في كتب الحديث (7) .

وان هذه الكتب لا بد منها لتكون اساس الدراسة الحديثية بيد المتخصص واساس هذه الكتب هي الكتب الصحاح الست ، كما ذكرت وهي صحيح البخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ، واهم الشروح كفتح الباري والقسطلاني والعيني ويسمي المحدثون كتب الحديث المرتبة على الابواب الفقهية بالسنن ، حيث تبدأ بالايمان والطهارة

---

2) انظر الرسالة المستظرفة .
3) طبعت بعض اجزائه بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب .
4) الرسالة المستظرفة .
5) انظر الرسالة المستظرفة ، وتوجيه النظر .
6) نفس المصدر ، ونيل الاماني .
7) نفس المصدر .

الى آخره وليس فيها الموقوف لان الموقوف لا يسمى سنة وانما يسمى حديثا، والسنن المشهورة هي كتب السنن الاربع وسنن الشافعي، وكتاب السنن للامام أحمد (8).

وكذلك توجد كتب المسانيد وهي كتب تجعل حديث كل صحابي على حدة سواء كان صحيحا او حسنا او ضعيفا ويرتب حروف الهجاء باسماء الصحابة حسب اسمائهم او قبائلهم او استبقيتهم الى الاسلام او شرفهم وفيها من تقتصر على حديث واحد كمسندات أبي بكر او احاديث جماعة كمسند الاربعة، او مسند العشرة، او مسند المكثرين والمقلين، او من الذين نزلوا بمصر او البصرة او المدينة، الخ. وبجانب كتب الحديث لن يستغني الطالب عن كتب اصطلاح الحديث او (مصطلح الحديث) كما يسمونه، وهو مقدمة الى دراسة هذا الفن، وكما كان على طالب النحو ان يحفظ الالفية لابن مالك فان على طالب الحديث ان يحفظ عن ظهر قلب الفية السيوطي، والفية العراقي، وان يكون على المام بمقدمة ابن حجر في مصطلح الحديث وقد جمعت في الالفيتين قواعد لا سبيل للاستغناء عنها على انه يمكن في مناقشتها في مستوى التخصص، وقد اصبحت اصطلاحات الحديث من صحيح وحسن ومعنعن ومسلسل وغير ذلك من اصطلاحات هذا الفن عند شعراء المحدثين لا تقل عن اصطلاحات الصوفية في اشعار شعراء التصوف.

وبالاضافة الى الخزانة الحديثية، كان لا بد من معرفة اساليب المحدثين في كتبهم، فمما يختاره البخاري في المسالة يؤخذ من الاشارة التي يودعها في الترجمة، كما اذا اطلق البخاري سفيان بعد الحميدي، او علي بن المديني فالمراد ابن عيينه. اما اذا ذكر سفيان بعد قبيصة بن عقبة فالمراد به الثوري، وعلى الطالب ان يعرف اصطلاحات المحدثين وتعابيرهم فمثلا النسخة عند المحدثين هي ان يروي الراوي عن نسخة بسند واحد جملة احاديث ولا يذكر فيها من قيد عليه السند الا في الاول، ومن الاصطلاحات معرفة امراء المؤمنين في الحديث التي تطلق دون شرح، وامراء المؤمنين هم ابو الزناد وشعبة بن الحجاج ومالك ابن انس وابو عبد الله البخاري، وكذلك على الطالب ان يعرف عادة البخاري في صحيحه فاذا اراد ان يفصل امثلة عن اخرى، اتى بباب عن المترجم به، اما اذا عنى به غيره، فيفصل بمناسبة لما قبله، وكذلك لا بد من معرفة نقاد الحديث المعروفين بنقاد التعديل والتجريح كيحيى بن سعد القطان، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، ومالك بن انس، وابى عبد الله البخاري، فمن جرح عدل الرواية فلابد ان يبين السبب، ولو كان من اهل الحديث ضبطا وتحقيقا للسند والمتن..

من اهم كتب الحديث، الموطأ للامام مالك برواية محمد بن الحسين الشيباني صاحب ابي حنيفة، اذ ان رواة الموطأ جماعات كثيرة مختلفة وأكبرها رواية القعنبي، وروايات ابى مصعب، وللموطأ قواعدها فكان الامام مالك كثيرا ما ينسب فعل الشيء لابي بكر وعمر بعد ذكره مرفوعا ليفيد انه ليس بمنسوخ اذ الشيخان ادرى الناس بالناسخ والمنسوخ وخصوصياته عليه السلام. وهكذا نجد عدة قواعد واساليب حديثية مبثوثة في ثنايا كتب الحديث تؤلف الخزانة (الحديثية) واساليب التعليم الحديثي.

الرباط : حسن السائح

---

8) راجع توجيه النظر، وقواعد التحديث، وارشاد الفحول.

9) توجيه النظر.

بضعة مفاهيم عن الطبيعة الإنسانية

للأستاذ محمد الشوفاني

ليس من الميسور الحديث عن الطبيعة البشرية وكأنها موضوع محدد الاطراف لا يحتاج الا الوصف للاحاطة به ، فالطبيعة البشرية هي كل من طبع البشر ان يفعله ، والطبع البشري مليء بالمتناقضات، ولهذا فهو يفلت من التعيين والتحديد ، فمن طبيعة البشر الصدق ، ولكن من طبيعة البشر الكذب كذلك .. فالحديث عن الطبيعة البشرية قد يكون متعسفا لو اننا تناولنا اللفظ فى اطلاقه ، ولكن الامر قد يختلف لو اننا بحثنا عن ماهو «اساسي» فى الطبيعة البشرية .

واللفظ «اساسي» مثل اغلب اشاراتنا للموضوعات العقلية والروحية ، مأخوذ من العلاقات المكانية ، فهو يشير الى الخلاف بين قاعدة البناء الضرورية غير المتحركة نسبيا وبين مختلف الامكانيات التى يسمح بها الاساس لتأسيس الاجزاء الاخرى للبناية عليه ، وتشبيها بهذه الصورة، فان « القلق الاساسي » يمكن ان يعني القلق الذي هو جذر وبطانة كل انواع القلق الاخرى ، والطبيعة الاساسية لفرد او مجموعة من الناس عموما يمكن أن تعنى البنية التى يستند عليها كل طرف فى التعبير عن الذات. فاللفظ « اساسي » بهذا المعنى ينطبق على مزاج الفرد الخاص ، ولهذا فمحاولة اكتشاف الطاقات الاساسية ، والحدود والانحرافات والتوقعات لفرد ما تتم عن طريق الدراسات الانسانية بجميع انواعها ، فلا يمكن فهم شخص ما الا بتكوين صورة اساسية عن هذه البنية التى لوجوده .

وعلى الرغم من كل شيء يجب التنبيه الى ان الفهم الكامل غير ممكن بهذه الطريقة ، لان الفرد يعبر عن ذاته بطرق اكثر شمولا مما هو أساسي فى الطبيعة البشرية .

ان علم الاجتماع عندما يتحدث عما هو اساسي فى مجتمع ما انما يشير الى المميزات التى لبنية ذلك المجتمع سواء فيما يخص تركيبه الاجتماعي او فيما يخص طرقه الثقافية للتعبير عن نفسه ، ومن هنا نتجه نحو معنى ثالث «للطبيعة الاساسية للانسان»، وهو المعنى الانطولوجي «الخاص بمبحث الوجود». ورغم ان لفظ « انطولوجيا » يثير قلق كثير من الناس ، فاننا نعطي التعريف الانطولوجي للطبيعة البشرية فى ابسط صوره ، فالسؤال الانطولوجي هو السؤال الذى يقول : « ما الذي يجعل الانسان انسانا ويميزه عن بقية الكائنات الاخرى ؟ او ما هو نوع الوجود الذى يميز الانسان عن كافة الموجودات الاخرى ؟ ان كل طفل يملك جوابا عن هذا السؤال غير مصوغ عندما يعامل كلبه او قطته بشكل مخالف عن معاملته لصديقه ، اما الفلاسفة فقد نسوا ما كانوا عليه عندما كانوا اطفالا وصاغوا السؤال عن الطبيعة البشرية بشكل اكثر تعقيدا .

ان بعض الفلاسفة يقدمون حججا ضد قيام اساس للطبيعة البشرية تتلخص فى انه لا يوجد فى الواقع الا الافراد ، وان اجتماع فردانية الافراد وخصوصياتهم يجعل قيام مفهوم عام للطبيعة البشرية مستحيلا ، كما يقدمون الحجة التاريخية

القائلة بأن الطبيعة الانسانية تتغير فى التاريخ وانه فى بعض الاوضاع الخاصة كالشيوعية او الراسمالية تتشوه الطبيعة الانسانية الى حد لا يمكن الحكم عليها حكما سلميا ما دامت تلك الاوضاع سائدة ، اما ثالث الحجج فهي الحجة الوجودية والقائلة بأن الانسان حر فى ان يخلق نفسه ويوجهها الوجهة التى يختار ، الشيء الذى لا يمكن معه اقامة طبيعة بشرية واحدة ، سارتر يقول ان ماهية الانسان وجوهره تنبعان من وجوده .

والواقع ان هذه الحجج المقدمة ليست هي ذاتها الا برهانا على وجود طبيعة بشرية ، ولكنها كذلك تحذير عن اقامة نظرية سهلة وعامة عن الانسان . ولو اننا قمنا بملاحظة ذات خصائص علمية، ملاحظة تحاول فهم السلوك الانساني ، وتحاول تأويله ثم بناء مفهوم عن الانسان ، لوصلنا الى اكتشاف عنصر بنيوي فى اساس الطبيعة البشرية ، ذلك هو حريته المحدودة ، فهذه صفة تلحق بالانسان باعتباره انسانا وهي ليست متغيرة ما دام الانسان لم يتأخر نحو وضع سابق على مستوى الانسان ، غير ان هذه البنية غير المتغيرة تسمح بقيام كل تلك التغيرات التى تحدث فى السلوك الانساني .

والحرية الانسانية تتأسس على عنصرين هما الفرداتية والدينامية ، فهي تتحقق بشكل متفرد وتظهر من خلالها الذات الانسانية فى شكل لا يضاهي، ثم هي تخرج بالذات من محيطها المغلق نحو ابعاد ومنطلقات جديدة ، وعندما لا تكون الحرية الانسانية دينامية فهي تفقد اهم خصائصها . فالاتجاه نحو معطيات جديدة والتعبير عن الذات بشكل فردي صفتان تتكتلان لتشكلا بنية للطبيعة البشرية . لان الحياة الانسانية لا تغتني الا بالحركة الطموحة وبتجاوز الاحتياجات المعطاة للرغبة فيما يحتاج الى الجهد العقلي والعملي لنواله . ورغم ان الحرية الانسانية محدودة ، لان مصير الانسان يضعه فى مكان وزمان وظروف محدودة، فانه عن طريقها وحدهايحقق امتيازه ، انه يتجاوز محدوديته عن طريقها الى آفاق اللا محدودية . لهذا يمكن القول بان الحرية المحدودة هي اكثر الاوصاف احتضانا لاساس الطبيعة البشرية، وفيها يوجد ومنها ينبع مختلف انواع الخلق فى التعبير عن الذات وامكانية اغتراب الانسان عن ذاته، ورغم ان مجاوزة الذات والاغتراب عنها واقع انساني، فانه لا صلة له بالطبيعة البشرية ، انه واقع لا يمكن تجنبه ولكنه ليس ضرورة بنيوية لانه يمكن معالجته بواسطة القيم الروحية . وحيث ان القيم الروحية اليوم هي محط امتحان عسير من طرف الانسان الذى يحاول لا اجتياز العوائق التى تعترض وجوده فحسب، ولكنه يحاول اجتياز وجوده نفسه ، وكان وجوده مرض تجب معالجته ، فان القلق الانساني متمركز فى الذات الى الحد الذى يستوجب ان نطرح عنه السؤال : بأي معنى يمكن نسبة القلق الى الطبيعة البشرية ؟ انه ينسب اليها بقدر ما يكون الانسان الذى يجسم الحرية المحدودة هدما لقلق اساسي لانه مرتبط بالضرورة بحرية محدودة . ان القلق هو الادراك لعنصر اللا وجود ، اي ان القلق هو ادراك لنفي ما هو عليه المرء ، ادراك لعنصر المحدودية ، حضور من لا شيء وذهاب نحو لا شيء ، هذا بالطبع اذا غضضنا النظر عن التفسير الديني للمصير الانساني الذى يحل هذه الاشكال حلا دينيا ، يلحق بالانسان قيمة ويؤهله لغاية عليا .

ان القلق اساسي بقدر ما التناهي اساسي ، والقلق لا يمكن اخفاؤه ولا تجاهله فى المدى البعيد على الاقل ، خاصة لدى مواجهة الموت . ان القلق تعبير محايد عن كل ما هو محدود تعترض مصيره الآلام ثم الموت ، وليس هناك اي منهج فى العلاج النفسي يستطيع القضاء على هذا القلق لانه من اساس الطبيعة البشرية باعتبارها حرية محدودة انمايستطيع العلاج النفسي ان يفعله هو تحويل القلق المرضي وتنقيته الى مستوى القلق الاصيل الذى يجب قبوله كجزء منا والسيطرة عليه بقبوله . انه ليس تشويها ، ولكن الطبيعة الانسانية فى اساسها قلقة او بتعبير آخر، مدركة ومتنبهة لتناهيها .

ففي القلق الانساني ، على عكس قلق كل الكائنات الحية الاخرى ، يوجد دائما عنصر تكثيف هو الشعور بالذنب . ففي دعواتنا وصلواتنا نحن دائما «نطلب الله ان يغفر لنا خطايانا » وان يتولانا برحمته. ومن ضمن معاني الموت هناك معنى الحساب الذى سنواجهه فى زمان لاحق . وفى هذا المجال يطرح السؤال عن ما اذا كان قلق الشعور بالذنب متاصلا ام مرضيا عصابيا ؟ وهل يمكن القضاء عليه عن طريق العلاج النفسي ام يجب قبوله ثم السيطرة عليه عن طريق طلب الرحمة والغفران . لقد قررت نظرية الطبيعة البشرية ان الشعور بالذنب ذو ميزة وخاصية غير عصابية ولكنها تقبل امكانية تحويل الشعور

بالذنب عن طريق العلاج النفسي ، أي ارجاع القلق الى ادنى مستوى له .

ان الطبيعة الاساسية للانسان فى وصفهـا المقترح تعطي اجوبة على اكبر المشكلات التى واجهت قرننا ، كعدم الاعتقاد فى معنى للحياة ، وكتجربة الفراغ واليأس والعبث . فالحياة تكون مقبولة اذا كان المعنى مقبولا فى صميم اللا معنى . ان تجربة اللا معنى والفراغ واليأس ليست عصابية ولكنها واقعية ، لان الحياة تحتضن كل هذه العناصر ، فالتجربة لا تصبح عصابية او ذهانية (اضطراب عقلي يتسم باختلال الصلة بالواقع او انقطاعها) الا عندما تتلاشى القدرة على تأكيد الحياة عن طريق التحدي، اي عندما لا تصر الحياة على تماسكها « على الرغم من » كل ما يواجهها من صعاب . أما العناصر السلبية فيمكن ان تكون عواقب لطبيعة الانسان الاساسية ولحريته المحدودة ، انها واقعية ولكنها ليست ضرورية بنيويا ، لهذا يمكن السيطرة عليها عن طريق حضور قوة معالجة .

والآن نطرح سؤالا له علاقة بكل جوانب الوجود الانساني ، فما معنى المرض ؟ وما معنى الموت على ضوء الوصف الذى قدمناه لطبيعة الانسان الاساسية ؟ ان الجواب بالطبع هو ان الموت الجزئي، مثل الموت الكلي ينسب الى طبيعة الانسان الاساسية باعتباره حرية متناهية ومحدودة ، فكلاهما طبيعي ، وكلاهما ليس مدعاة ليأس مشروع، ولكن كليهما ، من ناحية اخرى ، لا يمكن للانسان ان يرغب فيه كجزء من طبيعته ، فالهروب الى المرض غريب عن الطبيعة البشرية مثل الالتجاء الى الموت والرغبة فيها . فارادة المرض وغريزة الموت كلاهما تعبير عن اغتراب الانسان عن طبيعته الحق، انهما حالة متصلة بالوجود الانساني لا يمكن تفاديها ولا تجاهلها ولكنهما ليسا جزءا من الطبيعة الانسانية. ان المرض والموت تلحقان بالطبع المتصف جوهريا بالتناهي ، ولكن تأكيدهما والهروب اليهما ما هو الا تشويه لاساس الطبيعة البشرية ، وما دامت هذه سائدة ، فان اثبات الانسان لذاته يقبل المرض والموت

فمن اين تاتي للانسان الشجاعة على ذلك ؟ ان القيم الروحية والدينية تزود الانسان بطاقة لا تنفذ من الصبر والرضى ، ولكن عندما تمرض هذه القيم ، وقد مرضت فى عصرنا اشد المرض ، فانه يتزعزع فى الانسان ركن من اهم اركان وجوده ، ولكن يبقى له الشعور ببعد التعالي الذى يرتفع بالانسان الى اكثر من مجرد آلة سيكولوجية معقدة ، ففى هذا البعد يبحث الانسان عن الجواب لسؤاله عن الطبيعة الانسانية فى عظمتها وانحطاطها ، ان الانسان اكبر من ان نقصره على الادراك السيكولوجي المحدود . ان محاولة فهم الطبيعة الانسانية وتعمقها لاستطلاع خباياها وتعقيدها هو نفسه جزء من الطبيعة الانسانية .

ان الحضور الانساني فى العالم حضور حي واع ومدرك ، وهو حضور ايجابي لا يتقبل فقط ويأخذ، ولكنه يؤثر ويعطي ، انه مشارك فى خلق الوجود ، والانسان عندما يدرك ضرورة مشاركته فانه يخفف بعض الشيء من قلق اللا معنى الذى يعتصره .

فمن اساس الطبيعة الانسانية الفعل والحركة ، والفعل أساس عملية بناء ، وعندما يستغل الانسان قدرته على الحركة والفعل استغلالا ايجابيا فانه يبريء نفسه من كثير من نقائص الوجود ، ويمهد نفسه للاكتمال ، وان كان ينتهي بالموت ، فانه يتصف بالرضى ، فماذا يبقي الانسان اكثر من ان يقبل وجوده ، وان يستقر وضعه ويسعد به ؟!

الرباط ــ محمد الشوفاني



للأستاذ : عبد القادر زمامه

232 ـ التشتري فى قلم السوداني (1) ...!

وصف الشيخ بابا السوداني ، الشاعر الاندلسي الصوفي التشتري الرحالة المتوفى سنة 668 هـ . نقلا عن الامام زروق :

« ... وقد استحسن مقطعاته جماعة من أهل الفضل كابن عباد وغيره . ووجد بالخاصية انها محفوظة من الفسقة ان يذكروها فى فسقهم ..!! ومن ذكرها كذلك اصابه بلاء يرفع الى قطع رقبته ..!!

« وهي محتوية على ثلاثة معان : تغزل . وهو اقل ما فيها .! وسلوك . وهو مستوفى فى بعضها . وفناء واحكامه ..! وقد نسج الناس على منواله كثيرا . فما ابرقوا ولا ارعدوا ..! ولا قاموا . ولا قعدوا .. الا من قل وندر .! لانهم ان اصابوا علما اخطأوا حالا ..! وبالعكس ..!! »

233 ـ حنت الطينة الى الطينة ..!

بعد الرحلات والرباطات التى قام بها ابو الحسن الششتري فى الاندلس والمغرب والجزائر وطرابلس ومصر والشام والحجاز رجع الى « دمياط »

« وهناك مرض وأحس بالنهاية ..! فسأل عن اسم المكان .! فقالوا له : الطينة ..! فتبسم وقال كلمته المشهورة : « حنت الطينة الى الطينة..! » ثم وصى أن يدفن بمقبرة دمياط . فحمله الفقراء على اعناقهم اليها ..! (2) »

234 ـ الششترية ..!

وجدت فى بعض الكناشات :

« كان من المالوف عند فقراء اهل الطرق فى تونس انهم اذا اجتمعوا فى حلقات الانشاد والسماع استعملوا « الششترية » وهي ءالة من ءالات الموسيقى كانت تساعدهم على انشاد المقطعات الشعرية الصوفية ... (ثم زاد قائلا)

« ولعلها منسوبة الى الشاعر الاندلسي الصوفي سيدي ابي الحسن الششتري » .

235 ـ فمن لم تأته منا اتاها

وجدت أبا سالم العياشي يتحدث في رحلته عن الشيخ الباقعة محمد بن اسماعيل ، الذى طوف

(1) نيل الابتهاج على هامش الديباج ص 202

(2) نفح الطيب بتحقيق احسان عباس ج 2 ص 187

ارجاء الدنيا شرقا وغربا ، مدعيا انه المهدي المنتظر ..!! وطامعا فى السلطة ..! المتوفى سنة 1064 هـ بتكورازن من بلاد توات ..!

انشد العياشي عند توديعه لما لقيه ءاخر مرة فى مدينة فجيج اوائل سنة 1064 هـ وطلب منه ان يعينه على ما هو بصدده فاعتذر العياشي ..!! (3)

مشيناها خطى كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطى مشاها

وارزاق لنا متفرقات
فمن لم تأته منا ، أتاها ..

236 ـ ابو العباس المقري يهيىء طعام الكسكس ..!

فى الرحلة العياشية ، لما نزل ابو سالم العياشي بمدينة غزة ، على الشيخ عبد القادر بن الغصين حدثه قائلا :

« قال له «للمقري» والدي يوما : يا سيدي احمد انا نشتهي الطعام عند المغاربة بالكسكس ..! فهل فى اصحابكم من يحسن صنعته ؟ فقال له : فيهم والله ..! لا يصنعه لكم احد غيري ! فأتيناه بشاة لحم ، ودقيق ، وسمن ، وما يحتاج اليه . فصنع لنا بيده طعام من اجود ما يكون من ذلك النوع (4)

237 ـ انكسرت رجله فى اللعب بالكرة ..!

وجدت فى نوازل القاضي أبي عبد الله محمد العربي بردلة المتوفى سنة 1133 هـ انه سئل :

« ما حكم الله فى رجلين تصادما فى لعب الكرة ..! وانكسرت رجل احدهما ..؟ »

وكان جواب القاضي ..

« ان المسألة لما كانت فى اللعب فلا قصاص فيها » . الخ .. (5)

238 ـ عن خلقة طارق بن زياد ..!

وجدت فى النصوص المنشورة من كتاب عبد الملك بن حبيب الالبيري المتوفى سنة 238 هـ من كتاب موسى بن نصير الى طارق (6) ..

« .. واعمد الى رجل طوال أشقر ..! بعينيه قبل ..! وبيديه شلل ..! فاعقد له على مقدمتك..! »

فلما انتهى الكتاب الى طارق ، كتب الى موسى:

« اني سأنتهي الى ما امرتني به ..! واما صفة الرجل الذى أمرتني به فلم اجد صفته الا فى نفسي ..!!! »

239 ـ جزيرة ام حكيم ..!

وجدت ابن عبد المنعم الحميري السبتي فى كتابه الروض المعطار يقول عن الجزيرة الخضراء الواقعة على مقربة من جبل طارق .. التى كانت معبرا لجيوش الفتح الاسلامي

« ويقال لها جزيرة أم حكيم . وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير . كان حملها معه فخلفها هذه الجزيرة فنسبت اليها . وعلى مرسى أم حكيم مدينة الجزيرة الخضراء (7) »

240 ـ ولو كان فوق هامة الاسد ..!

وجدت قطعة شعرية من نظم الشاعر الفاطمي الصقلي المتوفى بالحجاز سنة 1310 هـ جاء فى اولها :

« بينما انا راقد فى ليلة الاحد
اذ جاء ابليس لا يلوي على احد

---

(3) الرحلة العياشية ج 1 ص 41
(4) الرحلة العياشية ج 2 ص 306
(5) تفصيل السؤال والجواب فى نوازل بردلة ص 2 ومعلوم أن ملعب الكرة يوجد داخل باب فتوح بفاس
(6) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد المجلد الخامس العدد (1 ـ 2) سنة 1377 هـ 1957 م
(7) صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار ص 73

فارتعت من طلعة الشيخ اللعين وقد
جاءت تلامـذة له بـلا عـــدد

قال : انظروا ذا الذي جئت اليه بكم
لتنظروا فضله من غير ما فنـد

قالوا: اختبره لكي نرى طويته
فقال: اوتجهلون بيضـة البـلد

فقال لي: تشرب الجريال قلت له
نعم.! ولو كان فوق هامة الاسد.! »

241 ـ فـي طريانـة ..!

طريانة من كور اشبيلية بالاندلـس .. وبهـا سمي زقاق شهير بفاس ..! وفي هذا الزقاق يقول الشاعر احمد العزاني من اسرة بني عزانـة المتوفى سنة 920 هـ (8)

اذا كنت في فاس ولم تك ساكنـا
بطالعها الاعلـى فما انت في فـاس

بطريانـة طـارت همـومـي كلهـا
اذا شعشع الساقي ودار بأكـواس

242 ـ هل يحمل الزاد لدار الكريم ..؟

انشد ابن الابار في زوائد التكملة ليوسف بن احمد الانصاري من أهل بلنسية ، وسكن سبتـة : هذين البيتين : (9)

قالت لي النفس اتـاك الـردى
وانت في بحـر الخطايـا مقيـم

هلا اتخذت الزاد . قلت اقصري
هل يحمل الزاد لـدار الكريـم

243 ـ دار الفرج ..!

ذكر صاحب كتاب «الاستبصار» اعمال يعقوب المنصور الموحد في مراكش ثم ختمها بقوله :

« ومن بركاته ، وضع دار الفرج ..! في شرقي الجامع المكرم وهو مرستان المرضى . يدخله العليل فيعاين ما أعد فيه من المنازه ، والمياه ، والرياحين ، والاطعمة الشهية ، والاشربة المفوهة ، ويستطعمهـا ويسيغها فتنعشه من حينه بقدرة الله تعالى » (10)

فاس ـ عبد القادر زمامه

---

(8) درة الحجال ج 1 ص 91
(9) زوائد التكملة ص 181 مدريد 1915
والبيتان في « التشوف » ص 426 اثر ترجمة ابي العباس احمد بن خالص الانصاري ..!!
(10) الاستبصار ص 210 مطبعة جامعة الاسكندرية 1958

ديوان المجلة

بأية حال عدت يا عام ؟؟

للشاعر : محمد الحلوي

وداعاً ، وملء الحنايا اسى ... وداعاً ، وملء القضا ادمع
تشيع ايامك الحالكا ... ت وفى القلب نيرانها تلذع
وفى كل نفس مرارتها ... وغصتها الم يوجع
ثقالا مشت تتحدى الجبا ... ل ، كالموت اهوالها تفزع
سقتنا بأكؤسها كل صا ... ب ، وما زال فى كاسها جرع
كستنا من الذل البسة ... سيبلى الزمان ولا تخلع
فما فوق ذلتنا ذلة ... ولا تحت موضعنا موضع !!
عركنا الزمان وأهواله ... وداهمنا فيه ما يفجع
فلا كخطوبك خطب دهى ... ولا هول من فتكها افظع

* * *

دهى العرب خطب ترصدهم ... وهم فى المقاصير قد هجعوا !
صحوا ورحى الحرب تطحنهم ... وهبوا وقد هدر المدفع !
دهاهم واعداؤهم كتل ... وثاروا واهواؤهم شيع
فضاعوا وضاعت كرامتهم ... ففى ذمة الله ما ضيعوا !
وفى ذمة الله قدس النبـ ... ـي ومسجده المجتبى الارفع

تدنس اعتابه طغمة   تضج بارجائها البيع

محمد قرعهم في الكتا   ب وكابد من مكرهم يوشع

فلا دين موسى وشرعته   اقاموا ولا قوله اتبعوا

* * *

ولكن قومي من صرعوا   خطوب الزمان ولم يصرعوا

تحدى اباؤهم كل طاغ   وعز على الخصم ان يركعوا

سيعرف قومي طريق الخلا   ص اذا التحم الصف واجتمعوا

سيزحف قومي الى ارضهم   على الشوك يوما اذا ما دعوا

سنبني كما كان اجدادنا   ونصنع في المجد ما صنعوا

الى القدس عبر كتائبنا   وتحت البنود غدا ترجع !

مع الفتح كل حناجرنا   هتاف وكل نواقيسنا تقرع

تودع عاما الى مثله   وفي افقنا امل يلمع

فنيراننا تتحدى الاعا   دي فلا يستقر لهم مضجع

وأبطال يعرب قد سطروا   روائع ما خطها مبدع

لهم في العدا كل يوم مجا   ل وفي كل شبر لهم مصرع

مواكب للموت لا تتقى   وجند من الله لا يدفع

ستقطف صهيون ما غرست   ويجني المغيرون ما زرعوا

فلا يسكرن بنصر سرا   ب فعما قريب سينقشع

ستعرف صهيون اي غد   عليهم جحافلنا تطلع !

فكم صنع العرب من معجزا   ت اذا الحرب نادت وكم ابدعوا !!

تطوان ـ محمد الحلوي



الأخ الزنجي..

للشاعر المدني الحمراوي

يا اخي الاسود المعذب ظلما ... انت مثلي خلقت روحا وجسما

ولدتنا على البسيطة أم ... من أب واحد شقيقين قدما

ما بياضي وما سوادك الا ... صبغة لا تبيح مدحا وذما

انت مني ومن فصيلة جنسي ... نتساوى بوحدة الاصل حكما

ضل قوم راوا لجلدك لونا ... جعلوا من سواده لك اثما

لم ينالوا بياضهم باختيار ... فيروا فيه للسيادة وسما

انما الله لون الخلق تلويـ ... ـنا وابدى مراده فيه حتما

لون الله كيف شاء ولكن ... وحد الناس بالشعور وضما

وحباهم مواهبا وعقولا ... لم يخصص بهن لونا وقوما

عظم الجرح من اخ قال ـ افكا ـ ... لاخيه ابتعد ولم يجن جرما

* * *

ايها الابيض المغالي الى كم ... تتعالى وتجحد الحق غشما ؟

وترى في بياض لونك سرا ... جعل السود في حسابك بهما

طاردتهم يداك في كل فج ... واقتفيت الجموع ضربا ورجما

واغتصبت الديار منهم فلم تبـ ... ـق لهم بينها شعارا ورسما

واذا ما رايت منهم اسيرا ... مزق الغيظ منك جلدا ولحما

وملأت الوجود جورا واشبعـ ... ـت جميع الزنوج لعنا وشتما

ليس في قلبك الحديدي عرق ... بشري يلين عطفا وحلما
فتنكرت في جلود الضواري ... وافترست الحشا وهشمت عظما
وتحللت من خصائص نوع ... انت تعزى اليه زورا وزعما
اين منك الانسان يا من تعرى ... من معانيه منذ قلد عجما ؟
انت في روحه وفي كل دين ... ونظام له يعدك خصما
انت منبوذه نفاك وابدى ... لك بغضاء سودت لك اسما
كم ضعاف قتلتهم وديار ... آهلات اسرفت فيهن هدما
وشيوخ وصبية ونساء ... قد تهاووا امام بغيك قصما
انت بالنار والحديد عتي ... وعن الحق والحجا صرت اعمى
انت بين الملونين دخيل ... جاء نورا فصار نارا وسما
جاء كالسائل اللغوب فامسى ... في قلوب ءاوته هما وغما
فدع الدار للزنوج فما انـ ... ـت سوى عابر تصيد غنما
انت لص الاوطان بل انت موت ... لبنيها رأوك نحسا وشؤما
قد اضافوك ثم ابديت غدرا ... في حماهم ، كفاك عارا ولؤما
هذه الارض كلها والسماوا ... ت تنادي عليك لعنا ولوما
وحلوق الانام في كل صقع ... داعيات عليك محقا وحسما
والوف الكفوف في كل يوم ... ضارعات تستنجد الحق حزما
والوف العقول في كل قطر ... ساعيات تهيىء النصر عزما
وبراكين افريقيا جحيم ... سوف تمسي من تحت صرحك ردما
في روديسيا وفي جنوب وغرب ... سوف تطوى وفي سعير سترمى
ثم تبقى خرافة من اساطيـ ... ـر ورمزا الى التوحش أوما
سوف تروى لكل جيل جديد ... لم يعاين من عهد شؤمك يوما

* * *

يا اخي الزنجي المعذب ابشر ... ان فجر الخلاص بدد غيما
فانتظر يومك السعيد لتحيى ... بشرا سيدا كريما وشهما
وترقب وفاة تمييز جنس ... عنصري يكابد الآن سقما
سوف يلقى جزاءه بسلاح ... طالما احرق الضعاف وأدمى
فعلى الارض حينذاك اخاء ... وأمان يسربل الارض سلما

وعلـى الارض أمـة ليـس فيهـا ... نزغات تفـرق الشـمـل فصمـا

اخـوة ءادم أبوهـم ، وحـوا ... ء لهم فى القديم تعـرف أما

كـرم اللـه نسـل ءادم طـرا ... فلماذا يهـان بغيـا وظلمـا ؟

فعلـى مـن أهانـه لعنـات ... تتغشـاه بالمهـانـة وصـمـا

يا أخـي انت في الخليقـة انسـا ... ن كريم ، فانت بالنـوع اسمـى

لا تضيـع حقيـقـة انت منـهـا ... وبها صرت للسيـادة تنمـى

الرباط ــ المدني الحمراوي

هكذا يكبو جناحي ..

للشاعر محمد الوزير

يا حادي الشوق ! طاب الشوق يا حادي   وعاد موسمك النادي لميعادي

هرعت نحو زماني ؛ ارتدي غنده   وأفتدي يومه من أمسه الفادي

ورحت اعزف موسيقى طليطلة   واسأل الناس عن نايي وانشادي !

حسبتني ازرع الشعرى واقطفها   واحشد الشعر فى عودي واعيادي

حتى تعثر فى بحري وأجنحتي   وراح ـ مثل زماني ـ غير منقاد !

فقلت : امشي الهوينى ؛ عل قافيتي   لا تنضح الدمع من جهدي واجهادي

او ربما .. حينما أجري على مهل   تدور فى خلدي الخالي واخلادي

قبل نضجت ، وشبت شيبتي رغدا   فى رحمة السطر واستنشاق أعوادي ؟

أسير حينا على عمري ؛ فيغدر بي   شعري ... ويتهر ميزاني واعدادي

ويسقط التاج عن جوي وناصيتي   وتبعد الطير عن وردي ووِرادي

وتارة اتلظى فى رفاهيتي   فما تروى دموعي جمرها الصادي

ولا تعود مجاديفي لشاطئها   كأن شاطئها قيعان حسادي

غرقت ـ وانفما !! ـ فى مركبي حزنا   يا من يخف لانجادي واسعادي ! ؟

* * *

ما ذا اغني اذا الفيتني علا   تئود نظم خطاها غنوة الحادي

كأنني لم اكن شعرا يعددها   وينتقي النبض من آلاف آحادي

الحمد لله ؛ ليست طينتي ذهبا   ولا مجاديفها اقلام نقادي

والمجد لله أيضا فى معايدتنا   وللقريض ـ شفاه الله ـ أمجادي

يا ما أجل المنى فى بعد خاطرة   وما أقلهما فى قرب ابعادي

وهل تطيق شباكي وقع صاعقة ... تهوي عليها هوي الكوكب الهادي !؟

هاتوا ـ اذن ـ كبدا اخرى ا قوم بها ... واتقي عثرة الفصحى باكبادي !!

اهكذا ـ يا خيالي الطفل ـ تحبسني ... فى موبقات اتهاماتي واشهادي ! ؟

من ياترى من هواة النقد يذكر لي ... ما ليس ينسى ، ويحكي نسل ميلادي !؟

ايام كانت دماء الشعر فى كبدي ... روحا تشخص فى طير واجساد

ومن يموت كموتي ذا ؛ فيعذرني ... عذر المجاهد والمستشهد الفادي

يا ليتني لم أكن بعض الدجى شهبا ... وملء ارضى احبائي واولادي

الناس تحسبني فى عالمي ملكا ... ارأى واحلم من فرعون أو عاد

يا للعرائس !!! ساء الظن ، ام حسنت ... مهوره ، ام امات الظن ايجادي

مالي وللشعر ؛ تطهوني فريسته ... وتوقد النار فى حبي واحقادي !!

اواه !! للنار والفردوس زورتنا ... عرش وطيرتنا عشي واوتادي

هل كنت أكثر من قلب له نغم ... او كنت المس من جلد وجلاد !!! ؟

* * *

غدا يقال لهند : لم يعد غردا ... وليس يا هند : «ما احلاه من شادي» !!

طافت عليه ليال من طليطلة ... فعاد منها محيل الفجر والزاد !

وجاء يلمع ؛ فى آفاقه كسف ... من الصحاري ، وحال الظاغن البادي !

ما ذا اصاب فتاك النضر من زهق ... وحال دون شروق الشمس فى الوادي ! ؟

ريقان للشعر : احزان مسكرة ... ـ غير البديع ـ وطعم غير معتاد !!

الجزائر ـ محمد الوزير

أتمجد قومي الهزيمة ..!!

للشاعر محمد أحمد حيدر

بح عبر الحناجر الانشاد　　وبكى الحسن والسنى والرشاد

ضاع ميلاد امتي من جديد　　امتي هل لبعثها ميعاد

امتي هل لنا لقاء مع الصـ　　ـبح وهل يسعد النفوس مراد

امتي ما لنا وللفخر لم تزهر　　بأغوار ارضنا الاوراد

امتي ما لنا وللفخر لم تعبر　　بنا الفجر (للخليل) جياد

يخجل الفخر ان يمر بنا طيفا　　ويبكي الآباء والاجداد

يعرب جدنا الاغر ضحى الامـ　　ـس ونحن الابناء والاحفاد

يا لقومي ماتوا وارجلهم تسعى　　كأن الحياة ماء وزاد

* * *

اين قومي و(القدس) في قبضة الو　　غد فلا منقذ ولا عواد

أين قومي و (القدس) تسالهم غوسا　　فلا موعد ولا ميعاد

امتي أين أمتي تعب النصر　　بساحاتها ومات الجهاد

اين قوات أمتي تبعث النصر　　ويفنى على يديها الفساد

اين قوات امتي لم يعطر　　جو (حيفا) بالقاذفات الطراد

اين قوات أمتي تملأ الار　　ض فتمشي الاغوار والانجاد

* * *

لم تزد عن ديارنا أي فخر　　لمرء عن ثرى ابيه يزاد

اين اين الشباب اين رجال الفتـ　　ـح أين القطارف القواد

اين اين الكتائب الغر اين الجـ　　ـند اين الثوار والرواد

أي يوم يمر للعرب لم يملأ قلوب المشردين الحداد
أي يوم يمر في (القدس) لم تهتك نساء ولم يمت أولاد
كل يوم لنا بأرض فلسطين جراح فأين منها الضماد

* * *

ابدا تندب (القنيطرة) الامـ ـس وتبكي ويضحك الجلاد
وحديث الابطال في ارض (سيـ ـناء حبيب ولا يمل معاد
ورفاة الابطال في ترب (رام الله) شعاع مثل الضحى وقاد
وعبير الدماء سالت سيبقى ابد الدهر لم يرضه نفاد
ودفيق الجراح في ارضنا بـا ت حكايا تقصها الآباد

* * *

كلما ان في (فلسطين طفل او تصورته يئن الفؤاد
السبايا تبكي (وعمرو) يريد الحـ ـرب حربا ولا يريد (زياد)
هودوا القدس والكنيسة والجا مع والارض هل يلذ رقاد
لبسوا النصر حلة ولبسنا الذل ثوبا وحققوا ما ارادوا
لم توحد قومي الهزيمة لم يجـ ـمع مغاوير امتي الاضطهاد
اليتامى ملء الخيام وذل اليـ ـتم ماء لهم وفيروزاد
ما لقوت امتي لم تحرك جانحيها كأنها اعواد
اشياب يمتد من مطلع الشمـ ـس كمهده أم جماد
هان قومي اين المروءة لا والحب ما يدل الحبيب الفؤاد

* * *

ليس عارا انا هزمنا ان يحـ ـتل جزء من ارضنا وبلاد
ليس عارا ان يهزم الجيش ان يفـ ـنى سلاح ان يكثر استشهاد
انما العار ان تنام عن الثأ ر وان يأكل اللهيب الرماد
انما العار ان تنام فللثورة كالنار في الهشيم امتداد

* * *

ان قومي اعز من سكن الا رض وحدوا حدودها واشادوا
ان قومي انقى قلوبا من الز هر واوفى لو يعلم الحساد
ان قومي أبقى خلودا من الد هر وما غير ما ارادوا يراد
لن يسد المظلمات عن الفتح جيوش جرارة وعناد

محمد احمد حيدر

ذكرى الهجرة

للشاعر محمد محمد المعلمي

اقيموا الى الاسلام مجدا مؤبدا   وشيدوا على الجوزاء فخرا مجددا

ففى نفحة الماضي مواطن عبرة   تقر باعماق الضمائر سرمدا

وللحر اشفاق على كل حاضر   به جوهر الايمان صار مهددا

لقد اقبل العام الجديد بنوره   يريح من البشرى قلوبا واكبدا

هلال تجلى والخلائق كبرت   وفيها من الآمال قصد توحدا

تناجي من الماضي عهودا تصرمت   وتنظم درا فى الخلود منضدا

وفى الحاضر المنكود قد حار فهمها   فتستمنح الايام عزا مؤيدا

عسى ان يكون الامس ذكرى وعبرة   وان تبسم الآمال فى ربعنا غدا

* * *

الا ايها العام الجديد تحية   تفوح بانسام اللياقة والهدى

فمرحى بضيف حل فينا مكرما   يقيم له الاسلام حفلا مخلدا

سيذهب هذا العام كالحلم بيننا   وتتلوه اعوام كطيف اذا بدا

ولكن فى الذكرى عهودا تجددت   فكانت الى معنى التأثر موردا

* * *

لنا معشر الاسلام احسن ميزة   نرى عندها المأمول حقا موطدا

ففى وحدة الاسلام صح اتجاهنا   لنتبع فى كل الامور محمدا

نبي به الانسان صار محررا   وقد كان فى سجن الضلال مقيدا

وفى امة طاشت سهام جموعها ... غدا الحق مهضوما غريبا مشردا

فجاء رسول الله للخلق مرشدا ... وكان الى سبل الفلاح ممهدا

وكان رحيما بالعباد وضعفهم ... يلقنهم حب الحقيقة جيدا

فان نحن ادركنا قصور جهودنا ... بلغنا الى العلياء صرحا مشيدا

واجمعنا فى الجهل قد صار راسخا ... ولو لم نكن فى الجهل نلبث رقدا

ولكننا نسمو بفضل اعترافنا ... وفى العجز ادراك لما صار مجهدا

الا يا بني الانسان ان طال بحثكم ... فسوف ترون الحق اصبح موعدا

* * *

لقد كان خير العالمين محمد ... يعيش بفضل الصالحات مسودا

فيربح حب الله والناس كلهم ... ويجمع بين العقل والحق والندى

وكان أمينا ذا نفوذ وصولة ... الهيبة فى كل جمع لها صدى

فاعجب بمن تثني عليه خصومه ... واشهر حق ما تغربه العدى

وكان رسول الله بالعز هائما ... وما كان يرضى بالخضوع لمن عدا

فخالقه أعطاه نفسا كريمة ... تكل حجانا ان تحد لها مدى

فقد هجر الذل المقيم بمكة ... ولاح على افق المدينة فرقدا

يبلغ ءايات الاله لخلقه ... ويمنحهم دينا قويما ممجدا

فكان عزيزا ظافرا متساميا ... وكان لكفر الكافرين مبددا

وكان طبيبا ماهرا متبصرا ... وكان الى جرح القلوب مضمدا

فانشا للاسلام مجدا يفوق ما ... تقدم فيه الاقدمون من الفدا

واوجد للاعراب دينا ووحدة ... توطد مجدا صار فى الكون مفردا

وابعد عنهم كل رجس يضيرهم ... فصاروا الى كل الفضائل معهدا

وشاد لهم صرحا تسامى بناؤه ... فصار لهم بيت الطهارة معبدا

وحيث اقام الكفر معقل جنده ... اقام على اس الهداية مسجدا

كفى بكتاب الله نورا وءاية ... يخر لها اهل البلاغة سجدا

جدير بمن يرضي أوامر ربه ... بأن يشهد النصر المبين مؤكدا

وخير عباد الله من صان مجده ... ولو كان من خير الخلائق محتدا

وما خاب من يسعى لخير ونهضة ... فما كانت الذكرى هباء ولا سدى

* * *

الا يا حبيب الله اني واقف ... على بابك المفتوح اصدح منشدا

اناجي الهي فى مديحك كلما ... نظمت عصير القلب فيك لاسعدا

اري الشعر في طه الرسول زبرجدا   ودرا نضيدا في العقود وعسجدا
الا يا حبيب الله ان كان شط بي   غروري وشيطاني ، فزاغ وعربدا
فاني مدى الايام ابكي تفاؤلي   وفي الدمع صقل للقلوب من الصدا
اليك رسول الله أرفع حاجتي   فما خاب عبد بات فيك مسهدا
اغث يا حبيب الله دينا شرعته   فقد صارت الاطماع تنذر بالردى
وقد طغت الاهواء في كل موطن   وصرنا نرى للهدم جندا مجندا
نرى من صنوف الشر فينا مشاهدا   وقد نتمنى للفضيلة مشهدا
وانت رحيم بالسلام مبشر   فكن للسلام الحق فينا موطدا
تلوح بالغصن النضير تلطفا   فتقهر بالحسنى حساما مجردا
وهذي (فلسطين) الشهيدة اصبحت   لصهيون فيها صولة فاقت المدى
حنانيك يا هادي الورى فلقد طغت   فلول من الباغين واستاسد العدى
وهاهي أولى القبلتين كما ترى   يسود بها من قد بغى وتهودا
وهاهي ذي (القدس) المقدسة انبرت   وفي وجهها عار الدخيل لقد بدا
وللبيت رب قد حماه بجنده   فلن يبلغ الباغون بالغدر مقصدا
فنحن بتوحيد الصفوف وعزمنا   سنبعث للاسلام مجدا وسؤددا
وفي ملة الاسلام احسن شرعة   واعظم كنز بالنفائس يفتدى
أمانا رسول الله ان قلوبنا   على وجل ترجو الى الحق مرشدا
وفي (الحسن الثاني) حفيدك اسوة   بها يهتدى في العالمين ويقتدى
فزده من النور المبارك شعلة   وكن لمساعيه النبيلة مسعدا
وايده بالقرءان ، وامنح لشعبه   حياة مدى الازمان تطفح بالهدى
فعادته الاسلام يحمي دماره   (لكل امريء من دهره ما تعودا)
وفي عهده الميمون اصبح قائما   على الحق يبني للخلود مجددا
وللمغرب الاقصى اعتصام بعرشه   وكان وما ينفك في الكون سيدا
الا ياحبيب الله ان عبثت بنا   أياد ، فأطلق بالمساعدة اليدا
فانت رؤوف تلهم القلب بعثه   وقد صرت للحر الشديد مبردا
ومنك تباشير الخلاص تحوطنا   ومنك تراعي للسعادة مولدا
عليك سلام الله ما لاح نير   وما طار طير في الرياض وغردا

الرباط ـ محمد محمد العلمي

إلى غار حراء ...

للشاعر عبد الكريم الطبال

فلتدم ياقدمي فان الدرب أسلاك وأسوار ... الى القمة

فانا سامشي في السيول الحمر حتى تقرب الانهار في الغيمة

فلتمش في الاوحال كالاعصار تطوي سبب الاشباح والظلمة

فانا سامشي . في الجبين الريح . في الاحداق ماء يشنق النجمة

لكن ساهدم كل اسوار الضباب كانني من طينة الهمة

ساشق اصداف الزمان الشيخ جوهرة تطل سنية العصمة

فلتمش ياقدمي كما تمشي الاغاني في سهول الورد والكرمة

لا الشوك يخرسها ولا الغربان تمسخها الى صوت بلا نغمة

حتى ترى في الورد . في الالوان . في الاشذاء روح اللون والنسمة

فلتمش يا قدمي من المنفى فما في البيد اغراس ولا خيمة

في القفر لا لقيا بأحباب ولا ذكرى لغير العرى والعتمة

انظل في الاشجار ازهارا من الورق المقوى . تجهل البسمة ؟

انظل ننتظر الذي ياتي لينثرنا رمادا لم يكن فحمة

فلنمش فالاصوات تدعونا من الآزال عبر مفارة الحكمة

فانا هنا لم اقرا الكلمات . في شفتي تدق سلاسل العجمة

شفشاون : عبد الكريم الطبال

ظلال

للشاعر حسن الطريبق

عرق الديار يسيل من ثوبي ... ويذوب فى موجاته قلبي

ينساب فى صدري ، يضمخ ما ... فى الروح عاد مشقق الترب

أرجاته الفيحاء تسكرني ... وتزيدني حبا على حب

فأقيم عرسا للمحاسن والرؤى ... العذراء بين منازل العيب

ومباهجا رعش النسيم عبيرها ... ومرابعا مخضرة العشب

كل الرؤى فيها مشعشعة ... بالنور ، بالالحان ، بالخصب

غمرت ظلال الفجر ساحتها ... وتناثرت خصلاتها قربي

سكبت على روحي مفاتنها ... ما عدت اعرف مصدر السكب

وعزلت من الوانها صورا ... ورشفت ذوب اريجها العذب

شعت على الجنبات روعتها ... فالحب يملأ وحده قلبي

العرائش ــ حسن الطريبق

كتاب

طبقات الأولياء، ومناقب الأصفياء

لابن الملقن التكروري الوادى آشى المغربى
المتوفى عام 804

تحقيق وتقديم : الأستاذ عبد الله الجبوري

ترك المسلمون تراثا فكريا شامخا . لم يقف عند فن من فنون المعرفة بل سبر اغوار المعارف والآداب والعلوم .

ومن ضروب فن التاليف عندهم ، استنباطهم فن تراجم الرجال وجعلهم طبقات وذلك بفضل علم الحديث الشريف ، ثم تطور هذا الضرب واخذ شكله الخاص به وكانت طبقات النحاة والنحويين وطبقات الشعراء وطبقات المفسرين وطبقات الفقهاء، والفقهاء على مذاهبهم المعروفة وطبقات الحفاظ وطبقات القراء .. الخ

ولم تقف العبقرية العربية فى مجال التاليف فى فن الطبقات عند البشر بل تعدت ذلك الى التاليف فى طبقات الحيوان ..

ومما يؤسف له ان كتب الطبقات المطبوعة لا تتعدى الاصابع العشرة عدا وما زال الكثير منها راقدا فى قماطر خزائن الدنيا ــ شرقا وغربا ــ يحن الى البعث والنشور .. هذا بالنسبة الى كتب الطبقات عامة اما بالنسبة الى كتب الطبقات الصوفية والزهاد فيمكن حصر ما طبع منها بما يأتي :

1 ــ طبقات الصوفية ــ لابي عبد الرحمن السلمي

2 ــ الرسالة القشيرية ــ عبد الكريم القشيري

3 ــ الكواكب الدرية ــ للمناوي ــ وطبع الجزء الاول منه فقط

4 ــ طبقات الشعراني

5 التشوف الى معرفة رجال التصوف ــ طبع بالمغرب ــ الرباط

والعرب اليوم ــ على الرغم مما يحيط بهم من كوارث ومحن ــ على ابواب نهضة فكرية شاملة ومن مقومات هذه النهضة المباركة حرث التراث العربي وبعث كنوزه الى عالم النور بكافة مناحيه ومختلف آفاقه ومن هذه الكنوز الفكرية آثار عالم مفن . ملأ القرن التاسع ذكرا وثناء وكان ثالث ثلاثة فى علوم الشريعة الاسلامية الغراء . ذلكم هو ابن الملقن !!!

فمن هو اذن ابن الملقن ؟!

هو: عمر بن علي بن احمد بن محمد بن عبد الله، سراج الدين ، ابو حفص بن ابي الحسن الانصاري ، الوادآشي ، التكروري المصري الشافعي كان اصل ابيه اندلسيا من (وادي آش)

ووادي آش :

هي مدينة الاشات بالاندلس ، من كورة البيرة ، وهي بالفتح والشين المخففة وربما مدت همزته (1).

ثم تحول (والد المترجم) الى التكرور ، واقرا اهلها القراءات ، وتميز في العربية وحصل مالا كثيرا ثم قدم القاهرة .

والتكـــرور :

وتكتب تكرور بلا الف التعريف ، براءين مهملتين ، بلاد تنتسب الى قبيل من السودان في اقصى جنوب المغرب اهلها اشبه الناس بالزنوج (2)

ويبدو ان نور الدين علي والد ابن الملقن ، كان من العلماء الافذاذ ، حتى كان يعرف بالنحوي ، وبالرغم من هذا لم تنصفه كتب التاريخ والتراجم بشيء من الذكر وكل الذي يعرف من امره ، انه ارتحل عن بلده – وادي آش – في الاندلس الى تكرور او الى بلاد التورك كما ضبطها سيادة الاستاذ عبد الهادي التازي، على رواية ابن العماد الحنبلي (3) .. واقرا اهلها القرءان – كما مر – ثم قدم القاهرة واخذ عنه اجلة العلماء اظهرهم جمال الدين الاستوي (4) .. وفي بغية الوعاة لمح الى معالم حياة هذا الرجل وفيه « قال ابن حجر كان ابو الحسن هذا عالما بالنحو واصله من الاندلس رحل منها الى التكرور .. »

وفي الكتاب اشارة الى وفاته وذلك في سنة اربع وعشرين وسبعمائة 724 هـ .

وفي المظان التي ترجمت لابن الملقن ، تصريح بوفاته وجعلها في حدود سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة لان ولده سراج الدين كان له من العمر سنة واحدة عند وفاة ابيه وكانت ولادته (سراج الدين) في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة (5)

ولادتـــه :

ولد سراج الدين، عمر بن علي في القاهرة في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة في ثاني عشرية ، على رواية السخاوي (5) وفي يوم السبت رابع عشري ربيع الاول على رواية ابن العماد الحنبلي (6)

وتوفي والده وله من العمر عام واحد . فاوصى به الى الشيخ شرف الدين عيسى المغربي الملقن لكتا بالله . بالجامع الطولوني وكان صالحا فتزوج المغربي بأم سراج الدين ومن هنا لحقه لقب (ابن الملقن) .

ويذكر السخاوي عنه انه كان من هذا اللقب وكان يكتب ابن النحوي وبها اشتهر في بلاد اليمن. نشا ابو حفص في كنف زوج امه ووحيه فحفظ القرآن الكريم والعمده في الفقه واراد الشيخ المغربي ان يشغله عن المذهب المالكي الا ان بعض اولادابن جماعة اشار عليه الا ان يقرا المنهاج في الفروع الشافعية واسمعه على الحافظين ابن سيد الناس وقطب الدين الحلبي .

شيوخـــه :

اخذ ابن الملقن علمه على اجلة اشياخ عصره ومصره ونذكر منهم :

1 – تقي الدين السبكي علي بن عبد الكافي المتوفي سنة 756 هـ

2 – كمال الدين احمد بن عمر المدلجي النشائي – المتوفي سنة 757 هـ

3 – العز بن جماعة – عبد العزيز بن محمد الحموي الاصل المصري قاضي القضاة المتوفي سنة 767 هـ

---

(1) مراصد الاطلاع 81/1 .

(2) مراصد الاطلاع 268/1 وياقوت 32/2 ط بيروت

(3) شذرات الذهب 44/7 والضوء اللامع 100/6

(4) الضوء اللامع 100/6

(5) بقية الوعاة 144/2 وانباء القمر (1 / الورقة 213) (5) الضوء اللامع 100/6

(6) شذرات الذهب 44/7 ومثله ابن حجر انباء القمر (1 / الورقة 213)

واخذ العربية وعلومها على :

4 ـ اثير الدين ابي حيان النحوي الاندلسي المتوفى سنة 745 هـ

5 ـ ابن هشام جمال الدين الانصاري المتوفى 761 هـ

6 ـ ابن الصائغ الزمردي محمد بن عبد الرحمن شمس الدين المتوفى سنة 776 هـ

واخذ القراءات على :

7 ـ برهان الدين الرشيدي

وسمع الحديث الشريف على الحفاظ :

8 ـ سراج الدين محمد بن محمد بن عبد الكاتب .

9 ـ ابي الفتح ابن سيد الناس

10 ـ القطب الحلبي

11 ـ العلاء مغلطاي

12 ـ زين الدين ابي بكر الدجي

ولم يقنع ابن الملقن بالاخذ على هذه الجمهرة من العلماء بل شد الرحال الى الشام فى سنة سبعين وسبعمائة (7) فسمع بها من متأخري اصحاب الفخر بن البخاري وبرع وافتى ودرس واثنى عليه الائمة ووصف بالحافظ ونوه بذكره القاضي تاج الدين السبكي وكتب له تقريظا على شرحه للمنهاج وقرا فى بيت المقدس على العلائي (جامع التحصيل فى رواة المراسيل) له وام البيت الحرام حاجا فى سنة احدى وستين وسبعمائة .

واشتغل ابن الملقن فى القضاء وامتحن بسبب ذلك وكان هذا الامتحان فى سنة ثمانين وسبعمائة ثم لزم داره واكب على التاليف والتصنيف (8) .

ويذكر المؤرخون ان ابن الملقن كان يمتلك مكتبة عظيمة قال فيها السخاوي « ما لا يدخل تحت الحصر منها ما هو ملكه ومنها ما هو من كائنة الشيخ سراج الدين ابن الملقن وكان ينوب فى الحكم وذلك فى حوادث سنة 780 هـ وفيه تفصيل بسبب اعتزاله القضاء .

وذكر المرحوم الدكتور محمد اسعد طلس فى مجلة المجمع العلمي العربي (م 20 ص 144) ان ابن الملقن تولى قضاء دمشق وهم سهو ولعله اعتمد قول بروكلمان الذيل (2 / 108) الذى اخذ بهذا الراي.

ومما يدل على سعة علم هذا الرجل كثرة تصانيفه فى كل فن من فنون المعرفة . وذكر السخاوي ، انه وقف على اجازة بخط ابن الملقن كتبها وهو بمكة المكرمة فى ذي الحجة سنة احدى وستين وسبعمائة تجاه الكعبة قال فيها « ان مروياته الكتب الستة ومسند الشافعي واحمد والدرامي وصحيح ابن حبان وسنن الدارقطني والبيهقي والسيرة تهذيب ابن هشام حتى ان كثيرا من العلماء يرحل اليه للاجازة ومنهم قاضي القضاة فى دمشق نجم الدين عمر بن حجي بن احمد الامام السعدي الحباني المولود سنة 767 هـ والمقتول فى سنة 830 هـ بدمشق (9)

اوقاف المدارس لاسيما الفاضلية

وقد احترقت هذه المكتبة النفيسة مع اكثر مسوداته فى اواخر عمره ففقد اكثرها وتغير حاله بعدها ، وكان قبل احتراقها مستقيم الذهن ، وربما كان وقع هذه الكارثة عظيما بحيث ان ولده نور الدين، حجبه عن الناس حتى مات .

ومما يذكره السخاوي ان ولده نور الدين هذا انشده بيتين مداعبا له وهما :

---

(7) فى شذرات الذهب 7 / 45 فى سنة سبع وسبعين .

(8) فى ابناء الغمر 1 / 266 فى سابع عشر شهر ربيع الاخر

(9) قضاة دمشق ـ لشمس الدين ابن طولون صفحة 144 ـ 147

لا يزعجنك يا سراج الدين
ان لعبت بكتبك السن النيران

لـه قد قربتهـا فتقبلت
والنار مسرعة الى القربان

هذا وكانت وفاته فى ليلة الجمعة سادس عشر من ربيع الاول سنة اربع وثمانمائة ودفن على ابيه بحوش سعيد السعداء فى القاهرة ــ خارج باب النصر فى حوش الصوفية (10)

اقوال العلماء فيه :

ذكر السخاوي شيئا من سمعته وخلقه فقال .. انه كان مديد القامة حسن الصورة يحب المزاح والمداعبة مع ملازمة الاشتغال والكتابة حسن المحاضرة جميل الاخلاق كثير الانصاف شديد القيام مع اصحابه موسعا عليه فى الدنيا .. وقد رايت ان انقل جملة من اقوال العلماء فى هذا العالم الجليل لاعطاء صورة له عند اكابر علماء عصره .

1 ــ قال قاضي صفد (العثماني) فى طبقات الفقهاء فيه .. احد مشايخ الاسلام صاحب المصنفات التى ما فتح على غيره بمثلها فى هذه الاوقات (11)

2 ــ وذكره الشيخ الغماري بقوله .. الشيخ الامام ، علم الاعلام ، فخر الانام ، احد مشايخ الاسلام ، علامة العصر ، بقية المصنفين ، علم المفيدين والمدرسين ، سيف المناظرين ، مفتي المسلمين »

3 ــ استاذه البرهان الحلبي قال فيه .. انه كان فريد وقته فى التصنيف وعبارته فيها جليسة جيدة وغرائبه كثيرة وشكالته حسنة »

4 ــ احدهم نقلا عن السخاوي قال .. وهؤلاء الثلاثة ، العراقي والبلقيني وابن الملقن كانوا اعجوبة هذا العصر على رأس القرن ..»

5 ــ المقريزي فى عقوده قال .. انه كان من اعذب الناس الفاظا . واحسنهم خلقا واعظمهم محاضرة صحبته سنين وأخذت عنه كثيرا من مروياته ومصنفاته ..»

6 ــ حافظ دمشق ابن ناصر الدين وصفه ب (الحفظ والاتقان) .

7 ــ ابن هداية فى طبقاته قال .. كان من افقه زمانه ــ كذا ــ وافضل اقرانه وورعا زاهدا شهيرا باخراج الاحاديث وتصحيحها وجرح الرواة وتعديلهم ..)

آثاره :

ترك ابن الملقن آثارا كثيرة فى شتى ضروب المعرفة كتب فى الفقه والنحو والحديث والتاريخ والطبقات والتفسير والسيرة وغيرها حتى ذكر اكثر مترجميه ان له ثلاثمائة مصنف ما بين كبير وصغير وقد حاولت ان اذكر هنا مؤلفاته الموجودة فى خزائن الكتب والتى ذكرها السخاوي وحاجي خليفة وبروكلمان وفهارس المخطوطات .

1 ــ شرح زوائد مسلم على البخاري فى الحديث

منه نسخة مخطوطة فى مكتبة الاوقاف العامة ببغداد برقم (3012 ــ 3014) وهو المجلدات الخامس والسادس والسابع .

2 ــ خلاصة الفتاوي فى تسهيل اسرار الحاوي ــ

المجلد الثاني اوله باب الوصايا والنسخة قديمة الخط ولعلها بخط المؤلف وهي فى مكتبة الاوقاف العامة برقم (3788) والكتاب فى الفقه الشافعي والجزء الاول منه فى المكتبة الازهرية ينتهي الى باب (الفرائض) وهو برقم (480) 3274 فى 216 ورقة.

2 ــ العقد المذهب فى طبقات حملة المذهب

فى طبقات الشافعية مخطوط منه نسخة فى دار الكتب المصرية برقم 579 تاريخ وهو فى 272

---

(10) الضوء اللامع 105/6 وحسن المحاضرة 201/1 وشذرات الذهب 45/7 والنور الطالع 58/1 وخطط مبارك 105/4 وبروكلمان 159/1 وقد وهم ابن هداية فى طبقاته صفحة 91 فذكر انه مات فى سنة 773 هـ

(11) الضوء اللامع 104/6

ورقة ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة برقم 739 واخرى برقم 1139 مصورة عن نسخه مكتبة مولانا خليل الله المدراسي بحيدر آباد واخرى في المعهد برقم 337 مصورة عن المكتبة العمومية برقم 5212 في 124 صفحة . كتبت سنة 794 هـ واخرى في ليدن واستانبول وشيخ الاسلام في المدينة كما نقل بروكلمان — الذيل 109/2 واكسفورد وبرلين برقم 10039 ويضم 1700 ترجمة .

4 — الاشارات الى ما وقع في المنهاج من الاسماء والاماكن واللغات .

اختصر فيه كتابة نهاية المحتاج الى ما يستدرك على المنهاج لمحي الدين النووي وقسمه ثلاثة اقسام :

القسم الاول — تناول فيه لغاته العربية والمصرية

القسم الثاني — الالفاظ المولدة

القسم الثالث — المقصور والممدود

ثم عرض للمجموع والمفرد وعدد لغات اللفظة والاسماء المشتركة والمترادفة ثم اسماء الاماكن وتحقيقها وذكر انه فرغ من تاليفه في سنة ثلاث واربعين وسبعمائة 743 هـ منه نسخة ناقصة الآخر كتبت سنة 794 هـ بخط سليمان بن صالح الحنبلي بالمدرسة الظاهرية والطرة بخط المؤلف في مكتبة الاسكندرية — برقم 2294 ب/ف/277 — 278 ومنه مصورة في معهد المخطوطات العربية برقم 38 وتقع في 180 ورقة .

5 — اكمال التهذيب — في تراجم الرجال

منه نسخة كتبت في القرن التاسع في 331 ورقة في مكتبة فليبح علي برقم 191 ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية برقم 59 وهو آخر الجزء الخامس .

6 — ايضاح الارتياب في معرفة ما يشتبه ويتصحف من الاسماء والانساب والالفاظ والكنى والالقاب الواقعة في تحفة المحتاج الى ادلة المنهاج .

منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم 1746 في 10 ورقات ومنها مصورة في معهد المخطوطات العربية برقم 74 .

7 — نزهة النظار في قضاة الامصار .

والكتاب في طبقات القضاة وصل فيه المؤلف الى سنة 780 هـ واورد في اخره منظومات في اسماء القضاة منه نسخ في مكتبة طلعت والنجورية برقم 2256 ومعهد المخطوطات — فوتوغراف — برقم 550 في 74 ورقة ومنه مختصر في المانية الشرقية — كوته — برقم 1532 كما ذكر بروكلمان 109/2 الذيل . اخبار قضاة مصر .

8 — شرح الاربعين حديثا للنووي .

— الاشباه والنظائر في الفروع — في الفقه الشافعي ، ذكره بروكلمان الذيل 110/2 ومنه نسخة في تركيا (العمرية) برقم 90 .

9 — الاشراف على اطراف الكتب — في الحديث

10 — شرح الالفية لابن مالك في النحو

11 — تاريخ ابن الملقن — وهو في تاريخ الدولة التركية

12 — التذكرة في فروع الشافعية جمعها لولده ورتبها على فصول أوله «الحمد لله على توالي الانعام..» منه نسخة في اسطانبول .

ورامبور مع شرح لمحمد المنجوي بروكلمان — الذيل 109/2

13 — تلخيص الوقوف على الموقوف .

14 — الكفاية في شرح التنبه في فروع الشافعية — للشيرازي

15 — شواهد التوضيح — في شرح الجامع الصحيح للبخاري

قال حاجي خليفة « وهو شرح كبير في نحو عشرين مجلدا اوله .. ربنا آتنا من لدنك رحمة — الآية الحمد لله على توالي انعامه .. »

مجلة المجمع العلمي العربي (12 / 474) بحث لمحمد راغب الطباخ ومنه نسخة في اربعة مجلدات في المدرسة العثمانية — حلب — كتبها الحافظ ابراهيم بن محمد سبط البرهان الحلبي المتوفى سنة 841 هـ المجلد الاول كتب سنة 785 والثاني 786 وعليه خط المؤلف

16 — جمع الجوامع في الفروع —

قال حاجي خليفة .. وهو قريب من مائة مجلد جمع فيه بين الكلام للرافعي في شرحيه ومحرره والنووي في شرحه للمهذب ومنهاجه وروضته وابن الرفعة في كفايته والقمولي في بحره وجواهره وغير ذلك .. اهـ

17 — حدائق الحقائق في الحديث . ثم اختصره وسماه الرائق

18 — في الخصائص النبوية — منه نسخة في القاهرة — بروكلمان — الذيل 109/2

19 ـ دلائل النبوة ـ للبيهقي المتوفى سنة 458 هـ ـ اختصره ابن الملقن

20 ـ ما تمس اليه الحاجة على سنن ابن ماجه قال حاجي خليفة .. وشرح الشيخ سراج الدين.. زوائده الخمسة .

غير الصحيحين وابي داود والترمذي والنسائي في ثمان مجلدات ... »

21 ـ مختصر صحيح ابن حبان ـ في الحديث

22 ـ الذيل على طبقات القراء للداني المتوفى سنة 444 هـ

23 ـ عقود الكمام (الكلام) في متعلقات الحمام ـ قال حاجي خليفة : « جزء لطيف مشتمل على جمل من الفوائد »

24 ـ الاعلام في شرح عمدة الاحكام عن سيد الانام لتقي الدين المقدسي الحنبلي المتوفي سنة 600 هـ

قال فيه حاجي خليفة .. وهو من احسن وصفاته

واشار بروكلمان في 113/2 ذيل نسخة منه في القاهرة

25 ـ شرح العمدة في فروع الشافعية ـ لابي بكر الشاتي المتوفي سنة 507 هـ

26 ـ شرح مختصر التبريزي ـ امين الدين المتوفي سنة 621 هـ ومنه نسخة في القاهرة بروكلمان 132/2

27 ـ شرح (اعتراض) على المستدرك الحاكم النيشابوري المتوفي سنة 45 هـ وربما اسمه النكت اللطاف في بيان الاحاديث الضعاف . في مسند الحكم ـ منه نسخة في مكتبة يحيى باشا ، الموصل برقم 112 ناقصة الاخر .

28 ـ مختصر مسند الامام احمد بن حنبل المتوفي سنة 241 هـ

29 ـ المغني في تلخيص كتاب ابن بدر ـ في خولة ليس يصح شيء في هذا الباب

30 ـ المقنع ـ في علم الحديث ـ ثم اختصره بكتابه (التذكرة) ووصل فيه من الانواع الى ثمانين نوعا فحففلت ورجزت ثم شرحه شرحا صغيرا .

اوله ... احمد الله على تصحيح الاعمال ...»

31 ـ ارشاد البنيه الى تصحيح البنيه ـ لابي اسحق الشيرازي منه نسخة في القاهرة ـ بروكلمان 113/2

32 ـ التاديب في مختصر التدريب في الفقه

33 ـ ترجمان شعب الايمان ـ والمختصر منه نسخة ذكرها بروكلمان 110/2 الذيل

34 ـ شرح الحاوي الصغير للقزويني منه نسخة في القاهرة . واجزاؤه الاول والثاني والثالث في المكتبة العمرية ـ تركيا ـ الارقام (329 ، 330 ، 331) .

35 ـ طبقات المحدثين

36 ـ عدد الفرق

37 ـ نزهة العارفين من تواريخ المتقدمين

38 ـ هادي النبه الى تدريس التنبه

ذكره صاحب ايضاح المكنون ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة المسجد الاقصى ـ رد الله غربته ـ برقم 39 في مجلد ضخم كتبت سنة 838 هـ وذكرها بروكلمان 92/2 والذيل 109/2 وكشف الظنون ومجلة المجمع العلمي 444/20 مبحث للمرحوم الدكتور طاس .

39 ـ غاية السول بخصائص الرسول ـ منه نسخة في مكتبة احمد الثالث ـ تركيا ـ برقم 273 واخرى في القاهرة ذكرها بروكلمان 113/2

40 ـ مفتاح المنظوم ـ منه نسخة في مكتبة عثمان الكردي ـ تركيا ـ برقم 328

41 ـ المنتقى في الاحكام ـ لابن يتيمة ـ شرحه ابن الملقن ولم يتمه بل كتب قطعة منه

42 ـ المنتقى في مختصر الخلاصة ـ في تخريج احاديث الشرح الكبير للرافعي

43 ـ تخريج احاديث منتهى السول والامل في علمي الاصول والجدل . لابن الحاجب المتوفي سنة 646 هـ .

44 ـ شرح منهاج الوصول الى علم الاصول ـ لناصر الدين البيضاوي المتوفي سنة 685 هـ

45 ـ تخريج احاديث المهذب في الفروع للشيرازي المتوفي سنة 476 هـ

46 ـ القاسك لام المناسك

47 ـ البدر المنير فى تخريج احاديث الشرح الكبير . فى سبع مجلدات ثم اختصره فى مجلد وسماه (الخلاصة) ثم انتقاه فى جزء وسماه (المنتقي) ومنه نسخة فى دمشق واخرى فى الآصفية بروكلمان الذيل 110/2

48 ـ تذكرة الاخبار بما فى الوسيط من الاخبار ـ وهو فى مجلد والوسيط للامام ابي حامد الغزالي .

49 ـ التذكرة فى علوم الحديث ـ منه نسخة فى القاهرة ـ ذكرها بروكلمان 113/2 واخرى ضمن مجموع ـ برقم (47) فى فلسطين ـ ذكرها الدكتور محمد اسعد طلس مجلة المجمع العربي 446/20

50 ـ البلغة على ترتيب المنهاج ـ ذكر بروكلمان 110/2 ـ الذيل ان له نسخة فى دمشق

51 ـ حدائق الاولياء ـ منه نسخة فى برلين ـ بروكلمان 110/2 الذيل

52 ـ تصحيح الحاوي ـ منه نسخة فى المكتبة الازهرية برقم (61) 987

53 ـ عجالة المحتاج الى توجيه المنهاج ـ (العجالة فى الفروع الشافعية)

منه نسخ فى :

1) مكتبة الاوقاف العامة فى بغداد ـ رقم 3875

2) المكتبة الازهرية مرقم (34) 2 ـ 9 فى 268 ورقة بخط محمد بن محمد المشهور بالبطالة كتبه سنة 842 هـ

3) مكتبة الحجيات ـ الموصل برقم 181

4) مكتبة اللازكر ـ الموصل ـ النصف الاول برقم 170 والجزء الرابع برقم 171 واخرى فى مجلد برقم 181

5) مكتبة ابي شيث ـ برقم 134 واخرى برقم 135

6) الاصفية ـ الهند ذكرها ـ بروكلمان الذيل 110/2

54 ـ الكلام على سنة الجمعة قبلها وما بعدها ـ مطبوع فى الهند ومنه نسخة ضمت مجموعة سنة 1314 هـ ذكرها سركيس 252/1 فى معجمه . ومنه نسخة مخطوطة فى (رامبور) بروكلمان الذيل 110/2

وهذه الآثار ذكرها السخاوي وصفحة (101 ـ 102 ج 6) نقلا عن ابن الملقن وأشار الى بعضها السيوطي وابن السماد الحنبلي والشوكاني واسماعيل باشا البغدادي وحاجي خليفة .

55 ـ طبقات الاولياء ومناقب الاصفياء

عرفنا من هذا الاثر النسخ الآتي وصفها والتي هدانا اليها البحث وهي :

أ) نسخة فى الاصفية ـ ورقمها 308 كما ورد ذكرها فى فهرس مخطوطات الاصفية القسم الثاني

وتذكرة النوادر صفحة 104 وذكرها بروكلمان 776/1 والذيل 2 / 469 باسم « طبقات الصوفية » وفى معهد المخطوطات العربية المصورة التابع لجامعة الدول العربية فى القاهرة مخطوط مصور برقم 1129 واليك وصفه كما ورد فى فهرس المخطوطات المصورة التاريخ ، القسم الثالث الجزء الثاني للمرحوم الاستاذ فؤاد سيد ما نصه :

« طبقات الصوفية »

لمؤلف من القرن الثامن ، لم يعلم اسم الكتاب ولا اسم المؤلف لضياع اربعة كراريس من اول نسخة مكتوبة فى سنة 787 هـ . والكتاب مرتب على الحروف الابجدية واول الموجود منه فى اثناء ترجمة « بشر الحافي » وبآخره ذيل للكتاب ثم ذيل آخر بقلم واضح جلي جيد كتب سنة 787 هـ فى 324 ورقة ومسطرته 15 سطرا (9 × 13 سم) (الاصفية ـ بحيدرآباد ـ تراجم 3153) اهـ

واكبر الظن ان هذه النسخة هي نسخة المؤلف لكتاب طبقات الاولياء ولم نتمكن من الوقوف عليها حيث اننا طلبنا تصوير هذه المخطوطة منه عام 1967 م والى الآن لم نتسلم ردا . . »

وان كانت هذه النسخة تنقص ما يقرب من عشرين ورقة وفيها ما ينيف على اكثر من ثلاثين ترجمة .

ب) نسخة من خزانة المرحوم الدكتور محمد اسعد طلس

ذكر في الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف الصفحة (228) ولم نتمكن من الوقوف عليها عند زيارتنا لديار الشام في عام 1968 م – عام نكسة العرب .

ج) نسخة المكتبة الظاهرية

وهي برقم 4407 عام وقد اكتشفها العالم المرحوم الدكتر يوسف العش المتوفى سنة 1967 م ، ذلك عندما صنع فهرسا للتاريخ للظاهرية حيث استدل عليها في عبارة وردت في كتاب ابجد العلوم لصديق حسن خان الصفحة 156 (ترجمة احمد بن ابي الحواري) وفيها كلام لابن الملقن ومنه عرف ان النسخة المحفوظة في الظاهرية هي طبقات الاولياء.

وصفها :

تقع النسخة في 43 ورقة

مقياسها 20 × 12 سم

في كل صحيفة ثلاثة وعشرون سطرا

خطها دقيق جدا وجيد وقلمها اشبه بالفارسي

على الورقة الاولى منها التملكات التالية :

تملك باسم : عبد الله الرفاعي خطاط.

تملك باسم : الشيخ حسن القادري

وآخر باسم : الفقير ... محمد ... العمري

والنسخة كتبت في حدود سنة 1104 هـ وفيها هذا البيت من الشعر :

غريب في الضيافات

كنون الجمع في الاضافات

وفي الورقة الثانية كلام للشيخ ميمون بن محمد المكحولي في مسألة الروح في صحيفة واحدة

وفي الصحيفة الثانية من الورقة الثانية كلام بالتركية عن الشيخ محيي الدين ابن عربي وفي اعلاها العبارة التالية .. مرحوم ومغفور له هبة الله افندي حضر تلد بك خط اس تقلد يدر» اهـ. وتبدأ النسخة بترجمة (ابراهيم بن ادهم)

واولها .. الحمد لله على رفع الاعلام لمن شاء من الاعيان وعلى بيان الطريق لاهل التحقيق..)

واخرها .. وهذا ءاخر ما من الله تعالى به ويسره من جمع طبقات هؤلاء السادة والحمد لله تعالى وحده اولا وءاخرا .. »

وينتهي بترجمة (الشيخ علي بن ادريس) والنسخة تفضل بها على مصوره على الورق اكثر الا ان نقصانها يسد نقصان نسخة الام . وقد جعلت من هذه النسخة عضدا وعونا لنسختين الام والنسخة تفضل بها على مصوره على الورق – الفوتستات – الاخ الشيخ ابو بكر زهير شاريش الدمشقي الحنبلي مدير دار المكتب الاسلامي للطباعة والنشر فجزاه الله خيرا عن العلم واجمله .

د) نسخة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد –

وجعلتها نسختي (الام) لكمالها وتمام تراجمها وجودة خطها وقدمها .

وصفها :

تقع النسخة في مائة ورقة

مقياسها 21 × 14 سم

في كل صحيفة 26 سطرا وفي كل سطر اثنتين عشرة كلمة

خطها اعتيادي مقروء ورقها سميك جيد خشن

اسماء المترجمين كتبت بالحمرة وفي النسخة خرم صغير من اثر (ارضة) او نحوها وتبدا بالورقة 56 الى ءاخرها والخرم كان من اعلى الورقات من جهة اليسار وقد ذهب بعضه بشيء من الكتابة واكثر كلماتها غير معجمة . وعلى الورقة الاولى منها :

كتاب فيه طبقات الاولياء ومناقب الاصفياء . للشيخ الامام العالم العلامة الحجة الرحالة سراج الدين ابن الملقن تغمده تعالى برحمته . وفيها تمليك باسم :

محمد بن محمد الفرعمي بن الشيخ محيي الدين محمد بن عثمان الشاعر بتاريخ عشر ..... سنة .... (ويبدو ان التاريخ سنة ...... وتسعمائة)

وتمليك ءاخر

باسم عبد الكريم جابي

وءاخر باسم : الشيخ علي المصري سنة 1180 هـ

وتمليكان ءاخران ، ممحوان الاول كتابة والثاني (طغرى) والنسخة كانت في الاصل في مكتبة الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت ثم ءالت الى مكتبة الاوقاف العامة ما ءالت اليها من كتب المساجد

والجوامع فى بغداد او ابان انشائها في سنة 1928 م وتبدا بقوله .. الحمد لله على رفع الاعلام لمن شاء من الاعيان والاعلام وعلى بيان الطريق لاهل التحقيق واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له .. »

واولا ترجمة (ابراهيم بن ادهم)

وتنتهي بترجمة (الشيخ عثمان بن مرزوق القرشي) وءاخرها :

.. تمت، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، هذه النسخة المباركة طبقات الاولياء للشيخ ، العارف بالله تعالى الحجة سراج الدين بن الملقن الشافعي تغمده الله برحمته ونفعنا ببركه علومه على انه مسطرها افقر عباد الله الى عفوه ومغفرته يحيى بن شرف الدين محمد ابن علي بن حاتم بن احمد بن عز الدين بن حسن البكري الصعيدي علقها مسطرها للفقير الى الله تعالى الشيخ شهاب الدين أحمد بن سراج الدين بن عمر بن الشيخ العارف بالله تعالى المعتقد غرس الدين بن خليل الكردي البكري النشيلي في يوم الاحد المبارك سادس عشري جمادى الآخرة فى شهور سنة ثلاث وتسعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم « وحسبنا الله ونعم الوكيل » اهـ.

اهمية طبقات الاولياء :

لقد سبق سراج الدين ابن الملقن مؤلفون كتبوا فى تاريخ الصوفية ، وافاد منهم — بلا شك — فى تاليف طبقاته ومن هذه الطبقات التى سبقته لم يطبع منها الا كتاب (طبقات الصوفية) لابي عبد الرحمن السلمي وحلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني والرسالة القشيرية لابي القاسم القشيري .

وما لم يطبع منها فهو ليس بالقليل فمنها على سبيل المثال :

1 — مناقب الابرار لابي خميس ونسخة متوفرة فى استانبول وبلغارية وامريكا ودمشق وانجلترا .

2 — طبقات الصوفية — لمحمد بن الحسن منه نسخة فى بغداد

3 — تاريخ الصوفية لابي العباس النسوي الزاهد ونسخته فى الهند

4 — نسمات الانس لعبد الرحمن الجاحي ونسخة فى اكثر خزائن العالم فى ايران والقاهرة وانجلترا .

اما ما ورد ذكره فى فهارس الكتب التى عرضت لتاريخ الصوفية فكثير وربما تضمه بعض الخزائن في العالم . ولم تظفر المكتبة العربية بكتاب احتجن تراجم الصوفية والزهاد مثل طبقات الاولياء لابن الملقن .

والطبقات رتبها ابن الملقن على الحروف الابجدية ويشد فى هذا عندما يذكر اصحاب علم من اعلام التصوف فهو يذكرهم دون الاخذ بالمنهج الذى التزم به وبعد ان ينتهي الى حرف الياء يبدأ بطبقات اخرى .. وهي على الترتيب الهجائي ايضا . وعدد هذه الطبقات او الذيول كما اسماها المؤلف اربعة ذيول .

والطبقة الثالثة ، تراجم فيها الذين ماتوا فى القرن الثامن ولها ذيل وجعل فصلا مستقلا لترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني وتراجم اصحابه واسماه « درر الجواهر فى ذكرى شيء من مناقب سيدي عبد القادر .. »

ونسخة الظاهرية ورد اسمها فى فهرس التاريخ (حال الجيلي لابن الملقن)

وهي ملحقة بأصل طبقات الاولياء وتقع في اربع ورقات

فهو بحق موسوعة لتراجم الاصفياء الاخيار من عباد الله امتد من مطالع القرن الثاني للهجرة النبوية الشريفة الى القرن الثامن .

ويضم الكتاب :

وقد حلى المؤلف كل ترجمة من تراجمه بجملة صالحة من اقوال اهل الحقيقة نثرا وشعرا وهذه النصوص وردت فى بعض كتب التاريخ المعروفة الصوفية .

ويذكر ابن الملقن سبب تاليفه للطبقات وذلك فى اثناء ترجمة الشيخ احمد الصقيلي ابي العباس الشافعي خطيب الروضة بمصر .

وهذا الشيخ الصالح هو الذى اشار على ابن الملقن بترك نيابة القضاء فى القاهرة حيث بعث له ابو العباس من يمثله فى شهر شوال من شهور سنة ثمان وسبعين وسبعمائة واطلب اليه الشخوص عنده فامتثل امره بصحبة امير كان يحبه فلما وصل اليه امره بالجلوس الى جانبه واجرى امر الاشارة الى ترك نيابة القضاء بقوله « اعزل نفسك وهذا ليس مكانك » فعزل ابن الملقن نفسه وانصرف الى

التاليف والكتابة، ويذكر ابن العماد الحنبلي فى شذراته كما مر انه امتحن بسبب نيابة القضاء، ويقول ابن الملقن وصفت اذ ذاك هذه الطبقات فكانت درياق وكان ذلك عام 778 هـ وهو العام الذي مات فيه الشيخ ابو العباس الصقيلي ويذكر ابن الملقن سلسلة شيوخه الذين تسلك بهم واخذ عنهم اصول الطريقة وهم :

1 - رضي الدين ابو محمد الحسين بن عبد المؤمن بن علي الطبري سبط الامام محب الدين الطبري وذلك فى سنة 755 هـ ببولاق

2 - عز الدين ابو عمر عبد العزيز قاضي القضاة بدر الدين ابو عبد الله الكناني الشافعي المصري .

3 - ابو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي النحوي حيث اجازه جميع ما يسوغ له روايته وحضر عنده وسمع عليه وهو ليس من شيخة قطب الدين القسطلاني .

4 - ولي الله زين الدين ابو بكر بن قاسم الحنبلي

5 - جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن محمد ابن نصر الله المهدي الحنبلي .

6 - شرف الدين ابو البركات محمد بن الامام فخر الدين ابو بكر محمد الحذافي المالكي فى الاسكندرية فى سنة 755 هـ .

7 - امين الدين او عبد الله محمد بن الشيخ ابي العباس احمد بن الشيخ سراج الدين عمر بن عبد القادر القزي العسقلاني ، وذلك فى سنة 776 هـ .

8 - جمال الدين ابو محمد عبد الله بن الشيخ زين الدين عبد الرحمن القرشي الطلحي وذلك فى سنة 778 - .

9 - الشيخ احمد الصقيلي ابو العباس الشافعي خطيب الروضة

وبذلك لم يصل الينا كتاب بهذه السعة فى تاريخ الصوفية والزهاد . ومن هنا كان منطلقي فى نشره عسى ان يكون فى ذلك نشرا للقيم الروحية النابعة من مصدريها الاصليين القرءان والسنة بعد ان طغت التيارات المادية فى عصر الحضارة المعاصرة وبعد ان عرف الناس اسلام الفقهاء جرى بهم ان يقفوا على اسلام الزهاد والورعين كما يقول الغزالي .

فالصوفية هم لباب الخيار من عباد الله المصطفين ، والصوفية تعني بهم اصحاب المدرسة التى اقامت دعاماتها على (الاصلين) وعرضت عليهما فلسفتها فما وافقهما اخذت به وما اختلف معهما رفضته وهذه المدرسة التى اشتهرت بمدرسة الجنيد البغدادي وهم بهذا المعنى مصابيح الهداية ومناور الصلاح جاهدوا فى سبيل الله وجعلوا وكدهم التقرب اليه سبحانه بالورع والزهد والتقي والورع لب العقيدة والتقي جوهر الشريعة ،

وفى الكتاب بعض المسائل التى يرفضها العقل ولا يقر بها الواقع من ظهور كثير من الاضاليل والتمزق على يد طائفة من الذين انسلكوا فى عقد اهل التصوف من ظهور ، كرامات ونحوها وبعضها ما كان اساءة لاهل هذا العلم اما عن سوء قصد او عن حسن طوية .

فانني وقفت منها موقف المتحير المتردد بين اداء الامانة العلمية وبين خيانة هذه الامانة فى حذف مثل هذه الاخبار .. واخيرا صح العزم وايمانا مني بفداحة المسؤولية العلمية أبقيتها على ما وردت فى الكتاب .

لانني لا اريد انكار الكرامات للاولياء والصالحين فهذا ليس فى مقدور اي انسان انكارها بعد ان ثبت كثير منها قديما وحديثا فى عصر غزو الاقمار ..

وقديما قامت مناقشات بين جمهرة من العلماء والفقهاء حول ظهور الكرامة على يد الولي والفرق بينها وبين المعجزة لذلك حاولت التنبيه هنا على مثل هذه المسائل الغريبة وربما حدث فعلا فى عصر المؤلف وربما تضايل وذلك يقضي ابقاءها باعتبارها تمثل عصر المؤلف الثقافي ومدار افق اهل التاليف فى تلك الفترة التى تسرب الى معين التصوف فيها تيار دخيل فيه شوائب مقيتة وفيه شرر مجوسي. اما لغة الكتاب فهي سليمة عربية وان بدت جملة كبيرة من تعابيره اشبه بالعامية فهي تمثل لنا التطور اللغوي فى عصر المؤلف وانحدار قدر غير يسير من هذه الالفاظ والتعابير الى عصرنا الحاضر على السن العوام وحسبك ان المؤلف ابن الملقن من رواة الحديث والمفسرين والقراء والفقهاء والنحاة فلسفته مهذبة رفيعة جريئة .

منهجي فى تحقيق الكتاب :

بعد ان قمت بنسخ اصول الكتاب واعتمدت نسخة الاوقاف (اما) فى عملي عما ودت النظر فيه

وحاولت قراءة ما آنبهم من كلمة قراءة تضـرب الى الصواب واجتهدت في رسم كلمة وحروفه ووضعت ذلك بين حاصرتين ( ) لان هذه النسخـة الام متعبة جدا لغمس اكثر كلامها وصعوبة قراءة بعض النصوص الواردة فيها وان اكثر كلماتها غير معجمة كما سلف ـ واتخذت من نسخة المكتبة الظاهرية عضدا لنسختي وجعلت النص الناقص او المزيد في احدى النسختين بين حاصرتين كبيرتين مشيـرا الى ذلك في هـامش الصحيفـة ورمـزت لنسخـة الظاهرية بحرف (ظ) وللام بالاصل امـا المواقـع البلدانية والاماكنة الاثارية والمرقدية فقد اجتهدت في احاطتها بشيء من التعريف واحالة القاريء الى مراجع ذلك التعريف .

وكذلك بالنسبة الى الاعلام الواردة في اصـل الكتاب وهم جم غفير حاولت تعريفهم ما استفتنـي الى ذلك المظان ونسبت بعض النصـوص الشعريـة فيه الى اصحابها وان عرفت ذلـك واهملت ما لم يمكـن .

اما الكلام الذي لم اهتد الى صوابه فقد جعلت مكانه نقاطا هكذا (.....)

وقمت بترقيم التراجم ووضع كل ترجمة في اعلى صحيفة واخيرا اشكر الاخوان الذين تكرمـوا بتقديم ما احتجت اليه من ضرورات العمل وكذلـك رئاسة ديوان الاوقاف التي تكرمت مشكورة بنشـر هذا الكتاب وجعله من سلسلة مطبوعاتها التي اخذت على عاتقها القيام بنشرها ، مشـاركة منها في نشـر التراث الاسلامي الخالد .

وختاما ابتهل الى المولى القدير القهار الجبار اذ وفقني الى نشر هذه الجملة من التراجم من عباده المصطفين الاخيار والذين لم ينجوا من نكد الحياة وظلم أهلهـا ومن (المتسلميـن المتشدديـن تعصبـا وجهـلا .

واني مغتبط لبعث هذه الجمهرة من النحـاة والفقهاء والمفسـرين والقراء والمحدثيـن والمتكلميـن والفلاسـفة والزهاد والعباد وكلهم ارتضـى لنفسـه الحرمان من لذائذ الحياة والعكوف على عبادة الواحد الاحد والتفاني في حبه والتقرب اليه وهو حسبي واليه انيب ، ومنه استمد العون وبـه استعيـن ، لوجهه اسمى وهو الغني العظيم ـ سبحانه ـ

العـراق : عبد الله الجبـوري

آونـــة وأوان

يظن بعـض الكتـاب ان آونـة لفـظ مفـرد ، واهذا يستعملونها على هـذا الاسـاس ، والصحيـح انها جمـع أوان مثـل ازمنـة وزمـان .

من التراث الاندلسي :

أوصاف الناس في التواريخ والصلات

للوزير لسان الدين ابن الخطيب (713 - 772)

تحقيق ودراسة الدكتور محمد كمال شبانة

— 3 —

ومن ذلك في وصف :

14 — أبي عبد الله البـدوي

خطيب طلق اللسان ، وأديب رحب الاحسان . تشرف بالرحلة الحجازية ، وتبس من حسن الحجازية . ثم أسرع ببلده فحط لعتاده الرحل ، وأقبل اليه اقبال الغمامة على المحل ، فعظم به الاغتباط ، وتوفر الى تعد في الخطابة النشاط ، ولم تثن عن الغرض فيه الدعابة والانبساط .

وهو الآن خطيب بها يحرك المجامع ، ويقرط المسامع ، ويرسل من الجفون المدامع . وله في العربية حظ وافر ، وفي الآداب قسام سافر .

ومن ذلك في وصف :

15 — أبي جعفر بن فركون (1)

شيخ الجماعة وقاضيها، ومنفذ الاحكام وممضيها، وشائم سيوفها الماضية ومنتضيها . — كان رحمه الله — لجا لا يساجل موجه ، وفرقدا الا تتعاطى أوجه . تقدم ميزانه ونفسه على ابناء جنسه ، واربى يومه على أمسه . فهدر هدرة البازل (2) وتقدم في استنباط الاحكام ومعرفة النوازل (78 : أ) الى وقار تود رضوى حناصته ، وصدر تحسد الارض العريضة ساحته ، ونادره يدعوها فلا تتوقف ، ويلقى عصاها فتتلقف . وكان له في الادب مشاركة ، وفي فريضة النظم حصة مباركة .

ومن ذلك في وصف :

16 — أبي جعفر بن ابي جبـل

قد تثني عليه الخناصر ، وصدر لا يحصر فضائله حاصر . وقاض يريش سهام الاحكام ويبريها ، ويزيل بنظره الشبه التي تعتريها ، ويعطيه مقاصل الفصل بذهنه الدلق النصل فيفريها . تولى الاقطار فازدانت،

1) هو الشيخ الفقيه ابو جعفر احمد بن محمد بن احمد بن محمد ابن احمد القرشي، أحد أعلام الفقهاء بالاندلس ، طالما أسند اليه منصب القضـاء فنهض بأعبائه الجسام ، وعرف بحسن المجالسة ، وطيب المحاضرة، دقيق النظر ، مشارا بالعدالة والنزاهة والوقار ، مشهورا برحابة الصدر وحلاوة الدعابة « طال يوما بين يديه قعود رجل اسمه أحمد بن معاوية ، دعا اليه في حق وقع الفصل فيه ؛ فاستأذنه في الذهاب ؛ فقال ياسيدي ! ينصرف احمد ؟ فقال : لا ينصرف ! فاقام ذلك الرجل وجلا ، حتى نبه على ان القاضي انما قصد التورية » .

تولى القضاء بعدة مدن ؛ منها رندة ، ومالقة والمرية ، ولما التحق بغرناطة استمر قضاؤه بها مع الخطابة ، وذلك حتى أول عصر السلطان أبي الوليد اسماعيل بن الاحمر . ولد — رحمه الله — عام 649 هـ ، وتوفى في 16 ذي القعدة عام 729 هـ . راجع : ابو الحسن النباهي المالقي في « المرقبة العليا » ص 138 — 139 ط بيروت .

2) البازل : يقال : رجل بازل ، اي فيه شدة ، وله خبرة ، ويقولون : « رمى باشهب بازل » اي بامر صعب .

وتقلد الاحكام فلاحت المعدلة وبانت ، وظهرت الحقوق الشرعية لاهلها حيث كانت .

واما الادب فكان ــ رحمه الله ــ سابق حلبـــة زمانه ومجتليها ، ومتناول رايته ومتوليها ، وان كان لغير فن الادب مصروفا ، وبالعلوم الشرعية معروفا .

ومن ذلك في وصف :

17 ــ أبي بكر ابن شبرين ، رحمه الله (3)

خاتمة المحسنين ، وقدوة الفصحاء اللسنين ، قريع بيت (78 : ب) زاحم النجوم بكاهله ، وورد من المجد اعذب مناهله . ملأ العيون هديا وسمتا ، وسلك من الوقار طريقة لا ترى عوجا ولا امتا (4) : فما شئت من فضل ذات ، وبراعة أدوات ، ان خـــط نـــزل عن درجته وانحط ، وان نظم ونثر نعت البلغــاء ذلـــك الاثر ، وان تكلم انصت الحفل لاسماعــه ، وشـــرع ــ لدرره النفسية ــ صدف أسماعه .

وفد على الاندلس ــ عند كائنة سبتة (5) ، وقد طوحت النوى برجاله ، وظعن عن ربعه لتوالي امحاله ــ (وبها) مصرف الدولة في بلادنـا ، والمستولي على طارفها وتلادها ، مفـرس الادب ومقينهـا ، وناعـش العثرات ومميلها ؛ ابو عبد الله بن الحكيم ــ قدس الله صداه ، وسقى منتداه ــ فاهتز لقدومـــه اهتـــزاز الصارم ، وتلقاه تلقي الاكارم ، وانهض الى الغاية آماله

---

3) هو الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الجذامي المعروف بابن شبرين ، ولد حوالي سنة 660 هـ ، بمدينة سبتة ، التي كان قد انتقل اليها ابوه عقب سقوط اشبيلية في ايـدي الاسبان ابان حروب الاسترداد ؛ اذ أصله من شلب من كورة باجة باشبيلية . تولى الكتابة السلطانية في غرناطة اواخر عام 705 هـ ، ثم تقلد منصب القضاء بكثير من الجهات بالاندلس . « وكان ــ رحمه الله ــ فريد دهره في حسن السمت ، وجمال الرواء ، وبراعة الخط ، وطيب المجالسة ، من أهل الفضل والدين والعدالة ، غاية في حسن العهد ومجاملة العشرة . أشد الناس اقتدارا على نظـم الشعر والكسب الرائق » ، ومن مشايخه جده لامة الاستاذ ابو بكر بن عبيدة الاشبيلي ، والاستاذ ابو اسحاق الغافقي . وروى عن كثيرين من أعلام العصر ، فمنهم قاضي الجماعة الشيخ الامام ابـو اسحاق ابراهيم بن عبد الرفيع وغيره ، وذلك ابان رحلته الى تونس ، حيث تقي هذا العالم الكبير .
من شعره في وصف برد غرناطة :

رعى الله مـن غرناطـة متبـوءا	يسـر كئيبـا ، أو يجيـر طريـدا
تبرم منها صاحبي بعـد مـا راى	مسـارحهـا بالبـرد عـدن جليـدا
هي الثغر صان الله من أهلـت	وما خير ثغـر لا يكـون بـرودا

توفي في اليوم الثالث من شعبان عام 747 هـ ، ولم يترك خلفا من الذكور .
راجع . النباهي في « المرقبة العليا » ص 153 .

4) اقتباسا من قوله تعالى : « ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا . فيذرها قاعا صفصفـا . لا ترى فيها عوجا ولا امتا » آية : 105 ــ 107 سـورة طــه .

5) هي احدى المدن الساحلية شمال المغرب وضمن ترابه ، ولكنها تتبع حاليا اسبانيا . لها تاريخها على مر العصور الوسطى الاسلامية ، من حيث كونها قاعدة سياسية هامة ، وقد اتخذها الاميون مركـزا حربيا رئيسيا ، فكانوا يصدون منها تيـار الفاطميين ، وفي القرن الثالث عشر الميلادي استولت عليها أسرة « بني العزفي » الاندلسية ، ثم بقيت تحت حكم بني الاحمر أمراء غرناطة فترة من الوقت ، ثم استولى عليها البرتغال في القرن الخامس عشر ، وأخيرا ضمها الاسبان اليهم ، وما تزال تحت حكمهم حتى اليوم . واليها ينتسـب العالـم « مرانـة السبتي » من اعلم النـاس بالحسـاب والهندسـة والفرائض والتأليف ، ومن تلامذته « ابن مرانة الفرضي » الحاسب ، يقولون انه كان من أهل بلده ، وكان المعتمد بن عباد يقول « اشتهيت ان يكون عندي من أهل سبتة ثلاثة نفر : ابن غازي الخطيب ، وابن عطاء الكاتب ، وابن مرانة الفرضي » .
اما الكائنة التي يشير اليها المؤلف فقد حدثت عام 705 هـ ، وسنعود الى الحديث عنها في مناسبـة اخرى قادمة .
راجع : الحموي في « معجم البلدان » جـ 10 ص 182 ــ 183 ط . القاهرة 1906 م .

والقى له قبل السواده ماله ، ونظمه فى سمت الكتاب ، وأسلاه عن أعمال الاقتاد والاقتاب ، ولم زمامه يتأكد فى هذه الدول ، وتربى له ولايته منهـا على الاول . فتصرف فى القضاء بجهاتها ، ونادته (79 : أ) العناية هاك وهاتها ، فجدد عهد حكامها العـدول من سلفـه وقضاتهـا .

وله فى الادب الذي تحلت بقلائده اللبات والنحور، وقصرت عن جواهره البحور ، رسيـر ذلـك ــ فى تضاعيف هذا المجموع ــ ما يشهد بسعة درعه ، ويخبر بكرم عنصره وطيب نبعه .

ومن ذلك فى وصف :

18 ــ أبي القاسم الخضر بن أبي العافية (6) رحمه الله

فارس ميدان البيان ، وليس الخبر كالعيـان ، حامل لواء الاحسان ، لاهل هذا اللسان ، رفـل فى حلل البدائع فسحب اذيالها ، وشعشـع أكـواس العجائب فأدار جريالها ، (7) واقتحم على الفحـول أغيالها ، وطمح الى الغاية البعيدة فنالهـا ، وتذوكرت المخترعات فقال : أنا لها . عكف واجتهد ، وبرز الى مقارعة المشكلات وشهد ، فعلم وحصل ، وبلغ الغاية وتوصل . وتولى القضاء فاضطلع باحكام الشـرع ، وبرع فى معرفة الاصل والفرع ، وتميز فى المسائـل بطول الباع (79 : ب) وسعة الذرع ، فأصبح صدرا فى مصره ، وغرة فى صفحة دهره .

ومن ذلك فى وصف :

19 ــ أبي اسحاق بن جابر الوادي آشي (8)

فحل هادر ، وبليغ ــ على الكلام ــ قادر ، اهتز له العصر على رجاحة أطواره ، وظهر له الفضل على كثرة حساده . ولما جلى فى منصة الابداع بنات فكره، وحاسن عقائل الحى الحلال بفكره ، طولب باثبات تلك البنوة ، وقيل : هذا الجمل وهذه الكوة ، فخاصم حتى اظهر الحق ، وتمم فاستحق ، وذيل ووطى ، وتجاوز الغاية البعيدة وتخطى .

ولم تزل بدائعه فى اشتهار ، وروضات آدابه ذات أزهار ، وتصرف فى الكتابة فكان صدر ناديها ، وقلادة هاديها . وولي خطة القضاء فى هذه المدة ، وقد ناهز اكتماله وبلغ أشده ، وحسنت سيرته ، وأثنت عليه بكل عمل جيرته . وله نفس الى العلم مرتاحة ، وخواطر تنتجع منه كل ساحة ، هام فيه بكل مستحيل وجائز، وكلف حتى بعلوم العجائز . وشعره جزل الاسلوب ، وعذب (80 : أ) فى الافواه والقلوب .

ومن ذلك فى وصف :

20 ــ أبي عبد الله بن غالب الطريفـي

طويل القادمة والخافية (9) محكم لبناء البيت وتأسيس القافية . صاحب طبع معين ، وآست من القصائد بحور عين . عكف على النظم فى جبله ، عكوف

---

6) هو الشيخ القاضي الخضر بن احمد بن أبي العافية الانصاري ، وكنيته ابو القاسم ، ويعرف بابن أبي العافيه ، من أهل غرناطة . اشتهر من بين اعلام القضاء ، معروفا بفتاواه وحل المعضلات ، واستخراج النصوص الغريبة ، ونسخه لها بيده ، وتقييده الكثير من المسائل ، كما كان مضطلعا بنوازل الاحكام، وهو ــ الى ذلك ــ من أئمة النحو فى الاندلس . وكان مقصد القضاة، ومحل استشارتهم فى المشكلات، بارعا فى الادب ، ظريفا فى الخط ، ممارسا للشعر. توفى ــ رحمه الله ــ بمدينة برجة ؛ ولكن دفن فى غرناطة ، عند باب البيرة ، الذي ما يزال قائما حتى اليوم من ابواب العاصمة ، قرب ميدان النصر الان ، وذلك عصر يوم الاربعاء آخر ربيع الاولمن عام 745 هـ ، فى عهد السلطان ابى الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر (733 ــ 755 ــ هـ = 1333 1354 م) كما كان معاصرا للمؤلف (ابن الخطيب). راجع : النباهي فى « المرقبة العليا » ص 149 ــ 152 .

7) الجرية فى الاصل : حوصلة الطائر .

8) النسبة الى « وادي آش » أو « واداش » كمـا ترسمها بعض المخطوطات ، احدى المدن الاندلسية ، تقع شمال شرق غرناطة ، على نهر فردس ، وتبعد عن العاصمة بنحو خمسة وخمسين كيلومترات ، وللمدينة تاريخها عبر العصر الاسلامي ، وما تزال قائمـة حتـى اليـوم .
راجع : الحميري فى « الروض المعطار » ص 192 193 نشر ليفي بروفنسال ، ط . لندن 1938 .

9) القوادم والخوافي : أوصاف تتعلق بريش الطائر ، فالقوادم هي الريشات فى مقدم الجناح ، وهـي عادة تكون كبار الريش ، والخوافي صغاره ، ومكانها تحت القوادم ، والتعبير هنا مستعار للكتابة .

الراهب على إنجيله . ولم يزل يفوق الى كل عــرض سهامه ، ويستسقي صيبه وجهامه ، ويهز ماضيــه وكهامه ، حتى اشتهرت ابياتــه ، وحفظت بديهاته ورواياته . وتصرف في القضاء فاستقام أوده ، وانطلقت في الحكم يده .

وكانت له وفادات على ملوك هذه الــدول ، في العصور الاول ، نظم فيها ومدح ، وقدح من قريحته مـــا قـــدح .

وتوفي ببلده عن سن عالية ، وزمانة متوالية . ولما شرع المؤلف ــ رضي الله عنه ــ في انشاء هذا الكتاب بعث اليه بعض أهل بلده ــ ممن عني بحفــظ الطروس ، واحيائها بعــد الــدروس ــ (80 : ب) بمهارق (10) اكل الدهر منها ماتجسم ، وانتهبها الدهر ما شاء وتقسم ، فاثبت له ما ينظر في محله ، ان شاء اللـــه .

ومن ذلك في وصف :

21 ــ أبي القاسم المعروف بابن الجقالة

صدر في القضاة ، وينبوع للخلال المرتضـــاة ، وطائع لسيوف القلم المنتضاة .

نشأ ببلده رندة (11) ــ حرسها الله ــ صـــدر سكانها ، وفضيلة مكانها وزمانها ، وعين أعيانهـــا ، وحامل لواء بيانها . ولم يزل يسلك من الفضـــل على السنن المأثور ، ويركض جياد المنثـــور ، فاغـــرب الغرب بآدابه ، وتعلق الاحسان بأهدابه .

وتولى الاحكام الشرعية ، فاجال قداحها ، وقرر مكرورها ومباحها ، وتناول المسائل فأبان صباحها ، حتى خلصت فيه السرائر ، وعقدت على حبه الضمائر ، وطابت به الخواطر ، وتضوع من ثنائه المسك العاطر . وقعد لهذا العهد الكبر ، وحرم عليه الاجل المنتظر ، فتعطلت لضمه تلك النـــســـوق (81 : أ) ، وعـــدم لانعدام بيانه ــ الدر المنسوق .

ومن ذلك في وصف :

22 ــ أبي الحجاج المنشافري

حسنة الدهر الكثير العيوب ، وتوبة الزمـــان الجم الذنوب ؛ ما شئت من بشر يتالق ، وادب تتعطر به النسمات وتتخلق ، ونفــس كريمـــة الشمائـــل والضرائب ، وقريحة يقذف بحرها بماء الفرائـــب . الى خشية الله تعالى تحول بين القلوب وقرارهـــا ، ومراقبة تثني النفوس (عن) اغترارها . ولسان يبوح باشواقه ، وجفن يسخو بدرر آماقه ، وحـــرص على لقاء كل ذي علم وأدب ، وبحث عمن يمت ــ الى أهل الديانة والعبادة ــ بسبب .

سبق بقطره الحلبة ، ففرع من الادب الهضبة ، ورفع الراية ، وبلغ الغاية . فطارت قصائده كل المطار ، وتغنى بها راكب الفلك وحادي القطار . وتقلد خطة القضاء ببلده ، وانتهت اليــه رياسة الاحكام بين أهلــه وولده ، فوضحت المذاهب بفضل مذهبـــه وحسن مقصده . وله شيمة في الوفاء تعلـــم منهـــا الآس ، ومؤانسة عذبة لا تستطيعها الاكواس .

---

(10) المهارق : ج مهرق ، وهو الصحيفة .

(11) تقع مدينة رندة غرب مالقة ، وقد كانت من أهم القواعد الاندلسية ، كما كانت من اهم مدن غرناطة ، وتعتبر الحصن الذي يحمي مالقة من ناحية الغرب ، ولذلك لما سقطت رندة في يد الاسبان في ابريــل 1485 م (جمادى الاولى 890 هـ) أضحى الطريق سهلا لاستيلاء القشتاليين على مالقة ، فقد سقطت هذه الاخيرة بعد قليل في ايديهم (اغسطس 1487 م) = (شعبان 892 هـ) . وتشرف المدينة على منطقة عالية من الربى ، ويشقها من وسطها وادي ليبين ، وقد وصف ابن بطوطة رنــدة حينمـــا زار الاندلس عام 1350 م بقوله : « وهي من امنع معاقل المسلمين ، واجملها وصفا » ويبلغ عدد سكانها حاليا 35 الف نسمة ، فهي مدينة متوسطة الحجم ، يغلب عليها طابع القدم والبساطة ، وتبدو في مسحة اندلسية واضحة ، من أهم الآثار العربية بها حتى اليوم ؛ اطلال القصبة الشهيرة ، والقنطرة عند مدخل المدينة الغربي ، وهي ذات عقد واحد بالغ الارتفاع ، ثم الحمامات العربية ، وهي اطلال دارســـة ، تقع بمقربة من الكنيســة العظمى ، ومن الآثار كذلك « المنارة » في نهاية المدينة ، ويبلغ طولها حوالي 12 مترا ، وقصر الامير ابي مالك ، ويقع في طرف المدينة الجنوبي ، وباب المقابر في حي « فرانسسكو » والى هذه المدينة ينسب الفقيه ابن عباد الرندي .

راجع : ما كتبه « ليفي بروفنسال » عن هذه المدينـــــة في Enc. ISI - III, p. 1.254 ثم مجلة الاندلس ، العدد : 472 (1944) .

(81 : ب) ومن ذلك في وصف :

23 ـ أبي محمد عبد الحق بن عطية (12)

قريع بيت أصيل ، وصدر معرفة وتحصيل . نشأ على العفاف ، وتبلغ بالكفاف ، وعمل على شاكلة من له من كرام الاسلاف . الى نفس ملابسها الحيا والوقار ، وادب تنم عنه اخلاقه كما تنم تحت الزجاجة العقار ، وخط تهيم بمرقومه الابصار ، وبلاغة هذبها الاختصار ، ومحاضرة تتجلى بها الليالي القصار .

تقدم بقطره الى الخطابة والامامة ، اطهر من ماء الغمامة ، واطيب من بنت الكمامة ، ففرع ـ على حداثة السن ـ أعوادها ، وبلغ آمادها ، واصبح من الصدور فؤادها ، ومن العيون سوادها ، ولا ينكر العذب في ينبوعه ، والنور في مشرق طلوعه . وقد اثبت من ادبه ، ما يعرب عن مذهبه .

ومن ذلك في وصف :

24 ـ أبي القاسم بن عيسى

قريع فضل ومجادة ، وضارب في هدف الآداب بسهم اجادة .

كان ابوه ـ رحمه الله ـ خطيب مالقة (13) صدر فضلائها ، وواسطة (82 : أ) علائها . ونشأ هذا الفاضل ـ رحمه الله ـ سالكا في العفاف على مسلكه ، ومنتقلا في درجات فلكه .

تولى القضاء لاول أمره ، على حداثة سنه وجدة عمره . ثم دعي للكتابة فتنقل الى الحضرة (14) وتحول ، وعزم على المقام بها وعول ، فاجال براعته ، وشهر براعته . ولما عضه الاغتراب ، وباين وطنه كما باين السيف القراب ، شاقه الاهل والاتراب ، والماء والتراب ، وحن الى دوحه الذي به تأود ، وكبرت عليه الخدمة وصعب على الانسان ما لم يعود . فرغب في الانصراف الى بلده ، واحتمال اهله وولده . وهو اليوم قاضي جهاتها الغربية ، ومنفذ احكامها الشرعية .

وله ادب وخط ، وبحر من المعرفة ليس له شط . وقد اثبت من شعره ما يشيد بذكره .

(يتبع)

مكناس : دكتور محمد كمال شبانه

---

12) هو الشيخ القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، نشأ بغرناطة ، وتولى القضاء بالمدن الاندلسية ، واشتهر بيته بالعلم والفضل والكرم ، وعرف هو بالتبريز في الاحكام والحديث والتفسير ، كما كان بارعا في الادب والشعر ، لغويا ، مستخرجا للنصوص ، مقيدا لها . له تفسيره القرآني المشهور « الوجيز في التفسير » ، يقولون : انه من احسن التآليف وابدع التصانيف في هذا المضمار . كانت ولادته عام 481 هـ ، وتوفي رحمه الله يوم 25 رمضان عام 541 هـ . راجع : « المرقبة العليا » للنباهي ، ص 109 .

13) هي مدينة ساحلية على البحر الابيض المتوسط ، جنوب شرق الاندلس ، يرجع تاسيسها الى الفينيقيين عام 1200 ق. م ، كانت تشتهر قديما بالاسماك المملحة ، وتتوفر المدينة حاليا على اجود أنواع الفواكه ، ولها شهرة في صناعة الفخار . ولقد كانت عاصمة الحموديين الادارسة زمن ملوك الطوائف ، والى هذا يشير لسان الدين ابن الخطيب في كتابه « معيار الاختيار ، في ذكر المعيار والديار » فيقول : « كرسي ملك عتيق ، ومدرج ملك فتيق ، وايوان اكاسرة ، ومرقب عقاب كاسرة ، ومجلى فاتنة حاسرة ، وصفقة غير خاسرة » ، كما كان بنو الاحمر يعتبرونها العاصمة الثانية بعد غرناطة .
راجع : المقري في « نفح الطيب » ج 1 ص 186 ، تحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد ط القاهرة . وياقوت الحموي في « معجم البلدان » ج 17 ص 367 .

14) يعني بالحضرة : غرناطة العاصمة النصرية .



هذا الكتاب :

رسائل حربية حول المغرب في عهد مولاي اليزيد

(1792 - 1790)

تأليف المستشرق الاسباني ماريانو ريباس يلاو
تقديم الأستاذ حسن الوراكلي

للاستشراق الاسباني اسهام كبير في خدمة تراث الفكر العربي تحقيقا ودراسة ونشرا (1) وخاصة ما كان متعلقا منه بالاندلس والمغرب ، ويعتبر الدكتور ماريانو أريباس يلاو (2) احد المستشرقين الاسبان الذين عنوا بدراسة التاريخ المغربي والتنقيب عن الوثائق النادرة التي تلقي أضواء ساطعة على جوانب غامضة وزوايا مجهولة من تاريخنا ، وعلى مدى الاعوام التي امضاها الدكتور أريباس بالمغرب أنجز عديدا من الدراسات كان يستهدف بها على الخصوص الكشف عن العلاقات التي كانت تقوم بين المغرب واسبانيا ، ونذكر من دراساته على سبيل المثال لا الحصر : ا) سفارة مغربية مبعوثة الى اسبانيا سنة 1792

Una embajada marroqui enviada a España en 1792

وقد اصدر هذه الدراسة في كتيب سنة 1953) (3).

ب) معلومات جديدة عن سفارة محمد الدليمي

Nuebos datos sobre la embajada de Mohamed Al Dalimi, 1792

ب) معلومات جديد جديدة عن سفارة محمد الدليمي المغرب وفرناندو الاول ملك أراغون

Intercambio de embajadas entre Abú Saíd Utmán III de Marruecos y Fernando I de Aragón

وقد نشر الدكتور ماريانو أبحاثا بالعربية في مجلة تطوان (4) نذكر منها : ا) رسالة من سلطانة المغرب للا فاطمة الى ماريا لويسا دي بارما اميرة اشتورياس ب) بنو مرين في الاتفاقات بين أراغون وغرناطة .

ج) مبايعة مولاي مسلمة بطنجة عقب وفاة مولاي اليزيد .

---

(1) فصلنا الكلام عن ذلك في بحث اعددناه عن الاستشراق والمستشرقين الاسبان .

(2) ولد د. ماريانو اريباس يلاو سنة 1917 ببرشلونة ، وتخرج من جامعتها « كلية الفلسفة والآداب » ثم اوفد الى المغرب سنة 1943 بتعيين في « معهد مولاي الحسن للابحاث » بتطوان ، وقد ساعدته طبيعة وظيفته على توسيع آفاق معرفته بالعربية ، فأكب على دراسة تاريخ علاقات المغرب باسبانيا وانشأ في ذلك الابحاث . وشارك د. ماريانو في مؤتمرات للدراسات العربية وتاريخ شمال افريقيا في كل من اسبانيا وايطاليا .

(3) انظر مجلة تمودة 2 – 1 – 1954 .

(4) انظر مجلة تطوان ، الاعداد : 2 – 1957 ، 8 – 1963 ، 5 – 1960 .

وقد توج الدكتور ماريانو دراساته التى ذكرنا والتي لم نذكر بكتابه القيم « رسائل عربيــة حــول المغــرب فــى عــهــد مــولاي اليــزيــد » (5)
Cartas árabes de Marruecos en tiempo de Mulay Al-Jazid (1790-1792)

وهذا الكتاب عبارة عن اطروحة تقدم بها المؤلف الى كلية الفلسفة والآداب بجامعة برشلونة للحصول على درجة الدكتوره وكان الذى اشرف على اعدادها الدكتور خوسي مياس فييكروسا ، وهو مستشرق مشهور تخرج على يده عديد من المستشرقين كان منهم صاحب الكتاب الذى نحدثك عنه ، وقد نوقشت الاطروحة من طرف لجنة مؤلفة من كبار اساتذة جامعة برشلونة ومن بينهم الصديق الدكتور خوان فرنط (6)، وهو مستشرق ذائع الصيت فى محافل الاستشراق العالمية .

يقع كتاب « رسائل عربية حول المغرب فى عهد مولاي اليزيد » فى 193 صفحـة ـ 23×17 . وقد قسمه المؤلف بالشكل التالي :

1) مدخل من ص 11 الى ص 32 ، وقد شرح فيه المؤلف الحوافز التى حملته على دراسة فترة حكم السلطان مولاي اليزيد بالذات كما شرح المنهج الذى اتبعه فى ترتيب الوثائق التى استطاع الظفر بها ، ومن ثم مضى يدرس الوثائق ـ الرسائل من حيث الشكل خاصة لينتهي الى تحليلها تحليلا دبلوماسيا.

يقول المؤلف فى مدخل دراستـه : (7) « ان العلاقات التى كانت قائمة بين اسبانيا والمغرب خلال العصور الحديثة قد مسها تغير جذري فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وقد درست بعض فترات النصف الاخير من القرن المذكور بصورة نستطيع اعتبارها مستوفية غير منقوصة ، وذلك مثل ما حدث ، على سبيل المثال، لسنوات حكم كارلوس الثالث ملك اسبانيا وعلاقاته بالسلطان مولاي محمد بن عبد الله (8) ملك المغرب ، على حين لم تحظ فترات اخرى من النصف الاخير للقرن المذكور بالدرس الكافي والبحث المستوفي ، ومن ثم كانت معرفتنا لها ناقصة ، كثيرة الثغرات ، وانه لمن المدهش حقا ان تكون معرفتنا كاملة بما فيه الكفاية للفترة التى حكم فيها السلطان مولاي محمد بن عبد الله بينما تظل فترة حكم ولده وخلفه مولاي اليزيد ضمن الفترات التى لم يعن الباحثون بدرسها والتعريف بها ، ولعل مرد ذلك ، بلا شك ، الى قصر فترة حكمه التى لم تدم غير سنتين (ابريل 1790 ـ 1792) الامر الذى حمل المؤرخين على عدم العناية به الا بشكل موجز وجزئي معتبرين الفترة المذكورة

---

(5) نشر د. ماريانو موجزا لاطروحته يقع فى 34 صفحة ، وقد ترجمه الاستاذ عبد اللطيف الخطيب ، ونشرته مجلة تطوان فى عددها 3 ـ 4 ـ 1959 .

(6) اهداني الصديق د. فرنط ، مشكورا ، نسخة من ءاخر مؤلف صدر له وهو « الادب العربي » ، وسافرده بحديث فى عدد مقبل بحول الله .

(7) انظر : M. A. Palau: «Cartas árabes de Marruecos...», págs 11 y sigs

(8) نهض بدراسة هذه العلاقات فيثنطي رودريكيث كاسادو فى كتابه « السياسة المغربية لكارلوس الثالث Politica marroqui de Carlos III مدريد 1946 ، ويجب ، ايضا ، النظر فى كتاب منويل كونرطي الذي عنوانه : « اسبانيا والا قطار الاسلاميـة خلال وزارة فلوريدابلانكا España y los paises musulmanes durante el ministerio de Floridablanca « المؤلف » . مدريد 1909

ماحقا ، فقط ، لفترة والده مولاي محمد بن عبد الله (9).

وبقصد تعميق الدرس حول هاتين السنتين اللتين عاش المغرب خلالهما تحت ظل حكم مولاي اليزيد بدات البحث عن مجموعة الوثائق التى لها علاقة بتلك الفترة والمحفوظ بالارشيف التاريخي الوطني بمدريد – قسم الدولة – (10)، وهناك استطعت العثور على مادة ثرية ، تبرز من بينها رسائل عربية مختلفة ، لكنها ليست ذات عدد كبير ، بيد انني اعتبرتها ، مع ذلك ، ولاهميتها البالغة مما يستوجب بحثا خاصا ودراسة مستقلة »

اما عدد الرسائل التى تجمع لديه فهو اربع وثلاثون رسالة ، ميزتها ، كما يقول ، تكمن فى انها جميعها نصوص اصلية ، غير ان هذا العدد من الرسائل لم يكتب كله على عهد مولاي اليزيد ، فهناك من ضمن هذه الرسائل ثلاث عشرة رسالة كتبت بعد وفاة السلطان مولاي اليزيد ، ولكنها ، برغم ذلك، وثيقة الارتباط به وبفترة حكمه، فاضطر المؤلف الى درسها وتحليلها اعتقادا منه ان الحاقها بالرسائل الاخرى امر منطقي ضروري حتى تكتمل لصورة البحث قسماتها وملامحها . وقد سلك ، كما يسلك ، منهجا تاريخيا فى ترتيب الرسائل واستخراج ما يجلو الفترة التى يدرسها .

وفيما يتعلق بشكل الرسائل ، خطا واملاء واسلوبا ، ابدى د. ماريانو عدة ملاحظات: أ) صعوبة قراءة الخط المغربي الذى كتبت به . ب) وجود كلمات مكتوبة بصورة غير صائبة . ج) اسلوب الرسائل عادي تماما ، ليس يلمس فيه أي اثر يدل على محاولة التأنق والعناية به باستثناء فقرات مسجوعة تطالعنا بها بعض الرسائل فى بعض الاحيان ، وبالاضافة الى ذلك لفت نظر المؤلف فى الرسائل كلمات كثيرة ليست عربية ولا هي من معجم العامية المغربية ، بل هي من اصل اوروبي (اسباني غالبا) فمضى يرصدها ويحصيها وانتهى من ذلك الى ايراد ثبت ابجدي بها.

وختم المؤلف مدخل أطروحته بدراسة حلل فيها الرسائل التى اعتمدها فى بحثه تحليلا دبلوماسيا، يمكننا تلخيصه وتقديمه فى خطوطه العامة على هذا النحو : تختلف هذه الرسائل من حيث مصدرها هكذا : أ) ملوك او مطالبون بالعرش (احدى عشرة رسالة من مولاي اليزيد واثنتان من الامير مولاي

---

(9) ليس يبدو ان فترة حكم السلطان مولاي اليزيد قد كانت موضوع دراسة وصفية خاصة ، فلسنا نعرف عن السلطان المذكور وعن فترة ملكه الا ما حدثتنا به كتب التاريخ العام مثل الترجمانة للزياني، ترجمة وتلخيص D. Houdas بعنوان : « المغرب من سنة 1631 الى 1812 « Le Maroc de 1631 à 1812- باريس 1886 ، ص 86 والتى تليها ، ومثل كتاب الاستقصا للناصري ج 8 – الدار البيضاء 1956 ، ص 72 والتى تليها ، ترجمة Fumey فى السجلات المغربية « Archives Marocaines » ج 9 باريس 1906 ، ص 364 والتى تليها .
وقد خص رودريكت كاسادو فى كتابه المذكور قبلا مولاي اليزيد بفصل مقتضب (من ص 376 الى 381)، وعني كونرطي بالحديث عن العلاقات الاسبانية بمولاي اليزيد فى كتابه المذكور : «اسبانيا والبلاد الاسلامية ..» من ص 273 الى ص 290. وبالاضافة الى ذلك هناك دراسة لسنوات نفي مولاي اليزيد قبل اعتلائه عرش المغرب ، انجزها Henri Basset وعنوانها : اعوام نفي مولاي اليزيد Les années d'exil de Moulay el Yazid, 1784-89
وهي منشورة فى نشرة لتعليم الابتدائي بالمغرب Bulletin de l'enseignement primaire au Maroc 1923 – من ص 339 الى 349 ، وقد تمكنت من الاطلاع على هذا المقال الهام بفضل الاستاذ M. Louis di Giacmo الذى تلطف فوضع بين يدي نسخة من المقال المذكور على الميكرو فيلم – المؤلف –

(10) ان مجموعات قسم الدولة التى تضم الجزء الاوفر من مراسلات هاتين السنتين هي التى تحمل من رقم 4322 الى رقم 4329 . اما رقم 5818 فهو متعلق بسفارة محمد بن عثمان ، بيد انني راجعت ، ايضا ، المجموعات الاخرى التى توجد بقسم الدولة والتى تضم وثائق متعلقة بالمغرب – المؤلف –

هشام) . ب) سفراء (ثلاث رسائل من محمد بن عبد الله الزوين موفد من طرف السلطان مولاي محمد بن عبد الله الى القسطنطينية وثماني رسائل من محمد ابن عثمان موفد من طرف السلطان مولاي اليزيد الى مدريد) . ج) عمـال (اثنتان من عبد الملك بن محمد عامل طنجة واثنتان من مولاي علي بـن ادريـس ابـن اسماعيل حاكم منطقة حدود سبتة وواحدة من محمد ابن الكاهية عامل ءاسفي وواحدة من الطاهر بن عبد الحق فنيش عامل طنجة) . د) مصـادر مختلفـة (رسالة من حاشية السفير محمد بن عثمان واخرى من الجنرال عبد الرحمن بن ناصر والحاج الهاشمي ابن العروسي عامل ءاسفي واخرى من الجنرال عبد الرحمن بن ناصر) .

اما من حيث العناصر الدبلوماسية التى تحتوي عليها هذه الرسائل فهي : آ) ديباجة البدء (دعاء ـ عنوان ـ تحية) . ب) النص . ج) ديباجـة الختـام (مكان وتحرير الرسالة ـ الارضاء ـ الخاتم) ، وقد حدث احيانا فى بعض هذه الرسائل اثبات ملحق او استدراك عقب التاريخ ، وختم المؤلف هذا التحليل بنموذج ـ رسالة رقم (11) 7 من عبد الملك بن محمد عامل طنجة الى انطونيو كونتالت ساطون ساطـون ممثل اسبانيا بالمغرب . ففيها ـ بعبارته ـ « يمكن تمييز العناصر الدبلوماسية المختلفة » التى اشتملت عليها تلك الرسائل .

ب) دراسـة تاريخية، وهي تشكل فى الاطروحة فصلا طويلا (من ص 33 الى ص 90) استطاع المؤلف فيه ان يعكس لنا ملامح من سياسة المغرب ازاء الدول الاروبية وخاصة منها اسبانيا كما وفق الى رسم صورة جاية لشخصية ملك من ملوك الدولة العلوية لم يمهله القدر طويلا ليحقق للمغرب ما كان يصبو الى تحقيقه وهو السلطان مولاي اليزيد ، وقد الح المؤلف فى هذا الفصل على ابراز نوعية العلاقات التـى تربـط بين البلدين : المغرب واسبانيا ، معتمدا فى ذلك بالدرجة الاولى والاخيرة على ما تحت يديه من رسائل تلـك الفترة .

ج) رسائل عربية ، (من ص 93 الى ص 167) وقد اورد المؤلف فى هذا القسم من اطروحته نصوص الرسائل الاربع والثلاثين فى لغتها الاصلية مع ترجمة كاملة ودقيقة لها الى الاسبانية .

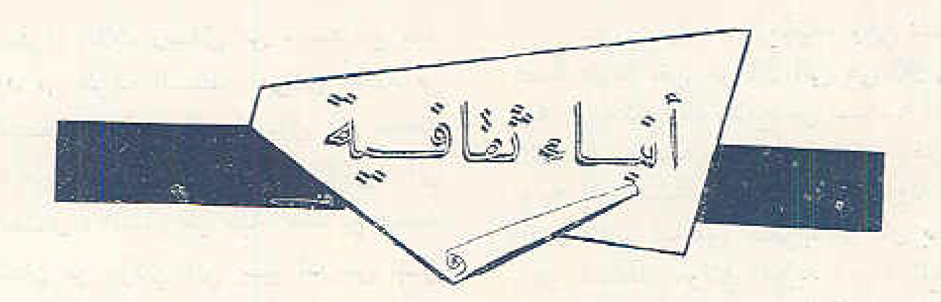
وفى نهاية الكتاب اورد المؤلف فصلا عن ثبت المراجع فهارس للاعلام والصور والموضوعات .

وبعد : فتلك نظرة خاطفة ، عجلى ، على كتاب « رسائل عربية حول المغرب فى عهد مولاي اليزيد 1790 ـ 1792 » اردنا بها الى ابراز صورة من عناية الاستشراق الاسباني بتاريخ المغرب فى فتـرة من فترات الدولة العلوية الشريفة .

تطـوان ـ حسن الوراكلي

---

(11) رقم الرسالة حسب ترتيبها فى كتـاب د. ماريانـو .



المغـــرب :

* اصدر الاستاذ السيد عبد الوهاب بنمنصور كتابا بعنوان : « مع جلالة الملك الحسن الثاني فى باريس » من 31 يناير الى 8 فبراير 1970. قامت بنشره المطبعة الملكية بالرباط ، مع مدخل للمؤلف .

— ◆ —

* يزور المغرب حاليا الدكتور سامي حنا بقصد كتابة دراسة حول « تطور الادب العربي بشمال افريقيا » باللغة الانجليزية . وقد اتصل الدكتور المذكور بمختلف الهيئات الثقافية ، ورجال القلم والفكر فيه ، وزودوه بانتاجهم . كما زار من قبل تونس لنفس المهمة .

— ◆ —

* أصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي العدد الاول من مجلة « الثقافة المغربية » شارك بالكتابة فيها الاساتذة : محمد الفاسي ، وعلال الفاسي ، وعبد الله كنون ، وعبد اللطيف الخطيب وغيرهم من الكتاب .

— ◆ —

* فى اخر هذا الشهر تقوم وزارة الثقافة بتدشين ضريح المعتمد ابن عباد فى اغمات ، وذلك فى مهرجان ثقافي كبير ، تلقى فيه القصائد والمحاضرات حول هذا الشاعر .

— ◆ —

* يصدر قريبا كتاب بعنوان « نقطة نظام » للسيد محمد الصباغ ، يشتمل على مجموعة قصصية . هذا اول كتاب قصصي يصدر للمؤلف .

* بدعوة من اتحاد كتاب المغرب ، زار الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي المغرب ، حيث القى فى كبريات مدنه مجموعة من المحاضرات ، وقراءات شعرية . واحتفلت بقدومه الاوساط الثقافية والفكرية .

— ◆ —

* نظم اتحاد كتاب المغرب ندوة حول « الفكر فى القرن العشرين » تكلم فيه كثير من الادباء والمفكرين المغاربة . دام اكثر من عشرين يوما .

— ◆ —

* انجز الاستاذ السيد عبد الله الجراري من مؤلفاته فى ظرف سنة 1969 – 1970 الكتب الآتية :

1 – من اعلام الفكر والثقافة – بالرباط – وسلا كتاريخ لرجال العدوتين

2 – مجلد من المعجم القرءاني ، احتوى خمسة حروف : الصاد – الضاد – الهاء – الواو – الياء .

3 – المجلد الاول ، من : (هذه مذكراتي) مبدوء من طفولتي الاولى الى سنة 1944 .

4 – المجلد الثالث – من (روض المقالة او من سوانح القلم) اشتمل على ازيد من اربعين مقالا مختلفة الموضوعات .

5 – الجزء الاول – من شعراء المغرب الاقصى وادبائه المعاصرين .

— ◆ —

* اقامت «شعلة المسرح» فى مدينة القصر الكبير مهرجانا ثقافيا كبيرا

— ◆ —

※ زار المغرب مؤخرا الدكتور ناصر الدين الاسد ، مدير الادارة الثقافية بالجامعة العربية .

— ◆ —

※ صدر فى الجريدة الرسمية ظهير بتنظيم المجلس الاعلى للتعليم .

— ◆ —

※ صدرت فى المغرب جريدة يومية باللغة الفرنسية بعنوان : «لاديبش» .

— ◆ —

※ اصدرت وزارة البريد والتلغراف طابعين بريدين ، خصص ريعهما لمنكوبي الفيضانات .

— ◆ —

※ عقدت فى « افران » ندوة خاصة بالتعليم .

— ◆ —

※ نظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي مسابقة لاهم مخطوط قديم او بحث حول اللغة العربية .

— ◆ —

※ نظمت وزارة الثقافة معرض جائزة الحسن الثاني للوثائق والمخطوطات بقاعة العرض الوطنية بباح الرواح .

— ◆ —

※ القت السيدة غينودو مؤلفة كتاب « فاس من خلال مطبخها » محاضرة بالرباط عن « مشاكل الاقتصاد المغربي » .

— ◆ —

※ نظم المركز الثقافي الاميركي محاضرة بفاس القاها الكاتب روم لاندو فى موضوع : الاسلام واثره فى الغرب » .

— ◆ —

※ انعقد بمراكش مؤتمر التربية العربي ، حضره عديد من وزراء التربية فى البلاد العربية .

※ توجه الى القاهرة السيدان محمد بن زيان، وعبد الكريم القباج ، لتمثيل المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى اجتماعات الجامعة العربية .

— ◆ —

※ اصدرت جمعية تاريخ المغرب مجلة بعنوان « مجلة جمعية تاريخ المغرب » وذلك بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي .

— ◆ —

※ سيصدر فى هذه الايام المجلد الخامس من « تاريخ تطوان » للاستاذ محمد داود ، وهو من منشورات وزارة الثقافة . ويشتغل المؤلف حاليا مدير الخزانة الملكية بالرباط .

الجمهورية العربية المتحدة :

※ « الشخصيات العشرون » كتاب جديد صدر للاستاذ محمود تيمور من دار المعارف .

— ◆ —

※ مكتبة «عائشة التيمورية» الضخمة التى ظلت طوال السنوات السابقة مخزونة فى دار الكتب بالقلعة . اصدر الدكتور محمود الشنيطي قرارا بنقلها الى مبنى دار الكتب فى باب الخلق بالقاهرة ، واقامتها من جديد ، وتصنيف جميع الكتب الموجودة بها ، وفتحها فى وجوه عموم القراء .

— ◆ —

※ قرر مجلس ادارة الشركة العربية للادوية بالقاهرة تخصيص جائزة سنوية باسم الدكتور النبوي المهندس . ينال الجائزة صاحب احسن بحث تطبيقي فى مجالات النباتات الطبية .

— ◆ —

※ احتفلت كلية الحقوق بجامعة القاهرة بعيدها المائوي فى هذا الشهر . حضر الاحتفال كثير من عمداء كليات الحقوق فى كبريات الجامعات العالمية .

※ انتدبت الدكتورة بنت الشاطيء كاستاذة زائرة للدراسات العليا في السودان .

— ◆ —

※ تقرر انشاء كرسي للغة الايطالية وءادابها بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

— ◆ —

※ اقيم في القاهرة حفل تأبيني للشاعر الفقيد علي احمد باكثير . تحدث فيه كثير من اصدقاء الفقيد من شعراء وكتاب .

— ◆ —

※ اصدر الكاتب انور الجندي كتابا جديدا بعنوان : « صفحات مجهولة من الادب العربي المعاصر » يضم اكثر من سبعين شخصية معروضة من خلال زوايا جديدة تكاد ترسم صورة كاملة للحياة الخاصة للادباء والمفكرين ، وخلفيات المعارك الادبية منذ اوائل هذا القرن الى منتصفه .

— ◆ —

※ قصة يحيى حقي المعروفة بـ « قنديل ام هاشم » ترجمت الى اللغة الهندية .

— ◆ —

※ « ليوناردو دافنشي » صدر هذا الكتاب مترجما الى العربية بقلم الدكتور احمد عكاشة .

— ◆ —

※ توفي بالقاهرة الاستاذ محمد البنا الذى كان يشغل وظيفة وكيل وزارة الشؤون الدينية مع الاستاذية بمعهد الدراسات الاسلامية العليا .

— ◆ —

※ «الحق» عنوان مجلة قانونية صدرت بالقاهرة عن اتحاد المحامين العرب .

— ◆ —

※ « روح حائرة » مجموعة شعرية صدرت للشاعرة فلوري عبد الملك عن وزارة المعارف بمصر .

— ◆ —

※ اصدر الاستاذ مصطفى بدوي كتابا بعنوان: « مختارات من الشعر العربي الحديث » .

سوريا :

※ « جراح قلب » عنوان ديوان جديد اعده للطبع الشاعر الحلبي عمر ابو قوس

— ◆ —

※ انهى الاستاذ جميل الخوري من تأليف كتاب بعنوان : « الاسماء الالهية الحسنى »

— ◆ —

※ « الماء في حياتنا وتراثنا » ــ الجزء الثاني منه صدر للاستاذ عبد القادر عياش .

— ◆ —

※ « شعراء معاصرون من سوريا » صدر هذا الكتاب في هذا الاسبوع ، وهو من تأليف واعداد محمود ياسين .

— ◆ —

※ « الخلاف النحوي بين الكوفيين والبصريين » دراسة اعدها الاستاذ محمد خير الحلواني . وستصدر في كتاب .

— ◆ —

※ الاديبة السورية سلمى الحفار الكزبري صدر لها في بيروت عن دار الطباعة والنشر كتاب جديد عنوانه : « عنبر ورماد »

— ◆ —

※ صدرت في منشورات وزارة الثقافة بدمشق الكتب الآتية : « الفكر العلمي الجديد » للفيلسوف الفرنسي باشلار ترجمه الدكتور عادل العوا « دمشق » دراسة موضوعية لدمشق من جانبها الجغرافية والسكانية والعمرانية والاقتصادية والتاريخية تأليف الدكتور صفوح خير «الرياضيات» خلاصة تاريخ الرياضيات حتى ءاخر تطوراتها « السنسطائي » من عيون مؤلفات افلاطون ترجمه الأب فؤاد جرجي بربارة .

لبنان :

※ صدرت في بيروت مجموعة شعرية للشاعرة ثريا ملحس بعنوان : « قضايا ومجامر » .

* توفى فى لبنان الاديب العراقي صدر الدين شرف الدين ، صاحب مجلة «الالواح» المحتجبة . وله عدة مؤلفات .

— ◆ —

* صدرت عن دار عويدات المنشورات الآتية: « الادب العربي الحديث ، دوافعه وءافاقه » للدكتور علي شلق . « فلسطين كد السيف » للشاعر الفلسطيني علي فودة . « المذاهب الاخلاقية الكبرى » لفرانسوا غريغوار قام بتعريبه قتيبة المعروفي . «العلاقات العامة» لشوميلي وهوسيمان عربه فريد انطونيوس .

— ◆ —

* قدمت الشاعرة اللبنانية مي المر كتابا للطبع عن الشاعر سعيد عقل ، تناولت فيه بالدراسة حياة الشاعر ومؤلفاته ومنهجه فى الكتابة .

— ◆ —

* اصدرت مجلة « الاديب » اللبنانية عددا خاصا بالتكريم الذى اقامته الحكومة اللبنانية لصاحب المجلة المعروفة . تناول العدد الكلمات والقصائد التى القيت بهذه المناسبة ، اعترافا للمجهودات الكبيرة التى قامت بها «الاديب» فى خدمة الادب العربي منذ اكثر من ربع قرن . وقد قدمت الحكومة للاستاذ البير اديب وسام الارز .

— ◆ —

* « هي والآخرون » ديوان شعر صدر لنقولا يواكيم . سبق للشاعر ان اصدر من قبل ديوان « بابل » و « تموز » وديوانا بالفرنسية بعنوان « قصائد ساذجة » .

— ◆ —

* احتفل فى قاعة محاضرات وزارة التربية ببيروت بتكريم الشاعر اللبناني الكبير بولس سلامة ، شاعر الالم والملاحم الكبرى .

— ◆ —

* صدر ببيروت للدكتور حسن صعب كتاب جديد عنوانه « تحديث العقل العربي : دراسات حول الثورة الثقافية اللازمة للتقدم العربي فى العصر الحديث » .

* «اصداء» اسم مجلة جديدة صدرت مؤخرا ببيروت .

— ◆ —

* « يوم عاد ابي » مجموعة قصص ومشاهد من تاليف رشاد دارغوث صدرت اخيرا فى بيروت

العراق :

* اصدرت وزارة الثقافة بالعراق رواية بعنوان : « الرجال يكون بصمت » ، وهي من تاليف عبد المجيد لطفي .

— ◆ —

* الشاعر العراقي خليل ابراهيم اصدر ديوانا باسم « غدا سابحر » .

— ◆ —

* اقيم فى العراق تابين كبير للفقيد الدكتور العلامة مصطفى جواد ، شاركت فيه نخبة ممتازة من مختلف الادباء والمفكرين من البلاد العربية .

— ◆ —

* يكاد ينتهي الدكتور منير بشير من تحرير دراسة عامة عن الفاكلور العراقي والمراحل التى اجتازها ، والتطورات التى مر بها خلال العصور الماضية .

— ◆ —

* مجموعة قصص قصيرة بعنوان « ممر الى احزان الرجال » من تاليف لطيفة الدليمي صدرت مؤخرا فى العراق .

— ◆ —

* « رحيل الاقطار » مجموعة شعرية للشاعر شفيق الكمالي صدرت مؤخرا فى بغداد .

— ◆ —

* عن الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري صدرت دراسات نقدية فى كتاب لمجموعة من الكتاب العراقيين منهم : ابراهيم السمرائي ، وجبرا ابراهيم جبرا ، وسليم طه التكريتي ، وفوزي

كريم ، وهادي العلوي الذى اشرف على اصدار الكتاب .

— ◆ —

* «اقبية الدم» عنوان ديوان شعر يصدر للشاعر السوري صدر الدين الماخوط .

— ◆ —

* نال الاستاذ عيسى بلاطه درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا عن الشاعر العراقي « بدر شاكر السياب : الرجل وشعره » .

— ◆ —

* «حيث تبدأ الاشياء» ديوان شعر صدر للشاعر فوزي كريم من نشر مجلة « الكلمة » .

الاردن :

* اصدرت الكاتبة الاردنية باسمة اليعقوبي كتابا بعنوان : « عملي فى المملكة » .

— ◆ —

* صدر العدد العاشر من مجلة « الاتحاد العربي للسياحة » التى تصدرها الامانة للاتحاد العربي للسياحة التى تبحث فى الامور السياحية بالوطن العربي .

— ◆ —

* وزعت وزارة الاوقاف الاردنية كتاب « ماساة بيت المقدس » ، وهو من تاليف محمود العابدي .

— ◆ —

* جرى انتخاب هيئة ادارية جديدة لجمعية اصدقاء القدس فى عمان برئاسة الدكتور عبد السلام القمحاوى .

— ◆ —

* اصدر روحي الخطيب امين القدس ، وعضو انقاذ القدس مجلدا بعنوان : «تهويد القدس» جاء مدعما بالوثائق الهامة وبعدد من الصور توضح تاريخ المدينة المقدسة وتروي الاحداث التى استهدفت لها .

المملكة العربية السعودية :

* «مشاهير الموسيقيين العرب» عنوان كتاب صدر للاستاذ طارق عبد الحكيم .

— ◆ —

* صدرت للاستاذ عبد القدوس الانصاري ثلاثة كتب جديدة بعنوان : « تاريخ العين العزيزة بجدة . واحات عن مصادر المياه فى المملكة » و « بين التاريخ والامارة » و « حصاد العين او اربعة ايام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي » .

— ◆ —

* اصدر الاستاذ محمد العبودي ، الامين العام للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، كتاب « مشاهدات وانطباعات عن افريقيا الخضراء » .

ايـــــران :

* عقد فى ايران مهرجان كبير ، احتفل فيه بالذكرى الالفية لابي جعفر الطوسي . شارك فيه كثير من العلماء والمفكرين العرب الى جانب عديد من المستشرقين . مثل المغرب فى هذا المؤتمر الاستاذ علال الفاسي ، الذى انتخب رئيسا لهذا المؤتمر .

بـاكستـــان :

* انشأت الحكومة الاندونيسية مؤخرا لجنة رسمية لتنظيم جمع الزكاة وتوزيعها على الفقراء فى البلاد .

— ◆ —

* اقام اتحاد الطلبة المسلمين فى باكستان مؤتمرهم السنوي فى معهد المهندسين بمدينة دكا شرق باكستان ، حضره نحو الفي عضو . وللاتحاد المذكور فروع فى مختلف الجامعات والكليات فى شطري باكستان ، ويقوم بجهود كبيرة فى تربية الشباب على المثل الاسلامية السامية .

الهنـــــد :

* صدرت في الهند مجموعة قصصية رواها اصغر قصاص في العالم ، وهو الطفل سرجيت البالغ من العمر ثلاث سنوات . فقد تحدث هذا الطفل بلغته الضعيفة عما رءاه في عالمه الصغير الى ابيه الفنان . الطريف في الموضوع أيضا ان الآنسة كلاريا كوهن ترجمت هده القصص من الهندية الى الانجليزية . وهذه الآنسة تبلغ من العمر سبع سنوات .

بلجيكـــا :

* « القراءة من اجل النجاح » هو موضوع المعرض الثاني للكتاب الذى عقد بهذه المدينة من 14 مارس الى 22 منه . كان عدد الكتب المعروضة ما يزيد على 100 الف .

فـرنســا :

* اهتمت الصحافة الادبية بفرنسا بصدور كتاب «الشيخوخة» للكاتبة سيمون دي بوفوار . وقد عقدت مع الكاتبة عدة استجوابات من بينها « لوموند » .

— ◆ —

* انعقد بمدينة نيس ابتداء من 26 مارس الماضي الى فاتح يونيه القادم من هذه السنة المهرجان العالمي الثالث للكتاب .

— ◆ —

* اصدر الكاتب الفرنسي بيير ديمرون مؤلف كتاب « ضد اسرائيل » كتابا عن المطبخ المغربي

انجلتــرا :

* انتهى الكاتب الانجليزي المعروف جونسون ديفيس من ترجمة رواية « تلك الرائحة » لصنع الله ابراهيم الى اللغة الانجليزية . وستصدر الرواية المذكورة في لندن في هذا الشهر . وكانت هذه الرواية قد نشرت لاول مرة في مجلة «شعر» . اما المؤلف فانه يقيم منذ مدة في المانيا الشرقية ، وقال المترجم المذكور ان ترجمته لرواية الطيب صالح المعنونة بـ «موسم الهجرة الى الشمال» التى صدرت في انجلترا لاقت استحسانا كبيرا .

— ◆ —

* عثر العالم الانجليزي والترايمري المختص في الحفريات المصرية على مقبرة يرجع عهدها الى العهد الوسيط وتحتوي على موميات 58 بقرة مقدسة . وتجسد كلها طقوس الاله ايزيس . اهتمت الصحافة الانجليزية بهذا الخبر ، واعطته مكانا بارزا .

أمـريكــا :

* اكتشفت في امريكا بعض مؤلفات واوراق مخطوطة تركها بعد وفاته الكاتب الامريكي همينغواي والتى تزن اكثر من خمسين رطلا . اتضح من جراء بحث طويل أن أهمها هي التى كانت مودعة في حجرة صغيرة في «جوزبار» في كي وليست بفلوريدا . واهمها أيضا تلك المخطوطات التى وجدت محفوظة في احد البنوك بكوبا .

ابرز هذه المخطوطات رواية كاملة جديدة لم تنشر ، وقصة قصيرة ، ورسالة في عشر صفحات من الكاتب الاميركي الشهير سكوت فيتزوالد الى همينغواي ، وكذلك ثلاث روايات و 18 قصة قصيرة ، و 33 قصيدة ، و 11 عملا أدبيا غير قصصي . كل هذه المخطوطات غير مطبوعة وكتبت بين 1925 و 1945 .

الرواية التى اثارت اهتمام النقاد هي بعنوان : « جيمي بريس » كتبت في 1927 أي بعد سنة من رواية « الشمس تشرق أيضا » . ستعرض هذه المخطوطات كلها في مكتبة جون كيندي في جامعة هارفارد .

— ◆ —

* شرعت جمعية الطلبة المسلمين بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة في انشاء مكتبة اسلامية على ارض الجامعة كجزء من نشاطها للتعريف بالاسلام وجمع كلمة الطلاب المسلمين حول دينهم . ويبلغ عدد الطلاب المسلمين في تلك الجامعة ما يزيد على 250 طالبا بالاضافة الى غيرهم من المهتمين بالدين الاسلامي .